

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

* تصدرها:
وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

العدد الرابع، السنة العشرون، جمادى الأولى 1399 / أبريل 1979

شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

دعوة الحق

العدد الرابع ـ السنة العشرون
جمادى الأولى 1399 / أبريل 1979

تصدرها
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

بيانات إدارية

- تبعث المقالات الى العنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ مديرية الشؤون الإسلامية
ص ب : 375 ـ الرباط ـ المغرب
الهاتف : 10 ـ 632
- الاشتراك العادي عن سنة 65 درهماً للداخل، و 70 درهماً للخارج. والشرفي 100 درهم فأكثر.
- السنة عشرة أعداد. لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة.
- تدفع قيمة الإشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط.

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه.

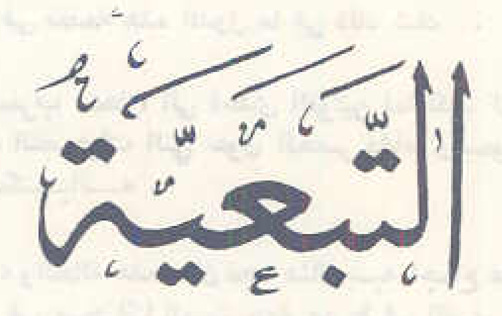
- **لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر**

فهرس

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :



●● الارتباط بالاستعمار ، بشكل او بآخر ، ظاهرة عامة فى دول العالم الاسلامي ، فقد تكون للدولة ادارة مستقلة ، وراية وطنية ، ونشيد وطني ، ومقعد فى هيئة الامم المتحدة ، وليس لها من الاستقلال الا الشعار والمظهر ، وليس لها من حرية التصرف والمبادرة الا ما للسجين المطوق داخل سجن فسيح شاسع ممتد . فالمظهر لا يغير من الجوهر فى شيء .

وللاستعمار قدرة خارقة على التغلغل والنفوذ والهيمنة والاكتساح . وهذه الاساليب ليست جديدة حتى يوصف اليوم هذا النوع بـ « الاستعمار الجديد » . فهذه خدعة وضرب من التلاعب بالالفاظ .

وفى الارتباط بالاستعمار انحلال وضعف وهوان ، حينما يتعدى الامر التعاون التقني ، والتبادل التجاري ، واكتساب الخبرة التكنولوجية ، والاقتباس من فنون التطور الاقتصادي فى جانبه المادي المحض . فى هذه الدائرة يمكن التجاوز - نسبيا - عن هذا النوع من الارتباط لانه وليد الضرورة ، ومطلب حيوي ملح لا غنى عنه . ولكن الخطورة ، وفقدان الشخصية ، وضياع الاستقلال ، وضعف الهمة ، فى الانحياز المطلق غير المشروط الى القوى الاجنبية بحيث تتشابك المصالح وتمتزج بصورة يصعب التفريق معها بين الغالب والمغلوب .

● نعتقد ان هذه بديهية لا تستحق كبير عناء فى الشرح والتحليل . ولكن كم من البديهيات فى زمن الغفلة والشرود والتيه ، تدق عن الفهم ، وتستعصى عن الادراك ؟

ولقد اعتاد المفكرون والمنظرون ومحللو السياسة الدولية على تصنيف الدول الى رأسمالية واشتراكية ، حتى وقر فى اذهان الناس ان

الدولة اما أن تكون رأسمالية ليبرالية ، أو تكون اشتراكية شيوعية . وفى كلتا الحالتين هي تابعة ومرتبطة بالمعسكر الام الذي يقود هذه النظرية السياسية أو تلك .

ومن هنا تنبع الصعوبات التي تلقاها الدول الرافضة الدخول فى اطار هذه اللعبة ، اذ تأبى الانحياز الى احد المعسكرين المتصارعين ، وأن تكون تابعة لهذه الدولة أو تلك ، من قريب أو بعيد .

والمغرب فى مقدمة هذه الدول ما فى ذلك شك ..

لو كان المغرب منحازا الى احدى القوتين لما تكبد كل هذا المشاق وتحمل كل هذه التضحيات التي تفوق الحصر دفاعا وصمودا ومواجهة وثباتا وحماية لمكتسباته .

ولا عجب ، والحالة هذه ، ان نجد هناك شبه اجماع على اقامة دولية عميلة ماركسية فى صحرائنا المسترجعة من طرف القوى الاستعمارية الدولية ، وان اخفى بعضها تخطيطه وتآمره ونيته تحت قناع من هذه الاقنعة المزركشة التي لم تعد تنطلي حيلها على ذوي العقول وأرباب الفهم .

وتلك تضحية شريفة نتحملها عن طيب خاطر ، ما دامت تؤمن لنا وجودا مستقلا ، وتضمن لبلادنا حرية التحرك والمبادرة واتخاذ القرار الوطني ، الذي نعتقد فى صحته وجدواه وضمانه لمصلحتنا العليا .

●● وكما تكون التبعية أو عدمها فى السياسة والديبلوماسية والاقتصاد ، تكون كذلك فى الفكر والثقافة والاعلام والتعليم . واذا كنا احرارا فى اختياراتنا السياسية ومستقلين فى مواقفنا الديبلوماسية ، فمن باب أولى ان نكون كذلك فيما يتصل بتشكيل وجداننا وتكوين عقليتنا وصياغة تصورنا للحياة والكون .

ان التبعية فى الفكر اشد ضررا وخطورة من التبعية فى اساليب الحكم والاقتصاد والتعامل الخارجي . لان فى الحالة الثانية يمكن انتحال الاعذار وايجاد المبررات التي قد تقنع فئة دون اخرى استنادا الى الضغوط والتحديات والمتغيرات الدولية وتوازن القوى ، الى ما يردد دائما فى مثل هذه الحالات . بينما فى الحالة الاولى ، وحينما يتعلق الامر بفكر الامة ووجدانها وعقلها ، يتعذر ايجاد سبب مقنع للتخلي عن الذاتية ، والتفريط فى المقومات ، والانسلاخ عن القيم التي تشكل الكيان المعنوي للامة .

واذا كانت التبعية تفرض نفسها احيانا كشكل من اشكال الارتباط الحتمي ، وخاصة فى الميدان التقني الصرف ، بحكم ظروف التخلف — مثلا — فلا تثير شبهة ولا تلحق عارا بأحد ، فانها فى الميدان الفكري

تعتبر تفريطا لا يغتفر ، غالبا ما يؤدي الى وضعية تمس الاستقلال السياسي ، وتعرض البلاد للخراب والافلاس ، ناهيك عن سوء الاحدوثة ، وتدهور السمعة ، وزوال الهمة والهيبة ، على الصعيدين الداخلي والخارجي .

● ومن هذا المنظور ، وبهذا الفهم المستوعب لجوانب القضية ، يمكن القول ان التبعية سواء أكانت فى الفكر والثقافة ، ام فى السياسة والدبلوماسية ، وفى النظرية أم فى التطبيق ، تعتبر حالة ضعف ، ومجلبة للمذلة والهوان والمسكنة .

ومن ثم يصح القول أن التحرر فى الميدان الفكري ، والاستقلال فى الثقافة والاعلام والتعليم ، يؤدي حتما الى تعزيز الموقف السياسي للدولة ، وتقوية نفوذها على الصعيد العالمي ، ويجعل لكلمتها الصدى الواسع والتأثير المنشود .

● التحرر من التبعية ضرب من الاستقلال المعنوي القوي ، الذي يعطي للشخصية الوطنية ثقلا ووزنا ، ويقي البلاد ضد المؤثرات الخارجية، ويرفع من شأن الامة ، ويجعلها دائما مرهوبة الجانب ، عزيزة الكيان ، قوية البنيان .

ونعتقد أن هذا سبيل المغرب . ليس فقط فى الميدان الدبلوماسي والسياسي ، ولكن ايضا فى المجال النظري والتصوري .

وكلتا الحالتين متلازمتان ومرتبطتان ، بحيث لا يمكن الفصل بينهما لكسب معارك التحدي وبناء مغرب القرن القادم .

دعوة الحق

خطاب العرش

3 مارس 1979

● وجه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله الى الشعب المغربي خطابا ساميا بمناسبة عيد العرش المجيد الذي صادف هذه السنة الذكرى 18 لجلوس جلالته حفظه الله على عرش أجداده الميامين . أوجز فيه الخطوط العريضة لسياسة المغرب فى المرحلة الراهنة مركزا على دور المعارضة فى الانظمة المتطورة . كما تناول موضوعات مغربية ملحة تتصل بالتعليم والتوتر القائم فى المنطقة بسبب تآمر حكام الجزائر ضد وحدتنا وسيادتنا وتواطئهم مع القوى الاستعمارية الحاقدة على الاسلام والمسلمين. كما تعرض العاهل الكريم فى خطابه للوضع الداخلي فى البلاد من حيث تقصير بعض المسؤولين فى القيام بمسؤلياتهم على الوجه المطلوب . وقال اعزه الله فى هذا الصدد : « أن هناك ظاهرة أخذت تبدو ، ولربما أصبحت داعية قلق ان لم نبادر بالتصدي لها ، ذلك انه يوجد من بين المنتخبين والحكام والمعارضين من يحاول وهو مطوق بمهام معينة ان يتخلص من مسؤولياته اما بالتملص منها علنا واما بمحاولة اناطتها بغيره تهربا » .

وفيما يلي النص الكامل لخطاب العرش :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآلـه وصحبـه

شعبـي العزيـز :

لقد توجهنا اليك بالخطاب تلو الخطاب طـوال السنة المنصرمة وفى مناسبات شتى لنطلعك على ما علق به الاهتمام ولنشاطرك ما يشغل بالك فنقيم الاوضاع وننهي اليك ما يعن لنا فى أهم ما يعرض من احـداث .

وهكذا فان سياستنا فى التوجيه والاختيار ان فى شؤون الداخل او الخارج على السـواء كانـت

توافيك علنا وذلك منبثق من حرصنا على ان نكـــون صادرين عن منبع واحد واقتناع متحد مطرد ينبسط على الدوافع العميقة التي أوحت الينا بهذا الاتجـــاه والدواعي الاساسية او الظرفية التي أملتـــه ، ففي الميدان الاقتصادي اقتضى التدبير أن نراجع مبادراتنا ونعيد النظر فى تصميم تنميتنا وخططنا وكان قصدنا ان نقيم التنسيق بين التطور المغربي وبين الظروف الاقتصادية الصعبة التي تجثم على عالم اليوم وتتميز بظاهرة التصاعد الكبير الذي عرفته أثمان الطاقـــة والمواد المصنعة المستوردة .

وان المرامي الاساسية التي رسمناها لانطلاقتنا الجديدة لتهدف الى تحسن متـــوال فى الميـــزان التجاري وميزان الاداءات كما تتوخى الحد من خصاص الميزانية وانا لننظر من وراء كل هذا الى التوق من الحاح ضرورة الاعتماد الاكيد على الخارج والتحـرر منـــــه .

ولم نفتا نواصل فى نفس الوقت جهودنا لتحقيق الديمقراطية فسهرنا وسنظل كذلك وبيقظة كاملـــة ويقين على ان تعمل المؤسسات الديمقراطية التـــي اقمناها بكامل العزم ومستوثق الحزم حتى يصبـــح تسيير القضايا العامة مهمة كل مواطن وحتى تكـــون المشاركة وهي احدى الاسس الضرورية للديمقراطية واقعا ملموسا وحقيقة وطنية راهنة .

ان المغرب وطننا ورصيدنـــا المشتـــرك ، ومستقبله بهذا همنا المشترك ، ولقـــد كان هـــذا الانسجام فى المصالح والتوارد فى العواطف يكونان عبر القرون رابطة وحدتنا القومية ، وعنوان امجادنا وعزتنا وحرصا منا على صيانة هذا التلاحم القائم بين جميع افراد امتنا ملكا وشعبا ، وحتى يتاح لكل مواطن ان يشارك بنصيبه من غير استثناء ، فانا لم نفتـــا نعلن عن ارادتنا فى احترام التقاليد الديمقراطية ، وعن فرض احترامها فى مختلف الظروف والاحوال .

وعلى هذا الاساس آمنا وما زلنا مؤمنين بضرورة تشكيل وتنظيم معارضة تجاه الحكومة ، وتجاه جميع الحاكمين بصفة عامة ، ولو تعذر وجود هذه المعارضة، لانشاناها او اوعزنا بانشائها ، ذلك اننا على ايمان بان لا قيام لديمقراطية حقيقية دون معارضة غير انه اذا كانت الديمقراطية بهذا المدلول ، تمنـــح جميـــع الحريات وتضمن لكل مواطن صلاحية ممارسة فعالة لجميع حقوقه فانها تفرض كذلك واجبـــات ، وفى طليعة تلك الواجبات الملقاة على عاتق من انيطت بـــه مسؤوليات سواء من بين الحكام أو من بين الاغلبية أو المعارضـــة .

فعلى هؤلاء جميعا ان يقومـــوا بمسؤولياتهـــم بشمول ودقة ، نعم ان الكثير من هـــؤلاء يقـــدرون المسؤولية حق قدرها ويقومون خير قيام بها سائرين بذلك وفق تقاليدهم العريقة التي يمثلهـــا الشعـــب المغربي وكلها هدى ضمير ووحي شجاعة ، غيـــر ان هناك ظاهرة اخذت تبدو ولربما اصبحت داعية قلق ان لم نبادر بالتصدي لها ، ذلك انه يوجد من بيـــن المنتخبين والحكام والمعارضين من يحاول وهو مطوق بمهام معينة ، من يحاول ان يتخلص من مسؤولياتـــه اما بالتملص منها علنا ، واما بمحاولة اناطتها بغيـــره تهربـــا .

وهذا بطبيعة الحال ضرب من الجبن الذي لا موضع له فى مجتمعنا ولا ياتي له على اى حـــال ان يساند النظام الديمقراطي الذي اخترناه لنفسنا .

ما زال التعليم يكون اهتماما اساسيا عندنـــا ، ولن يخفى علينا انه من اهتمام افراد جميع شعبنا ، فلم يفتا المغرب منذ احرازه على الاستقلال يبحث عن طريقه فى هذا الميدان ، ولقد بذلت جهود تشكر الا انها لم تبلغ كلها اهدافها المنشودة .

وليست غايتنا فى هذه المناسبـــة ان نقـــوم بتحليل شامل وتعليق او نضع تخطيطا لما يتعين القيام به وانما نذكر فقط بان توجيهات دقيقة وتعليمـــات واضحة قد زودت بها حكومتنا ، واملنا ان توخـــذ اساسا للاصلاح الجذري فى التعليم الذي ينتظـــره المغرب بفارغ صبره .

وسيرتكز هذا الاصلاح على ميداين اساسيين : فتعليمنا يتعين ان يواكب متطلبات العالم المتحضـــر ومرمى تربيتنا ان تضمن للجميـــع من الطفولـــة الى الكهولة ، جميع المؤهلات الضرورية لتكوين الانسان المغربي وذلك فى اطار الرعاية والعناية الحقيقيـــن بالعبقرية المغربية والشخصية الوطنية .

ومن جهة اخرى فان من الاكيد المستعجل ان يقدر القائمون على شؤون التعليم مسؤولياتهم وواجباتهم بكامل اليقين ، ذلك لان التعليم قضية الجميع ولانه يسهم في تكوين وتربية أولئك الذين ستلقى على عاتقهم تلك المهمة الجليلة ، مهمة متابعة تكييف مستقبلنا الوطني ، واذا كان للقائمين على شؤون التعليم أن يهتموا بالدفاع عن حقوقهم فان من حق الشعب المغربي الذي يأتمنهم على ابناء ورجال الغد ان ينتظر منهم ان يؤمنوا لابنائه جميع اسباب التكوين حتى ينشأ منهم ذلك المواطن الصالح المفيد لوطنه .

فعلى مدرسينا ومربينا أن يتجنبوا غلطا فادحا عليهم الا ينسوا ان الشباب الموكول اليهم تربيتهم اليوم هم المسؤولون فى الغد وهم بدورهم الذين سيوضع بيدهم أمر تسيير شؤون الدولة والى يدهم سيؤول مصير هؤلاء المدرسين والمربين انفسهم .

شعبي العزيز :

لقد استرجعنا فى اطار المشروعية ، والقوانين الدولية صحراءنا التي ظلت بعد استقلال البلاد ترزح تحت نير الاستعمار ، وان الطابع القانوني لما قمنا به لا يقبل اي جدال ، الا انه يوجد من ينازعنا حقنا ، وذلك ما يجر على بلادنا عواقب متنوعة .

ان ترابنا ، شعبي العزيز ، تعرض لاعتداءات متكررة ، وتمكنت قواتنا المسلحة الملكية القوامة من صدها ببسالة ونجاح .

وكبدت المعتدي خسائر فادحة فى الرجال والعتاد ، وقد سبق لنا ان اعلنا عن ارادتنا فى استعمال حق المطاردة ، وهو حق طبيعي لكل دولة ذات سيادة هوجمت حدودها او ترابها ، وقد قصدنا لحد الساعة ان لا نمارس هذا الحق ، وليس ذلك لمجرد اننا نومن بأن اللجوء الى الحرب هو آخر مرحلة ، ولكن لاقتناعنا الراسخ بان مشروعية حقنا ستفوز لا محالة بالاعتراف وستفرض نفسها على الجميع ، وهذا اصل الجهود الدائبة التي صرفت وستصرف فى هذا السبيل ..

ومن المعلوم ان الجهد فى حق ما هو مشروع ، لن يكتب له غير النجاح والفوز المنشود .

شعبي العزيز :

ان ذكرى عيد العرش السعيد لتخيم علينا جميعا بذكريات عهد والدنا جلالة المغفور له محمد الخامس واجدني ، وقد كنت جانبه فى السراء والضراء تجاه كل ما أثلته اليوم لشعبي العزيز او احدثته او جددته، انما اصرع فى جهد اختياره ، واصدر عن فيوض طماحه واستمد من وطابه . انزل الله عليه شآبيب الرحمة ، ومتعنا ومتعكم برضاه وبركته .

ومن وحي ذكراه ، والتفكير الساعة فيما خلفه لشعبنا العزيز من استحكامات اخلاقية للمعاملات واستحكامات دفاعية لحماية الوطن والدفاع عن المكتسبات ، فاننا من صميم قلبنا وباسم شعبنا لننوه ونعتز بسيرة قواتنا المسلحة واخواتها المساعدة ورجال الدرك والامن ، ونكرر ونعيد الثناء الذي ملأ المسامع والافواه وسار ذكره يمينا وشمالا ، ذلك كانوا بحق خير مثال للامتثال والانضباط وقبلة للاقتداء فى القيام بالواجب في حسن البلاء ، ولقد ابانوا بذلك عن وعي شامل بالمسؤوليات وتمثل كامل لمغزى ما يحملونه من شعارات وما طوقوا به من مهمات دفاعا عن الحوزة وصيانة للمقدرات ، وان ملكهم وقائدهم الاعلى الذي يعتز بنقل ثناء شعبه وشكره الى جميع الدرجات فى جميع الاسلحة من غير استثناء ليشفع ذلك الثناء بالرضى ويطلب العون من الله على الصبر والصمود فى حراسة الحمى وهو سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من احسن عملا .

اللهم انك كنت لنا وليا ونصيرا فى مسيرة التحرير الخضراء فخذ بيدنا فى مسيرة الجهاد الاكبر للغد الافضل واليوم الانور ، وهي آمال عبدك لهذا الشعب وهدف قيامه بالنهار وبالليل ، اللهم ان عبدك من خشيتك مشفق وعلى مرضاتك دائب وعلى ما اوليته من امر هذا الشعب قيم حافظ .

اللهم أدم بيني وبين شعبي اصرتك التي لا تنفصل وكما ثبتتها فى تلاقي الامال فثبتها فى المشاريع واملأ بها الخواطر ، اللهم الهمنا الرشاد فى كل ما ناتي وندع وثبت اقدامنا على سبيل الخير انك على ما تشاء قدير ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من امرنا رشدا ، صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب جلالة الملك

في الجلسة الاستثنائية لمجلس النواب

الحمــد للــه ..

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآلــه وصحبــه ..

حضرات السادة النــواب المحترميــن ..

امنكم الله ورعاكم ووفقكم وسدد خطاكم وسلام عليكــم ورحمة الله ..

وبعد .. فان الوضع فى جنوب المغرب يسير على توالي الايام من طور عسير الى طور اشد عسـرا وهو خليق اذا ما استمر ودام على هذا الوجــه ان يعرض البلاد لعظيم الاخطار واننا لنعلم ان هذا الوضع يوشك فى نظر الكثرة الكثيرة من المواطنين بــل فى نظر جميعهم ان يبلغ الحد الذي لا يحتمل ولا يطاق..

حضرات السادة النواب ان علمكم محيـط بأن المغرب لم يفتا يطالب منذ حصوله على الاستقــلال سنة 1956 بحقوقه فى الصحراء وقد التزم وهو واع كل الوعي اجتناب اللجوء الى التهديد او استعمــال القــوة قصــد الظفــر بهذه الحقــوق وذلــك لتمسكه الصادق الشديد بمبادىء العدل وشريعــة القانون الدولي فناضل نضاله السلمي بصبر مقرون باصرار حكيم الى ان بلغ غاية مرامه ..

وفى نهاية المطاف سلمت لنا اسبانيا صحراءنا اعترافا منها بمشروعية حقوقنا ..

ومنذ ذلك الحين اخذت اصعــب الصعــاب تعترض سبيلنا ..

ذلك ان الجزائر قررت باديء ذي بدء على الرغم من تعهدات القائمين بامورها المصرح بها بصورة علنية لا مراء معها ولا جدال ان تنازع فى مغربية الصحراء ثم ذهبت الى ابعد من هذا فانشات ونظمت وجهزت فوق ترابها بالقرب من تخوم اراضينا قوات مسلحـة مستهدفة هدفا واحدا الا وهو شن غــارات علينــا وانتهاك حرمة ترابنا الوطني المقدس ورامية بالتالي الى بذر الشك والارتياب فيما يتصل بصحة ومشروعية حقوقنا فى الاجزاء المسترجعة من بلادنا ..

وغير خاف عليكم ان قواتنا المسلحــة تصدت باستمرار لغارات العدو فاحبطتها وردتها وكتب الله دائما الفوز والنصر لتصديها وردها الا ان قواتنا لم تتجاوز ابدا ما رسم لها مع واجب صيانة امن المواطنين وحماية التراب الوطني .

وطفقنا فى نفس الوقت نامل ان يكون القــول الفصل للحكمة وان نصل بالطرق السلمية الى اقناع جيراننا بالعودة الى محجة الصواب ..

وكنا نرى ان هذا الموقف يدخل فى اطار رغبتنا الكبرى فى ان تصبح الوحدة المغربية حقيقة ملموسة حية بالاضافة الى انه يقي البلدين الشقيقين الجزائر والمغرب اخطار الحرب ومغباتها ..

ولم تذهب جميع جهودنا سدى .. فقد اسفرت بالفعل عن نتائجها الاولى . ففي مستهل سنة 1978 تم لقاء اول بطلب من المغفور له الرئيــس هــواري بومدين وتبع هذا اللقاء لقاءات اخرى كثيرة طيلــة

النصف الاول من السنة الآنفة الذكر وكان موضوعها الجوهري والاوحد تنظيم لقاء بين رئيسي الدولتين وتحرير نص مكتوب يصلح ان يكون اساسا واطارا لمحادثاتهما .. وتم الاتفاق على زمان ومكان اللقاء ، الا ان مرض الرئيس الراحل هواري بومدين حال بين هذا الاخير وبين تحقيق الاتصال .

واذا كنا قد اسفنا شديد الاسف لاعتراض هذا العائق فقد بقينا نؤمل ان خلفاءه المتوقعين وخاصة من شارك منهم في جهودنا ومساعينا سيظلون اوفياء لخواطره وافكاره وسيركبون ما ركبه من مسالك ..

غير انه يبدو ويا للاسف ان الامر على خلاف ما كان يتصور واول شاهد على ذلك ان السيد الوزير الجزائري للشؤون الخارجية كتب ردا على الرسالة الاخيرة لوزيرنا في الشؤون الخارجية يقول وهو يقصد بصورة واضحة ادانة ما كان للرئيس الراحل من استعداد ونوايا . ان اللقاء لم يتم لا بسبب الحالة الصحية للرئيس بومدين ولكن بسبب الخلافات القائمة بيننا ليس حول الصحراء الغربية فقط وانما حول الشرق الاوسط والمشكل الفلسطيني ..

ان التزييف الطابع لهذه العلة التي وقع العثور عليها بعد لاى وتم التذرع بها على هذا النحو لتزييف مفتضح مكشوف لقد كان ولا شك بيننا وبين الرئيس بومدين خلاف في شان قضية الصحراء بيد ان لقاءنا كان موضوعه بالذات النظر في هذا الخلاف ومحاولة انهائه ..

اما فيما يتصل بالشرق الاوسط والمشكل الفلسطيني فاننا نعتقد ان لا وجود لخلاف اساسي بين المغرب والجزائر ولم يكن لهذا الخلاف وجود في يوم من الايام ، واذا كان المسؤولون الجزائريون يعتقدون ان الخلاف نشا بعد زيارة الرئيس السادات للقدس وقام بسبب عدم انتمائنا لجبهة الرفض فاننا نصرح علانية وبقوة مستعدين للادلاء بالحجج والبراهين على ان الاتصالات العديدة التي كانت تهدف الى تيسير اسباب اللقاء بوشرت كلها ابتداء من اولها الى آخرها بعد الزيارة للقدس وفي وقت كانت فيه جبهة الرفض مكونة سائرة في طريقها ..

ثم تكشفت نوايا المسؤولين الجزائريين العدائية في حملة القدح والتشهير التي تشنها على بلادنا دون انقطاع او فتور جميع وسائل الدعاية الجزائرية ..

واخيرا فان ترابنا الوطني كثيرا ما ينتهك حرمته معتدون ينطلقون من الجزائر ويلتجئون اليها بعد ارتكاب اجرامهم .

واذا كنا قد حرصنا الى الآن على تقديم الدليل للراي العام الوطني والدولي على حكمتنا وصبرنا وعلى احترامنا بصورة خاصة للمبادىء المعتمدة في المنظمات الدولية التي ننتمي اليها فقد حان الوقت الذي يتعين فيه علينا مع بقائنا متمسكين بنفس الحكمة وملتزمين نفس الالتزام بمبادئنا ، ان نعيد النظر في الحالة التي توجد عليها بلادنا وهي حالة لا حرب ولا سلم المترتبة عليها مع ذلك جميع الاضرار والعواقب التي تتولد عن الحرب .

ان القصد من خطابنا هذا ان نشرك امتنا كلها في مختلف الجهود التي تبذلها وان نعرض عليها مرة اخرى بصفة واضحة الاغراض السلمية التي نتوخاها.

ان العمل الذي قمنا به والعمل الذي نحن مدعوون للقيام به لهما من السعة ومن الاهمية الحاسمة بالنسبة لمستقبل بلادنا ومصيرها بحيث راينا من الضروري ان ندعو الامة كلها متمثلة في نوابها الى الاسهام في اعداد التدابير والقرارات التي يتطلبانها .

وانطلاقا من هذا المنظور قررنا ان نحدث بجانبنا وفي مسار مواز لحكومتنا مجلسا يضم الممثلين لجميع التيارات السياسية المنظمة ويناط به مهمة تحديد وتطبيق السياسة الهادفة الى صيانة ترابنا الوطني وامن الدولة ان دستورنا ليجعل منا الضامن لاستقلال البلاد وحوزة المملكة في دائرة حدودها الحقة ومن اجل هذا فاننا نعلن رسميا اننا سنضطلع دائما بواجباتنا في جميع الظروف دون كلل ولا وناء .

وسنظل الى هذا اوفياء لالتزامنا وتصميمنا على ان نستشير الامة كلما تعرضت حياتها ومصيرها ودوام رفعتها لخطر من الاخطار .

الاقتصاد الاسلامي

للأستاذ عبد الله كنون

آخر كتاب صدر للاستاذ عبد الله كنون يحمل عنوان « الاسلام اهدى» ويتضمن خمسة فصول قيمة تبحث الموضوعات التالية : « الملكية الفردية في الاسلام – موقف الاسلام من الرق – الاسلام والمرأة – الاقتصاد الاسلامي – نظام الحكم في الاسلام » .

ويسرنا أن ننقل من الكتاب البحث الخاص بالاقتصاد الاسلامي شاكرين للمؤلف فضله وجهوده في نشر الفكر الاسلامي وتصحيح المفاهيم والدفاع عن الحق .

ينكر بعض المستشرقين أن يكون للاسلام كشريعة نظام اقتصادي معروف ، وبتواطا واياهم بعض تلامذتهم من الباحثين الشرقيين ، وهذا هو السر في بقاء العالم الاسلامي برغم استقلاله يدور في فلك الاقتصاد الغربي ، لان المشرفين فيه على مقادير الامور مقتنعون بهذه الفكرة ، وبكل فكرة تاتي من هناك ، اعتقادا منهم انها فكرة مبنية على البحث العلمي التقني .

ولا شك ان هذا راي خاطىء ، وهو لا يخلو اما ان يكون ناتجا عن جهل واما عن غرض ، وفي كلتا الحالتين يكون الكتاب المسلمون الذين يجنحون اليه ملومين اشد اللوم ، لانهم لم يرجعوا الى المصادر الاسلامية التي هي مظنة تحقيق المناط في هذا الموضوع المهم ، وانما اكتفوا بما يقدمه لهم الكتاب الاجانب على ما فيه من قصور أو تحوير .

والواقع ان الشريعة الاسلامية اعطت للاقتصاد اهمية خاصة ، ووضعت له اسسا وقوانين جعلت منه نظاما قائما بذاته ، متميزا بسمات تتفق وروح العدل والانصاف ورعاية المصلحة العامة التي تميز بها التشريع الاسلامي في كل باب باب .

ومن أعظم تلك المميزات منعه للمعاملات الربوية كيفما كانت ، ومهما تكن الصفة التي توصف بها مغرية مثل الفائدة والربح والمردود وغيرها اعتبارا بأن القرض لا يكون الا في حالة ضعف ، فاثقاله بالربا استغلال واثراء على حساب المقترض المسكين ،

وهذا فى القرض الاستهلاكي ، امـــا فى القـــرض الاستثماري فيجب ان يكون المقرض شريكا فى الربح والخسارة معا ، والا تحول الى استغـلال جهـود المقترض وارهاقه بما قد يؤدي الى افلاسه واعساره ، فى حين انتفاع صاحب المال واحتفاظه بحقوقه كاملة كيفما كان الحال وكل ذلك ينافي ما ينبغي ان تكـون عليه علاقة الانسان بأخيه الانسان من الرفق والرحمة والاحســـان .

ومنها منعه للاحتكار سواء كان المحتكر فردا او جماعة لما يؤدي اليه من سيطرة على المادة او الانتاج المحتكر ، والتصرف فيه بما يوافق مصلحة المحتكر ويضر بالمستهلك كرفع ثمن البضاعة او تسويقها الى الجهة التي تدفع مقابلا اكثر فتقل فى محل انتاجها ، وهنا تدخل مسالة التأميمات التي غالبا ما تكون لجر النفع الى السلطة المؤممة ، فبينما تكون المادة ، وهي حرة بثمن لا يرهق ميزانية المستهلك ، تصبح وهي مؤممة بثمن يضطر معه المستهلك الى الاقتصاد فى استعمالها ، ومن السخرية بالمواطنين ان يسمى هذا العمل فى الانظمة التي تاخذ به اشتراكية .

ومنها منعه للغش والغرر ، وهو بـــاب تدخـــل تحته جزئيات ومسائل كثيرة مبينة فى كتب الفقـــه وكلها تدور على نفي الضرر بالغيـــر فى المعامـــلات المالية والتجارية وما اليهـــا .

ومنها حمايته للملكية الفردية سواء كانت مالا ناضا او عقارا او ارضا فلاحية او غيرها ، كبـرت او صغرت بشرط ان تكون متأتية من وجـــه شرعـــي ، وبهذا يختلف التشريع الاسلامي فى الملكيـــة عـــن التشريع الذي يهتضمها بدون حـــق ، والتشريـــع الذي يحميها ولو دخلتها الشبهات .

ولما كان المال هو عصب الاعمال فى كل نظام اقتصادي فان المشرع الاسلامي اولاه عناية فائقـــة ونظم طرق تحصيله والمحافظة عليه والتعامـــل بـــه بقواعد غاية فى الانضباط والتحري لمصلحة العموم ، وحسبنا ان نشير الى ما الف فيه من كتب قيمة مثل كتاب الخراج لابي يوسف وليحي بن آدم ولقدامـــة وكتاب الاموال لابي عبيد وغيرها ، ولعلها اول ما الف من نوعها او من اولـــه .

وهناك تآليف وكتابات فى مسائل فرعية مثـــل النقود او ما يسمى بعلم النميات ، وفيه عدة تآليـــف قديمة (1) ودور السكة اي ضرب النقود وقوانينها(2) والسفتجة وهي الحوالة المالية ، والصك ومنه اخذت كلمة الشيك فهي عربية الاصل ، وكفى بهذا دليلا على عراقة نظام الاقتصاد فى الاسلام وشموليته .

واليوم تدرس مادة الاقتصاد الاسلامي باستقلال فى بعض جامعات الشرق ، وكانت قبـــل تدرس ولا تزال فى ضمن احكام المعاملات فى كل معهد اسلامي، وعما قريب يفتح البنك الاسلامي الدولـــي أبوابـــه للمعاملات البنكية بدون فائدة فى عدة عواصم عربية(3)، وقد انشىء فعلا فى دبي بنك عربي على هذا الاساس، واعلنت التعاونية الاسلامية اللاربوية فى احمد آبـــاد بالهند عن نجاح تجربتها النجاح الكامل (4) »»» وبهذا نرد على من ينكر ان يكون هناك اقتصاد اسلامي وعلى الذين يقولون ان التقدم الاقتصادي مرهون بالنظـــام الراسمالي الربوي .

واذا كانت الدعوى الاولى من البطلان بحيـــث لا تستحق الاستماع لها ، فان الدعوى الثانية كثيرا ما يغتر بها من لا علم له بحقائق الامور ولذلك ينبغـــي الوقوف عندها قليلا لتمحيصها وبيان ما فيها مـــن مغالطة وانكار للواقع وايحاء بما يضمـــن استمـــرار التبعية المفروضة على الاقتصاد الاسلامي للاقتصاد الغربـــي .

واعظم ما نرد به على هذه الدعوى هـــو ما كان عليه اقتصادنا من ازدهار ونمو ايام ترعرع الحضارة الاسلامية فى دمشق وبغداد وقرطبـــة والقيـــروان

---

(1) انظر كتاب النقود العربية وعلم النميات ، نشر الاب انستاس الكرملـــي .

(2) منها كتاب الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة نشره حسين مؤنس وكتاب الاصداف المنفضة عن حكم صناعة دينار الذهب والفضة للجزنائي(مخطوط خاص) .

(3) فتح بالفعل اولا فى جدة بالمملكة السعودية وثانيا فى مصر باسم بنك الملك فيصل وتتخذ الاجراءات لفتحه فى لندن حيث تهافت البريطانيون على الاشتراك فيـــه .

(4) وذلك سنة 74 — 75 وجاء فى نشرتها انها قدمت قروضا للمتعاملين معها بدون فائدة كانت لـــو دفعت تبلغ عشرات الآلاف من الروبيات .

ومصر وفاس ، وكان محور المبادلات التجارية والمالية والانتاج الصناعي يرتكز على هذه العواصم والدنيا تبع لها حتى كان ذلك سببا في قيام الحروب الصليبية التي ظاهرها العداء الديني وباطنها الاستيلاء على مصادر الثروة والتخلص من التبعية الاقتصادية للشرق (5) ، واستمرار المقاومة للهيمنة الاسلامية على الغرب اقتصاديا حتى بعد انتهاء الحروب الصليبية ، وكان من ابرز الاحداث في ذلك اكتشاف طريق الرجاء الصالح للوصول الى الهند والاستغناء عن الوساطة الاسلامية في النقل والتجارة الدولية(6)

واذا كانت مداخيل الدولة تعرف من رصيدها الذي يفضل عن النفقات الاجمالية لدفعها وتسيير مصالحها العامة فان اعطاء بعض الامثلة عن هذا الرصيد ، يدلنا على ما بلغته الثروة في البلاد الاسلامية عهدئذ من وفرة وسعة ، وذلك فيما يحدثنا عنه الصابي صاحب كتاب الوزراء ، مثل رصيد بيت المال الذي تركه هرون الرشيد عند وفاته ويبلغ ثمانية واربعين الف الف دينار ، ومثل رصيده ايام المعتضد وقد بلغ تسعة آلاف الف دينار ، ومثل رصيده ايام المكتفي وكان اربعة عشر الف الف دينار (7) .

وكان مستفاد بيت المال في قرطبة على عهد المروانية من دار السكة بحسب الضريبة التي تفرض عليها مائتي ألف دينار في السنة (8) .

وفي المغرب كانت مدينة اغمات في القرن الثالث والرابع الهجري تمتاز بحركة تجارية عظيمة وكان اهلها ذوي اموال ويسار حتى انهم كانوا يجعلون على ابوابهم علامات تدل على مقادير اموالهم (9) مما يشبه المؤسسات والمصارف المالية الكبرى اليوم ، وفي القرن العاشر كان بدار السكة للسلطان احمد المنصور الذهبي اربعة عشر مائة مطرقة لضرب الدينار الذهبي الوهاج (10) .

وهذه المقادير التي ذكرناها على سبيل المثال، اذا اعتبرت بعملة اليوم ارتفعت قيمتها الى ما يفوق عشرات المئات في المائة كما لا يخفى ، ومن ثم نعرف مبلغ الرفاه الذي كان المسلمون يعيشون فيه هم ونزلاء بلادهم من اهل الاديان والملل والجنسيات الاخرى ، وكل ذلك مما يدل على ارتفاع منسوب الثروة الوطنية والدخل الفردي ، والرفاهية التي كان المجتمع الاسلامي ينعم بها ، وهو امر تعكسه قصص الف ليلة وليلة التي صارت مثلا يضرب في هذا الباب، بالنسبة الى المشرق ، وما يجري على الالسنة من التمثل بحياة اهل غرناطة في خفض العيش وبلهنيته بالنسبة الى المغرب .

والجدير بالذكر ان هذا الواقع لم يكن فيه للربويات اثر ، وان اسلافنا الذين عاشوه وتمتعوا بخيراته ، لم يكونوا يعرفون الربا الا فيما يتدارسونه من حرمة التعامل به واهدار ما يحصل منه من غير قصد في صفقة من الصفقات ، او صورة من صور المعاملات ، ولقد بلغ من حرصهم على سلامة بيوعاتهم ومعاملاتهم من ان تشوبها شائبة منه انهم كانوا يامرون باقصاء من يجهل احكام البيوع عن اسواقهم خوفا من الوقوع في شيء من الربا (11) فهل منعهم هذا من ان يزدهر اقتصادهم ويبلغ ما اشرنا اليه من النماء والاتساع ؟ .

وما بالنا نذهب بعيدا ؛ وهذه دول المعسكر الاشتراكي قد منعت التعامل بالربا بتاتا ، ولا احد يقول ان اقتصادها بسبب ذلك قد تدهور ، وانها ليست في تقدم ، ومنها من ينافس اكبر دول العالم

---

(5) كان الصليبيون الذين يدعون الى تحرير قبر المسيح وبيت المقدس من يد المسلمين يعدون المتطوعين بتملك الاراضي التي تدر عسلا ولبنا ، وذلك ما أثار الامراء والمغامرين من اهل اوربا للمشاركة في الحروب .

(6) اكتشف البرتغاليون طريق راس الرجاء الصالح سنة 1488 بالشاطيء الشرقي للقارة الافريقية ومنه نفذوا الى الهند .

(7) كتاب الوزراء للصابي ص 10 وما بعدها .

(8) تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ج 1 ص 217 .

(9) خريدة العجائب ص 17 وانظر الحلقة 24 من ذكريات مشاهير رجال المغرب .

(10) النبوغ المغربي ج 1 ص 237 .

(11) انظر الاختصار للشيخ كنون ج 5 ص 2 .

التي يقوم اقتصادها على النظام الراسمالي بربوياتــه واحتكاراته ، ويكاد يبزه فى مجالات العلم والاختراع ولا سيما فى الانتاج الحربي وغزو الفضاء ومن العار علينا نحن المسلمين ان نستدل على عبقرية تشريعنا وصحة ديننا بمن لا يومن به ولا يالــو جهــدا فى محاربته ، كما انه من السخرية بانصار الراسماليــة الذين يروجون للربا بانه لا غنى عنه للاقتصاد العصري ان نبطل دعواتهم بما عليه الاقتصاد الاشتراكي مــن نمو وازدهار ! ،،

ثم ان منع الاسلام للربا وتحريمه لكثيره وقليله يهدف لغاية انسانية نبيلة ، وهي عــدم استغــلال الانسان لاخيه الانسان ، سواء كان من ملته او من ملة اخرى ، وتكوين مجتمــع فاضل يقــوم على أساس التعاون والتعايش ومجانبة اسباب العداوة والبغضاء، ولذلك جعل بديل الربا هو القراض الذي تقتسم فيه المنافع والمضار ان وجدت ولا يستبد الجانب الذي يعطي المال بالمنفعة دون الذي ياخذه كما هو الحال فى الربا ،،، وهذه الغاية لم يتوخها أي من النظامين الراسمالي والاشتراكي ، اما الراسمالي فأمر ظاهــر وبناؤه على الحسابات المدققة والتقديرات المتوقعة، يجعلنا لا نشك فى انه انما وضع لمصلحة صاحــب المال وفائدته الخاصة من غير نظر لما يتعرض لــه المقترض من ضرر ، ولا مبالاة بالنتائج التي تترتب على التزاماته ، فكان الشاعر الذي قال : « مصائــب قوم عند قوم فوائد » انما عنى حالة الطرفين المتعاملين بالربــا .

واما الاشتراكي فانه راى الفوائد الجمة التــي يحصل عليها اصحاب الاموال والمصارف فى النظام الراسمالي من المعاملة بالربا فحولها لنفسه ولحسابه، حين امم المصارف ومنع التعامل بالربا اطلاقا سواء بين الافراد او بين المؤسسات المالية مــن مصارف وغيرها وبين الناس فليس غرضه هو غرض الاسلام ، ولا حرصه على الصالح العام ، ولكنه امر ينطبق عليه المثل القائل : « لنفسه بغى الخير » .

وبيان ذلك بعبارة مبسطة ان فكرة المصارف تقوم على انشاء جماعة من اصحاب المال او ممــول منفرد لمصرف بمبلغ معين ، وحسب الانظمة المتبعة فى ذلك ، وهي انظمة كلها فى صالح اصحاب المصرف، وتتمتع بحماية الدولة والقضاء ، فاذا كان المبلغ مائة مليون مثلا والودائع مائة اخرى باقل تقديــر ، فان استثمار هذا المال ولو فى القرض فقــط يدر على اصحاب المصرف اضعافا مضاعفة من راس مالهم ، علما بان الفائدة التي يعطونها لاصحاب الودائــع لا تتعدى الواحد او الواحد ونصف فى المائة ، والتي يأخذونها من المقترضين لا تقل فى الغالب الاعم عن 10 ٪ فكيف اذا زادت ؟ وهذا بقطــع النظر عــن الاستثمارات الاخرى التي يكون مردودها اكثر مــن ذلــك .

فغاية الامر ان ما كان ياخذه جماعة مخصوصة من ارباح المصــرف فى النظام الراسمالي ، أصبحت الدولة هي التي تاخذه فى النظام الاشتراكي وهذا ان ابقت لاصحاب الودائع على شيء والا فالامر ادهــى وامــــر .

ويتشابه امر المصارف وشركات التامين ، بل ان هذه يكاد امرها يكون ربحا بلا راس مال ، فطلبات التامين تتوارد عليها بدون انقطاع ، وهي امــوال لا يعلم احد ما عند الشركات فى مقابلها ، الا الواجهــة والتجهيزات المكتبية . والتعويضات التي يطالب بها المؤمن عند وقوع موجبها انما تخرج من ثقب الابــرة وبعد التي واللتيا ، وهكذا يتمثل استغــلال هــذه الشركات للزبناء المضطريــن فى ابشع المظاهــر ، ولذلك يحرم الاسلام كل انواع التامين مــن هــذا القبيل ، ولا يجيز الا التامين التعاوني الذي لا استغلال فيه ولا ربا .

ان الاثراء الفاحش على حســاب المقتــرض المسكين ولو كان فيما يظهر غنيا هو الغرض الوحيد من عملية الربا الخطيرة فى جميــع صورها ، ولــو انحصر خطر هذه العملية فى الاثراء ، لهان الامــر ، ولكن لنذكر ما يتبع ذلك من رفع فائدة القرض كلمــا عجز المقترض عن الدفع ثم المحاكمــات فالحجــز فالتفليس ،، وقد ذكرنا آنفا ان الانظمة والقوانيــن والحكم تعتبر فى خدمة صاحب المال وتعمــل على حمايتــــه .

ومن دون ان ندخــل فى التفاصيــل ولا ان نستعمل الالفاظ الاصطلاحية التي تخول لصاحــب المال الحق فى هذه المعاملة المتعفنة نشير الى ان الربا قل او كثر لا ينفصل عن هذه النتيجة ، ويخطىء الذين يفرقون بين الفائدة القليلة والفائدة الكثيرة ولا سيما الاسلاميون الذين يستندون الى الآية الكريمة القائلة : « يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافــا

مضاعفة » (12) فاسلام حرم الربا قليلة وكثيرة وهذه الآية تقابلها آيات اخر مثل قوله تعالى : « واحل الله البيع وحرم الربا » (13) فاطلق ولم يقيد بكثير ولا قليل ، ومثل قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين» (14) فعبر بما التي تصدق بأقل شيء وجعلها مكتنفة بأمر وشرط لتحقيق الايمان الذي يتنافى مع التعامل بالربا .

على ان ذكر الاضعاف المضاعفة في الآية انما هو لمزيد التشنيع والتقبيح لهذا النوع من الربا ، وليس لان غيره جائز فهي شبيهة بآية : « ولا تقتلوا اولادكم من املاق » (15) او (خشية املاق) (16) اذ ان قتلهم لغير ذلك هو من المنهي عنه ايضا ولا يجوز بحال ، والربا يدخله التضعيف بكل وجه من التاخير ونحوه (17) ،، وقد كان عندنا بطنجة دار رهن لاحد الاجانب يرهن الاشياء بفائدة قرش اى نصف درهم حسني في الشهر لكل ريال ، وفي الريال عشرون قرشا كما هو معلوم ، فيجيء من ذلك 60 ٪ في العام، وغالبا ما كانت الرهونات تغلق عنده ، وفي آخر السنة يبيعها بأي ثمن كان فيحقق ارباحا طائلة من ذلك ، فانظر الى تفاهة هذا الرسم في الظاهر الذي كان يشجع المحتاجين على رهن امتعتهم كيف تضاعفت نتيجته في النهاية ولذلك كان سببا في خراب عدة بيوت ! ...

وكما رأينا في هذا المثال فان الربا غير قاصر على القرض ، بل يدخل كثيرا من المعاملات ، ولذلك حرم الفقهاء الجمع بين عقد البيع وعقود القرض والصرف والشركة والجعل والمساقاة والقراض والنكاح ، وذلك لتنافي احكامها فان القرض سبيله الاحسان ، والصرف حكمه المناجزة ، والشركة بقاء تصرف البائع ، والجعل عدم اللزوم ، والمساقاة والقراض جهل العوض ، والنكاح مبني على المكارمة ، بخلاف البيع في جميع ذلك (18) .

واصل هذا كله حديث (لا ضرر ولا ضرار)(19) الذي عليه مدار احكام الشريعة الاسلامية كما يقول العلماء وتأمل في الفروع المختلفة التي الحقها الفقهاء بالربويات كبيع نقد بنقد أو طعام بطعام مع النسأ مطلقا ، ومع الفضل ان اتحد الجنس (20) ، وفي الفروق الدقيقة بين بعض المسائل كجواز استغلال الرهن ان كان في دين من بيع لا من قرض لان هذا سلف جر نفعا وهو ممنوع (21) ، وهكذا نجد أحكام المعاملات في الاسلام تحتاط للحقوق بما لا مزيد عليه ، وتقيم لها ميزانا قسطا حتى لا يطغى جانب من المتعاملين على جانب وجماع ذلك هو منع انواع الغش والغرر والمضارة والاستغلال .

ومن ثم حرم القمار ومنه اليانصيب فان فيه من الغرر المفضي الى التلف ما لا يخفى ، والفائز فيه انما يأكل اموال الناس بالباطل ، وكل من له همة وخلق ودين يأبى ان يكون كذلك ، وبما أن الامر في سياسة الامة وبناء المجتمع يرتكز على القولة المروية عن عثمان بن عفان رضي الله عنه وهي ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرءان ، فان المشرع الاسلامي لم يدع هذه الاحكام لتصرفات الناس بل حررها تحرير الجوهر والزم المتعاملين بها الزاما لا ترخص

---

(12) سورة البقرة 275 .
(13) سورة آل عمران 130 – 275 .
(14) سورة البقرة 278 .
(15) سورة الانعام 151 .
(16) سورة الاسراء 31 .
(17) تفسير ابن عطية ج 3 ص 228 .
(18) شرح التاودي على التحفة عند قولها : وجمع بيع مع شركة الخ .
(19) رواه الامام أحمد وابن ماجة .
(20) الشيخ علي الاجهوري :

ربا نسأ في النقد حرم ومثله	طعام وان جنسا هما قد تعددا
وخص ربا فضل بنقد ومثله	طعام ربا ان جنس كل توحدا

(21) الشيخ خليل : وجاز شرط منفعة ان عينت ببيع لا قرض .

فيه ؛ وهو يرمي من وراء ذلك الى حفظ الحقـوق واقامة ميزان العدل بين الناس مع التربية الخلقيـة ومراعاة الجانب الانساني الذي لا خير فى قانـون ينسلخ منـه .

« .. ومن هنا يظهر الفرق العظيم بين النظام الاسلامي والانظمة الاخرى ، فبينما نجـد النظـام الراسمالي يهدر جانب الاخلاق ولا يهتم الا بمصلحة الفرد متمثلة فى الربح الفاحش الـذي تجره لـه المعاملات الربوية المحمية بالانظمة الجشعة وسلطة القانون ، والنظام الاشتراكي يتجاهل مسألة الاخلاق اذ يفسر الحياة بما فيها من اقتصاد وغيره تفسيرا ماديا بجعله يبسط اليد بكيفية تعسفية على امـوال الناس وارادتهم ، نرى النظام الاسلامي يتسم بالرحمة والعطف والرفق فيقاوم الاستغلال بجميع انواعـه ويدفع الظلم والحيف والضيم عن المحتاج والمعسر والمضطر ناظرا اليه نظرة انسانية تحول بينه وبين التسخير من طرف القوى المعتد بماله واعوانـه ولا تجعل له عليه من سبيـل » .

وبذلك عاش المسلمون فى مجتمـع تطبعـه الاخوة والمودة والصفاء ، لم يعرف حرب طبقات ولا اقطاع ، لان هذه الحرب انما تنشأ عـن الاستئثـار والاستغلال وتسخير الضعفاء لفائدة الاقوياء ، وهـو امر لم يحصل فى تاريخ الاسلام ولا أقره المسلمـون قط ، فقد كان العلماء والمصلحون بالمرصاد لكـل طاغية تحدثه نفسه بالخروج عن شريعة الله ومحاولة التسلط والقهر للجماهير الشعبية ، بأخذ اموالها من غير حق ، حتى انهم لم يقروا فى وقت من الاوقات ، ضريبة الاسواق المعروفة بالمكس ، وكثيرا ما قامت الثورات عليها من العامة بتحريض من الفقهاء فيؤول الامر الى ابطالها ، ولنا فى فرض الزكاة اعظم دليـل على حرص الاسلام وعمله لملاشاة الفوارق بين الاغنياء والفقراء اضافة الى ما يسمى بفرض الكفاية ، مـن سد حاجات الطبقات الضعيفة فى الاكـل والملبس والسكنى ، الى تجهيز أمواتهم فى النهايـة ، ذلـك الفرض الذي يتوجه الخطاب فيه الى ولاة الامر ، فان لم يقوموا به فالى جماعة المسلمين ، فان ضيعـوه أثموا جميعـا .

ولا غرو ، فالاسلام رسالة السماء التي أتى بها الانبياء والمرسلون من عند الله عز وجل ، وأيدهـ الحكماء والمصلحون من جميع الامم والشعوب ، اما الانظمة التي تحاربه فهي من وضع سماسرة السياسة واقطاب الاحتكار والمرابين اليهود ، ومـن كان على دينهم فى عبادة المال وخرب الذمم والاخلاق ، فكيف تقاس به وبينها وبينه ما بين السماء والارض ! ».

ولعلنا ونحن انما اردنا ان نبين ان الاقتصـاد الاسلامي حقيقة ثابتة لا مرية فيها قد تجاوزنا ذلك الى بيان انه اقتصاد متميز ، لا يسفل الى درك الاستغلال والابتزاز الذي عليـه الاقتصـادان المتنافسـان الراسمالي والاشتراكي ، وانه يعلو ولا يعلى عليه » ، فليخرس الذين يقولون بعدم وجـوده ، وليخجـل المنتسبون الى الاسلام الذين يقولون انهم اشتراكيون اقتصاديا لا عقائديا ، اما الذين يتوهمون ان لا ازدهار لاقتصادنا الا باتباع أساليب الغرب وانشاء المصارف الربوية ، فعساهم أن يكونوا قد رجعوا عن وهمهم ولهم فى البنك الاسلامي الذي ينتشر اليـوم فى البـلاد العربية خير بديل والله الموفق .

منع الاسلام للربا وتحريمه لكثيره وقليله يهدف لغاية انسانية نبيلة ، وهي عدم استغلال الانسان لاخيـه الانســان .

من اعلام الاندلس



القاضي أبو بكر بن العربي

(468 - 543 هـ)

- 16 -

للأستاذ سعيد أعراب

ح ـ في الرحلات والسير :

يعتبر ابن العربي اول من وضع اسس الرحلات بالغرب الاسلامي (1) ، فهو اول مغربي وصف رحلته الى المشرق وصفا دقيقا ، تتبع مراحلها ، وذكر البلاد والمشاهد التي زارها ، ودون الاحداث التاريخية التي عاشها ، والحركات العلمية والحضارية التي شاهدها ... ولم يقتصر على ذكر الشيوخ ورواياتهم كما فعل أصحاب البرامج والفهارس .

74 ـ وكتابه « ترتيب الرحلة ، للترغيب في الملة » ـ طراز فريد ، نوه به كثيرون ، في مقدمتهم ابن خلدون (2) .

والكتاب يعتبر مفقودا الى الآن ، وربما ضاع على عهد المؤلف ـ كما تفيده عبارته :

(... فلما شذ في معرض المقادير ، واستلبته الحوادث ، بما سبق في علم الله من التدبير ، رأينا ان نجدد ما سلم في الرقاع الموجودة مع ما حضر في الذكر ، ليكون عنوانا لما جرى ، وتنبيها على فضل ما تأوب وسرى (3) ...)

وقد اثبت خلاصته في مقدمة كتابه « قانون التأويل » ، وقد تحدثت عنه بشيء من التفصيل في صدر هذا البحث (4) .

75 ـ وجرد اوراقا منه اسماها « شواهد الجلة والاعيان ، في مشاهد الاسلام والبلدان » ـ جاء في مقدمتها : (.. ولما سبق خير القضاء برحلتي الى تلك المشاهد الكريمة ، وحلولي في تلك المقامات العظيمة ، دخلتها ـ والعمر في عنفوانه ، والغصن بأفنانه ، والكتاب مختوم بعنوانه ؛ ومعي صارم لا اخاف نبوته ، وحصان لا اتوقع كبوته ؛ اب في الرتبة ، وأخ في الصحبة ؛ يستعين ويعين ، ويسقي من النصيحة بماء معين ، وزوى الله ـ بفضله ـ عن قلبي كل بطالة ، وكشح عن فؤادي كل جهالة ، فجنيت من كل شجرة زهرة ، ووعيت من كل صنف غورة ، وكشفت عن كل خفاء غوره ، وافتقرت من كل فن فقره ؛ حسبما فسرته وأوضحته ، وشرحته وبينته ، وقررته ونزلته ؛ ـ في كتاب : « ترتيب الرحلة ، للترغيب في الملة » ، وذكرت فيه لقاء الاعيان لنا ، وسير الفضلاء معنا ، ولحظهم لجانبنا

(1) انظر تاريخ الادب الجغرافي العربي ـ للعالم الروسي : ا. ي. كراتشوفسكي ج 297/1 ـ 298 .
(2) انظر المقدمة ص 1017 .
(3) انظر قانون التأويل ورقة 2 ـ مخطوطة خاصة.
(4) انظر الاعداد : 1 ـ 2 (مزدوج) و ع ع ، و 5، و 6 ـ 7 (مزدوج) من السنة 14 .

بناظر التعظيم، ومقابلتهم ورودنا بالتجليل والتكريم ... واتبعناهم جملا من طرائفهم، ولمعا من فرائدهم، ما تتأرج به أصائل الايام، ويجلو نوره ديجور الظلام، وكان ذلك امرا يطول النظر فيه، ويذهل الشادي بخواتمه عن مباديه؛ فاستخرت الله تعالى ـ على تجريد هذه الاوراق ـ بـ « شواهد الجلة والاعيان، فى مشاهد الاسلام والبلدان » (5).

وقد ضمنها بعض رسائل شبه رسمية، منها:

1 ـ رسالة ابي محمد بن العربي والد القاضي ابي بكر ـ الى الخليفة المستظهر بالله، تحدث اليه فيها عن اعمال المرابطين، وخدماتهم للاسلام ... تقع فى 75 سطرا، وهي مؤرخة برجب سنة (590هـ).

2 ـ مرسوم الخليفة:

اصدر الخليفة مرسوما بتاريخ رجب (591 هـ)، يتضمن التقليد الرسمي للامير يوسف بن تاشفين.

3 ـ مرسوم آخر:

واصدر الوزير الاول ابن جهير مرسوما آخر باسم الخليفة ـ وهو مطول، يعرض بالتفصيل لكل النقاط التي جاءت فى الخطاب المرفوع الى مقام الخليفة، ويوصي الامير ابن تاشفين بابن العربي وولده ابي بكر: (... فليعتمد الامير ـ اطال الله بقاءه ـ مصالح امورهما، وليتوخ ما تعود باستقامة شؤونهما، وليبوئهما حسن موضع النيابة عنه، وليبذلهما صفحة الاقبال منه ..).

4 ـ رسالة الغزالي يحض فيها ابن تاشفين على التمسك بالعدل ...

5 ـ فتوى الغزالي فى شأن الذين قاموا ضد ابن تاشفين، وقالوا انه لا تجب طاعته لكونه ليس من قريش، ولا له عهد من الخليفة ...

6 ـ رسالة الطرطوشي ـ وهي مطولة فى نحو عشر صفحات، يوصيه فيها بتقوى الله وطاعته، واشاعة العدل بين رعاياه ... وهو فى ضمن ذلك يعزز راي الغزالي فى فتياه.

وقد تحدث عن هذه الرسائل ومغزاها السياسي فى اعداد سابقة (6).

76 ـ « اعيان الاعيان » (7) ـ ذكر فى «قانون التأويل » ـ باسم « عيان الاعيان » (8).

77 ـ « فهرسته » (9).

78 ـ « معجم مشيخته » ـ كذا سماه ابن الابار فى « معجم اصحاب الصدفي » (10) ولعله هو الذي يعنيه ابن خير فى فهرسته بقوله: (كتاب فيه جملة من شيوخ الحافظ القاضي ابن العربي، وهم احد واربعون رجلا، خرج عن كل واحد منهم حديثا) (11).

وهو غير فهرسته (12)، لان ابن خير ذكر كلا منهما على حدة ـ وهو بصدد تعداد ما يرويه عن ابن العربي.

79 ـ « مذكراته اليومية » ـ ويسميها « زمام المياومة » (13).

ـ ومن مؤلفات ابن العربي فى السيرة النبوية:

(5) انظر مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم: (1020 ـ د).
(6) انظر العددين: 8 و 9 ـ من السنة الرابعة عشرة.
(7) انظر طبقات الداودي 165/2، وايضاح المكنون 105/1، والنفح 232/2، والسلوة 198/3، والاعلام لعباس بن ابراهيم 11/3.
(8) انظر ورقة 10 ـ ب ـ (مخطوطة خاصة).
(9) انظر فهرسة ابن خير ص 411، و ص 427، وفهرس الفهارس 229/2.
(10) ص 242، وانظر تذكرة الحفاظ للذهبي ص 1272.
(11) انظر الفهرسة ص 166.
(12) خلاف ما ذهب اليه الدكتور عمار طالبي فى كتابه « آراء ابي بكر بن العربي الكلامية » ص 82. وانظر فهرسة ابن خير ص 166، و ص 411، وص 242.
(13) انظر العارضة 307/3، و ج 138/10.

80 ـ خصائصه ومعجزاته ـ صلى الله عليه وسلم ، وقد انهاها الى الف معجزة ، ادرجها في تفسيره الكبير « انوار الفجر » (14) .

81 ـ « تنبيه الغبي، على مقدار النبي » (15).

82 ـ كتاب النبي ـ جمع فيه اسماءه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الكتاب والسنة (16) .

83 ـ نعله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما ورد في ذلك (17) .

84 ـ « تبيين الصحيح ، في تعيين الذبيح » (18) .

ـ ادرجه ابو العباس العزفي في كتابه « الدرر المنظم » (19) .

ـ ونسب له بعضهم ـ خطا ـ « مختصر السيرة النبوية » ، والصواب انه لابي العباس احمد ابن فارس ـ برواية (20) القاضي ابي بكر بن العربي .

وفاتني ان اذكر بعض مؤلفات ابن العربي في موضعها المناسب ، وهي ـ كما يلي :

85 ـ كتاب « الحق » ـ ذكره في العارضة(21)

86 ـ « كتاب النكاح » (22) .

87 ـ « عدلاء الحديث » ذكره في « سراج المريدين » (23) .

88 ـ « خبر الواحد » ـ ذكره في الاحكام (24)

89 ـ « ترك الوافد ، ونهل الوارد » ـ اشار اليه في العارضة (25) .

90 ـ « تقويم الفتوى ، على اهل الدعوى » ـ ذكره في الاحكام (26) .

91 ـ « مسائل الصحبة والعزلة » ـ اشار اليه في « قانون التأويل » (27) .

92 ـ « السياسات » (28) .

الـوان من آرائـه :

ابن العربي مفكر جريء ، وصاحب عقل حصيف، له انتاج خصيب ، وذو الوان شتى من الثقافة ، فهو مفسر ، ومحدث ، ومقرىء ومتكلم ، وفقيه ، واصولي، ونحوي ، ولغوي ، ومتادب ، وله في كل فن من هذه الفنون آراء بعضها عن استقلال شخصي ، وبعضها عن مقارنة واختيار وترجيح ...

ومرت طائفة من آرائه في تحليل بعض كتبه ،

---

(14) العارضة 293/2 ، و ج 175/12 ، و ج 152/13 .
(15) انظر الاحكام 25/2 و 74 .
(16) الاحكام 191/22 .
(17) العارضة 272/7 .
(18) الاحكام 195/2 ، وايضاح المكنون 224/1 ، وسماه عباس بن ابراهيم في الاعلام 96/4 بـ «القول الصحيح ، في تعيين الذبيح » .
(19) توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط رقم 14695 ، وبالخزانة الملكية 816 ، وبالخزانة اليوسفية رقم 883 .
(20) توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط ـ ضمن مجموع رقم ك 250 ـ وهي مبتورة الاخير . وانظر خلال جزولة 78/2 ـ 79 .
(21) انظر ج 51/4 .
(22) ضمنه فرائضه وسننه وآدابه ، وتوجد نسخةمنه بدار الكتب المصرية رقم 79 ـ مجاميع .
(23) انظر ص 36 .
(24) انظر ص 577 ـ الطبعة الثانية .
(25) ج 125/2 .
(26)
(27) انظر ورقة 90 ـ 1 .
(28) انظر السلوة 200/3 ، والاعلام لعباس بن ابراهيم 11/3 .

وهذه انماط اخرى تتصل بالنحو ، والبلاغة ، والقراءات ، والفقه ، والكلام .

— في النحو :

لغة أكلوني البراغيث

يذكر علماء النحو ان الفعل اذا اسند الى اسم ظاهر — مثنى او جمعا ، وجب تجريده من علامة التثنية والجمع ، وجاء عن بعض العرب : (أكلوني البراغيث) قالوا : وهي لغة غير مشهورة ، ونسبها بعضهم الى طيء ، والبعض الآخر الىازدشنوءة (29) . ويرى ابن العربي انها لغة فصيحة مليحة ، وقد افتقر سيبويه الى ان يستشهد (30) فيها بأكلوني البراغيث، والقرءان وعامة الحديث يشهد لها (31) .

— في البلاغة :

الفصل بعد لا ...

يقول علماء البلاغة : انه لا يجوز الفصل بعد لا ، فلا تقول : لا ، يغفر الله لك ، والصواب — عندهم — ان تقول : لا ، ويغفر الله لك ، دفعا لايهام خلاف المراد (31) ، وهذه الواو — في رايهم — احلى من واوات الاصداغ — كما يقول الصاحب بن عباد (33) .

وابن العربي يرد عليهم بحديث اخرجه مسلم في مناقب سلمان ، جاء فيه قوله — صلى الله عليه وسلم: « يا ابا بكر لعلك اغضبتهم ؟ لئن كنت اغضبتهم لقد اغضبت ربك » . فأتاهم ابو بكر فقال : يا اخوتاه اغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا اخي (34) .

قال ابو بكر بن العربي : في هذا الحديث فائدة حسنة ، وهي اتصال كلمة لا جوابا في النهي مع الدعاء ، والعامة تكرهه ، فان قالته زادت الواو فتقول : لا ، ويرحمك الله ، والحديث حجة صحيحة في الرد عليهم (35) .

— في القراءات :

والقراءات غير متواترة

ذهب القراء الى ان القراءات متواترة ، وصرح بذلك ابو المعالي في البرهان ، وتبعه المازري في شرحه ، وخالف ابن العربي في ذلك ، وقال بعدم تواتر القراءات ، وايده في ذلك ابو الحسن الابياري احد شيوخ ابن الحاجب ، واطال ابو سعيد بن لب في ذلك (36) .

— ويرى ابن العربي انه يجوز تحسين القراءة بالقرءان ، والترجيع به والعيش به ، واخذ الاجرة على قراءته ، ولا اطيب منها ولا احل (37) .

— واختار تفضيل بعض الآي على بعضها البعض (38) .

في الفقه :

— لا يزار قبر ينتفع به غير (39) قبره — صلى الله عليه وسلم ، وقد يتنافى هذا مع ما نقله عنه العبدوسي من ان الخروج الى زيارة قبور الصالحين والعلماء — جائز — طال السفر او قصر (40) .

---

(29) انظر الاشموني ج 48/2 .
(30) انظر كتاب سيبويه ج 39/1 .
(31) انظر العارضة 71/9 .
(32) انظر شروح التلخيص ج 67/3 — 69 .
(33) انظر علوم البلاغة للمراغي ص 170 .
(34) انظر صحيح مسلم ج 173/7 .
(35) انظر العارضة 307/3 .
(36) انظر جامع المعيار للونشريسي ج 50/12—107 .
(37) العارضة 243/13 ، وانظر الاحكام 215/2 ، والقرطبي 110/1 .
(38) انظر القرطبي 110/1 .
(39) انظر النوازل الكبرى 48/11 ، واظهار الكمال 52/1 .
(40) انظر مرآة المحاسن ص 104 .

— ويرى ابن العربي ان يمين الغضب لا تلزم (41) لما روى : لا يمين في غلاق (42) .

— وافتى ان المراة ذات الاقراء لا تصدق في اقل من ثلاثة اشهر ، قال عمر الفاسي : وبفتوى ابن العربي جرى العمل (43) .

— ويرى وجوب الزكاة في التين — لانه مقتات مدخر ، كما يرى وجوب الزكاة في الزيتون (44) .

ذكاة اهل الكتاب :

ولابن العربي راي خاص في ذكاة اهل الكتاب ، قال : ولقد سئلت عن النصراني يفتل عنق دجاجة ثم يطبخها ، هل تؤكل معه ، او تؤخذ منه طعاما ؟ فقلت: تؤكل لانها طعامه وطعام أحباره ورهبانه ، وان لم تكن ذكاته هذه عندنا ، ولكن الله أباح طعامهم مطلقا ، وكل ما يرونه حلالا في دينهم ، فانه حلال في ديننا ، الا ما كذبهم الله فيه (45) .

وقد أيد قول ابن العربي هذا — الامام الحفار وقال : بانه واضح لا غبار عليه ، ومن انتقده لم يفهم مراده (46) .

— في الكلام :

سلفية ابن العربي :

قد لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان ابن العربي كان سلفي العقيدة والتفكير ، فهو يذهب — في أكثر آرائه — الى ما عليه الجماعة والسلف واهل السنة ، فقد خالف المعتزلة ، وهاجم الفلاسفة ، وغلاة المتصوفة ، واهل الاهواء والمبتدعة .. وكتابه « العواصم من القواصم » اكبر شاهد على ذلك ، ولا نطيل بايراد آرائه فيه (47) .

هل كان ابن العربي جبريا ؟

نسب اليه بعضهم القول بالجبرية (48) ، والجبرية — كما نعلم — القول بأن الانسان مجبر على افعاله ، وانه لا استطاعة له اصلا ، وهو قول جهم بن صفوان ، وطائفة من الازارقة (49) .

والذين اتهموا ابن العربي بالجبرية ، ربما استروحوا ذلك من قوله — وقد مهد لآية : « يا ايها الناس ، انا خلقناكم من ذكر وانثى » — : (ان الله لم يخلق الخلق بأجا (شكلا) واحدا ، ولا اوجدهم على صفة واحدة ، بل قدر ما قدر من الصفات والحالات ، ثم قسمها على الموجودات ، فجعل فيها الزيادة والنقص ، والمحبوب والمكروه ، والحسن والقبيح ، بحسب ما رتبه في معاني الدين والدنيا ، وانزله منزلتين : سفلي وعليا ، وساق الخلق الى ذلك قسرا ، واخبر عن كل ما خلق منهم بما جعل فيهم (50) ..) . او انهم اعتمدوا في حكمهم على ما اورده في كتابه « الاحكام » اذ يقول : (ان الاعمال كلها لله ، خلق وتقدير ، وعلم وارادة ، ومصدر ومورد ، وتصريف وتكليف) (51) .

والذي تفصح عليه كتبه ، وتنادي به آراؤه ، هو القول بالكسب لا بالجبر ، فقد جاء في كتابه

---

(41) انظر النوازل الكبرى ج 14/4 — 18 .

(42) وفي سنن ابن ماجة : « لا طلاق ولا عتاق في اغلاق » — يعني في غضب ، انظر ج 1 بحاشية السندي ص 630 .

(43) النوازل الكبرى ج 278/4 .

(44) الاحكام 323/2 .

(45) الاحكام ج 230/1 .

(46) النوازل الصغرى 258/1 ، والفكر السامي 116/1 — 119 .

(47) انظر « آراء ابي بكر بن العربي الكلامية » — للدكتور عمار طالبي .

(48) انظر ازهار الرياض ج 85/3 .

(49) انظر الفرق بين الفرق ص 211 ، والملل والنحل 85/1 .

(50) انظر العارضة ج 93/13 .

(51) انظر ج 119/1 .

« العواصم من القواصم » : « ان العبد مكتسب غير فاعل » (52) - وهي عقيدة اشعرية لا غبار عليها .

ويؤيده مافي كتابه (القانون في تفسير القرآن): (... ان الله - سبحانه - خالق اعمالنا ، مخترع اعيانها واعمالها ، ونحن مكتسبون لها ، قادرون عليها، **مختارون لها ، غير مجبورين عليها ، ولا مضطرين اليها ، وان المكتسب منا قادر على الحقيقة لما خلق الله كسبا له ، وانه مامور باكتساب الطاعة اذا كان** عاقلا بلغا ، ممدوح مثاب عليها اذا اكتسب ، مذموم معاقب على تركها ؛ ويقال للمكتسب انه مطيع عاص على الحقيقة ، عادل ظالم على الحقيقة - اذا اكتسب عدلا وظلما ، وكل ذلك مخلوق لله - تعالى ، وهي مضافة الى الله تعالى بالوصف العام والخلق ، والفعل مضاف الى المكتسبين بالوصف الخاص ، وهو كونه ظلما للظالم منا ، وجرما للمجرم - **خلاف مذهب القدرية والجبرية - وهو الصواب)(53).**

فهذا نص صريح نجد فيه ابن العربي يهاجم القدرية والجبرية ، ويزيف مزاعمهما ! فكيف يصح ان ينسب الى الجبرية والقول بها ... ؟ !

قولة ابن العربي : « ان الحسين قتل بسيف جده »

وشنعوا (54) على ابن العربي قولته التي مؤداها « ان الحسين قتل بشريعة جده » وهو لم يقل ذلك بغضا في آل البيت ، ولا تحيزا الى الجانب الاموي ، وانما اراد ان يقول : كان على الحسين ان يقبل نصيحة اعلم اهل زمانه ابن عباس ، وياخذ براي (شيخ الصحابة ابن عمر - ايثارا للعافية ، وحرصا على وحدة المسلمين : (... فلو ان عظيمها وابن عظيمها ، وشريفها وابن شريفها « الحسين » وسعه بيته ، ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق .. - لم يلتفت اليهم، وحضره ما انذر به النبي - صلى الله عليه وسلم - وما قاله في اخيه ؛ وراى انها خرجت عن اخيه - ومعه جيوش الارض ، وكبار الخلق يطلبونه ، فكيف ترجع اليه بأوباش الكوفة - وكبار الصحابة ينهونه وينأون عنه ... ؟) .

ويدلنا على ما كان لابن العربي من حب صادق في آل البيت - رغم ما قاله في جانب الحسين - هذه الكلمة التي يبكي فيها سبط الرسول ، وما اصاب عترته - صلى الله عليه وسلم - من أهوال ومصائب ، كانت قاصمة الظهر للمسلمين - : (.. فيا أسفا على المصائب مرة ، ويا أسفا على مصيبة الحسين الف مرة ، وان بوله يجري على صدر النبي - صلى الله عليه وسلم - ودمه براق على البوغاء ولا يحقن ، يا لله ، ويا للمسلمين ... ! اردنا ان تطهر الارض من خمر يزيد ، فأرقنا دم الحسين ، فجاءت مصيبة لا يجبرها سرور الدهر (55) ... ؟!)

اترجو امة قتلت حسينا
شفاعة جده يوم الحساب (56)؟!

وبعد : فهذه دراسة ، حاولت فيها ابراز اهم الجوانب من حياة الامام القاضي ابي بكر بن العربي - بالقدر الذي أسعفت به المصادر ، وعولت - أكثر - على آثاره ، وما يرويه هو بنفسه ، وارجو ان اكون وفقت الى ما اردت ، وعلى الله قصد السبيل .

تطوان : سعيد أعراب

---

(52) انظر ج 95/1 - طبع عبد الحميد البادسي .
(53) مخطوط القرويين رقم 926 - ورقة 68 ، وانظر العارضة 141/8 - 142 .
(54) انظر الاعلام لعباس بن ابراهيم ج 101/4 - 102 - نشر المطبعة الملكية بالرباط .
(55) انظر العواصم من القواصم ج 171/2 - 174 - طبع الجزائر ، و ص 228 - طبع مصر .
(59) انظر « درر السمط ، في خبر السبط » لابن الابار ص 57 - طبع تطوان .

من حقائق الدعوة الإسلامية وأباطيل خصومها

للدكتور عبد الله العمراني

لا يعزب عن بال احد ان اول مجهود فى سبيل الدعوة الاسلامية ، قام به خير الدعاة الى الله ، محمد ابن عبد الله ، عليه افضل الصلاة وازكى السلام . لقد جاءت دعوته الصادقة فى وضح من نهار الدعوات ، لا يشوبها اي ابهام او غموض ، وجاءت سيرته الفيحاء قطعة من الحياة الصادقة يضيء جنباتها نور من التاريخ الساطع ، يزيح عنها اي ظل من ظلال الشك الذي يخامر النفوس ، ويخالج الضمائر ، فيحيد بأصحابها عن جادة الحقيقة فيعزفون عنها ، ولا يرونها راى العين .

وهكذا نستطيع القول دون ان نخشى اى خلل او زلل ان حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم واضحة وضوح الشمس فى رائعة النهار ، وان كفاحه المجيد ، وجهوده فى سبيل نشر الدعوة الى دين التوحيد ، لا يمكن ان ترقى اليها اية شبهة قد تقلل من قيمتها او تقذف بها فى هاوية الريبة او الفرية او الاسطورة . ذلك اننا لا تفصلنا عن حياة نبينا الا فترة من الزمن وجيزة لا تتعدى الاربعة عشر قرنا ، وهي بعد تاريخي يسير فى حياة الشعوب بله الانسانية منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ، بشهادة نصوص كتاب الله العزيز (1) .

لقد ادى الرسول رسالة ربه غير منقوصة ، وتحمل في سبيل ادائها ما تقشعر له الجلود ، وتشيب لهوله الولدان ارادته القوية ، وعزيمته الثابتة ، وثقته العظمى فى الله ، استطاعت فى كفاءة واقتدار ان تصد مؤامرات المناوئين من اهل مكة ، الذين اعيتهم الحيل ، وبلغ بهم اليأس والوقاحة ايضا الى درجة ان ذهبوا مرة الى كافل رسول الله وحاميه ، عمه ابي طالب ، يريدون منه ان يسلم اليهم ابن أخيه ليقتلوه ويتخلصوا من دعوته الى الابد ، وقال صلى الله عليه وسلم قولته المشهورة التي نحن اليوم فى أمس الحاجة الى التمعن فى مدلولها ، والى ان نتأسى بها ، وتتخذها لنا دستورا ونبراسا نهتدى به فى حياتنا :

« يا عم ، والله لو وضعوا الشمس فى يميني ، والقمر فى يساري ، على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك دونه ، ما تركته » .

اهتز كيان ابي طالب لهذه العزيمة الروحانية ، واستيقظت الاريحية الهاشمية ، فابى على المكيين عرضهم الرخيص ، وأدانه ، وقال لابن اخيه مشجعا مطمئنا :

« اذهب يا ابن اخي ، فقل ما احببت ، فوالله لا اخذلك ، ولا اسلمك لشيء ابدا » .

---

(1) نقرا فى سورة البقرة (119) وسورة فاطر (24) قوله تعالى : « انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا » ، وفى سورة سبأ (28) نقرا قوله عز من قائل : « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .

لكن المناوئين لا ييأسون ولا يلقون السلاح بسهولة ، وهكذا تجدهم ذات يوم وقد اجمعوا امرهم ، واخذوا معهم عمارة بن الوليد بن المغيرة – اخا البطل المغوار سيف الاسلام خالد – وقالوا لابي طالب :

« هذا عمارة بن الوليد ، انهد فتى فى قريش واجمله ، فخذه ، فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا ، فهو لك ، واسلم الينا ابن اخيك ، هذا الذي خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومه ، وسفه احلامهم ، فنقتله ، فانما هو رجل برجل » .

اجاب ابو طالب مفندا وجهة نظرهم التعسة :

« والله ، لبئس ما تسومونني ! اتعطونني ابنكم اغذوه لكم ، واعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله ما لا يكون ابدا ، ارايتم ناقة تحن الى غير ابنها وتعطف عليه ؟ »

وتصدى احد المناوئين المتآمرين (المطعم بن عدى) ليقول لابي طالب فى لهجة يشوبها التبكيت والمساومة معا :

« والله ، لقد انصفك قومك ، واجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد ان تقبل منهم شيئا » .

فأجابه ابو طالب بكلمة تنضج صدقا وعزما وتحديا :

« والله ، ما انصفوني . ولكنك اجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي ، فاصنع ما بدا لك » .

وصنع اهل مكة ما بدا لهم ، وواصل محمد عليه السلام دعوته بجأش ثابت ، وعزيمة لا تلين ، فانتشر الاسلام بسرعة فائقة رغم كل العوائق ، ولم يلب الرسول نداء ربه فيلتحق بالرفيق الاعلى ، حتى كانت شبه الجزيرة العربية كلها تعتنق الاسلام ، وتعبد الله الواحد الاحد .

هذا نموذج حي من نماذج الدعوة الى الله ، استقيناه من مهد النبوة ، ومن منزل الوحي الالهي المقدس ، قام به خير الدعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اتبعه بنماذج أخرى عديدة ابرزها تلكم الرسائل التي بعثها خارج شبه الجزيرة الى الملوك والامراء المعاصرين له . وقد حذا صحابة النبي وخلفاؤه من بعده حذوه ، فدعوا الى الاسلام واستجاب لهم الناس سلما اكثر مما استجابوا لهم حربا .

وفى بلاد المغرب ، لم تكن الدعوة الاسلامية لتعاني من نقص او تقصير ، فقد ثبت ان المغاربة فى هذا الجناح الغربي من الوطن العربي ، قاموا بدور بارز فى مجال الدعوة الى الله ، كان دورهم يرتكز اساسا على المثال الطيب ، والقدوة الحسنة ، والممارسة الفعالة ، فرجال الدين ، واصحاب الطرق الصوفية ، والتجار ، كل اولئك اسهموا بقسط وافر فى تبليغ الدعوة وعناصر الحضارة الاسلامية الى مجاهل افريقية واصقاع آسيا وانحاء أوربا .

كان المغاربة من تجار وعلماء ومتصوفين وحجاج يغدون ويروحون عبر طرق مطروقة برية وبحرية تربط بين مدن المغرب الرئيسية وبين مراكز الحضارة والتجارة المنبثة فى جهات افريقية واوراسيا (اوروبا وآسيا) فأوصلوا الدعوة الى كثير من تلك الاصقاع النائية . تشير بعض كتب الرحلات الى ان بعض المغاربة قاموا بنشر الاسلام حتى فى جنوب شرقي آسيا ، حيث ما يزال يحتضن تراب جمهورية اندونيسيا – مثلا – رفات شخصيات مغربية يكن لها السكان منتهى الاحترام جزاء وفاقا لما اسدته للبلاد من خدمات اسلامية ، وما نشرته من تعاليم دينية سامية .

ولا يفوتنا فى هذا الصدد ان نذكر نموذجا للدعوة يعتبر احياء لما فعله رسول الله مع الملوك والامراء المعاصرين . يقدم هذا النموذج سلطان المغرب مولاي اسماعيل العلوي (1672 – 1727 م) الذي كاتب بعض ملوك اوروبا يدعوهم الى الاسلام ، دعا لويس الرابع عشر ملك فرنسا وهو فى اوج قوته. ودعا ملك الانكليز المخلوع جيمس الثاني (1685 – 1688 م) حيث وجه له رسالة يسدي له فيها نصيحته الدينية والدنيوية ، وتتمثل نصيحته الدينية فى دعوته الى اعتناق الاسلام (2) .

---

(2) تراجع تفاصيل الدعوة الاسلامية هذه فى كتابنا (مولاي اسماعيل بن الشريف : حياته – سياسته – مآثره) الصفحات : من 165 الى 175 .

ويذكرنا هذا بما قام به اثناء الحرب العالمية الثانية زعيم حزب مصر الفتاة الاستاذ احمد حسين، حيث كاتب ديكتاتوري اوروبا : فوهرر المانيا النازية ادلف هتلر ، ودوتشي ايطاليا الفاشيستية بنيتو موسوليني ، فدعاهما الى الاسلام ، وهما على وشك شرب كأس النصر حتى الثمالة .

وفى فترة من الزمن ، ضعف شأن المسلمين ، وذبلت أو كادت تذبل فيهم عاطفتهم الدينية ، وطمت موجة من التحرر او التحلل ، فعمت دنيا الناس ، حينئذ انعكست الآية ، وصار خصوم الدعوة الاسلامية يجوسون خلال الديار ، ويندسون فى حجرات الدراسة ، ليزعزعوا عقيدتنا الراسخة ، ويدعونا فى عقر ديارنا للارتداد عن ديننا الحنيف . وفيما يلي نورد امثلة لا نبغي من ورائها استقصاء :

1 ـ عاشت اجنبية فى تطوان سنين طويلة ، وكان الاهالي يطلقون عليها لفظة (طبيبة) ، كان المرضى يقصدونها وكانت تدخل كل البيوت ، وتقدم الجميع ما يحتاجون اليه مما يعرف فى الانكليزية بـ... اي الاسعافات الاولية . وكان المرضى عامة ، والنساء خاصة يعرفون أن النصائح الدينية التي كانت تشفع بها تقديم الادوية انما كانت بمثابة السم فى الدسم ، لذا كانت تمجها اسماعهم ، وتلفظها نفوسهم لفظ النواة ، فلم يكن ليؤثر فى (ايمان العجائز) مثل هذه الاقوال العابرة .

2 ـ حكى لي شاب هو الآن استاذ بمدرسة الفنون الجميلة بتطوان ، انه التقى يوما فى احدى مقاهي تطوان بسائح اجنبي من الارجنتين ، وتجاذب الشاب والسائح اطراف الحديث ، واستطرد هذا الاخير الى ذكر مسائل وشبهات دينية عالجها المتحدث بطريقة تنم عن روح التبشير . وسألت الشاب عن موقفه ، فأجاب بأنه كان سلبيا تماما ، ربما للمفاجأة ، ربما لعدم الالمام بالموضوع ، وربما لعدم الاكتراث . ورأيت من واجبي ان انور ذهن الشاب فى المسائل المطروقة ، وان أدحض الشبهات التي حام السائح حولها ، وكاد الشاب يقع فى شباكها . وأبدى الشاب ارتياحه ، وقال لي : لو كنت على بينة من هذا كله ، لكنت قارعت الحجة بالحجة .

3 ـ مثال آخر حدث لي بالذات : فى أوائل الستينات ، طرق باب منزلي شاب امريكي طويل القامة ، اشقر الشعر ، ازرق العينين ، يحمل فى يده حقيبة فيها كتب ونشرات وشرع يحدثني بالانكليزية ، فدعوته للدخول لتناول الشاي المغربي. وبعد تبادل الاسئلة المعتادة فى التعارف ، شرع محدثي يذكر مبادىء فرقته الدينية المتحررة ، وأراد ان يهديني بعض النشرات ويبيعني بعض الكتب ، فشكرته وابديت له رغبتي فى الحصول على نسخة من كتاب كنت احتاج اليه آنئذ فى البحث ، فوعد بتلبية الرغبة فى الزيارة القادمة ، وببيعه بثمن التكلفة المطبعية ، فكررت له شكري ، ووفى بالوعد ، ولم اعد اراه بعد ذلك .

وبعد مدة ، جاءني ـ بدله فيما اعتقد ـ شاب امريكي آخر ، لكنه هذه المرة كان اسود اللون ، ربع القامة ، جعد الشعر ، ولعله من سلالة زنوج افريقية الذين استوردتهم امريكا فى القرون الخوالي . وخشيت ان ادخل فى متاهة قد يصعب الخروج منها، لذا صددت الشاب ولم اسمح له بالدخول ولا بالمناقشة .

4 ـ والمثال الرابع يتمثل فى اعتزام جمعية تبشيرية فتح مركز تبشير لها فى مدينة تطوان . لاجل هذا اكترت محلا تجاريا ، وكتبت فوق مدخله بالخط العريض الجميل لفظة : البشارة . وانتظر المارة حلول البشارة ولكن دون جدوى ، لان صديقا لي كان يشغل منصب خليفة باشا تطوان ، وكان بيده منح رخصة الفتح ، ابى ـ كما صرح لي بذلك ـ ان يقترف جرما فى مثل بشاعة فتح محل للتبشير فى بلد اسلامي عريق .

هذا بعض ما يقع بين ظهرانينا ، وعلى مرأى ومسمع منا ، ونحن سادرون (فيما يبدو) لا نقدر الامور حق قدرها ، ولا نأخذ للدعوة اهبتها ، ولا نشمر عن سواعد الجد للحيلولة دون غزو عقول شبابنا وقلوبهم ، ودون هدم او ثلم مقوماتنا العربية الاسلامية التي لم تسلم هي بدورها من همزات شياطين المغرضين ولمزاتهم .

وتتلخص مقومات العروبة والاسلام فى العناصر التالية :

ا ـ القرءان الكريم .

ب ـ الحديث النبوي الشريف .

ج ـ اللغة العربية .

د ـ الشريعـــــة الاسلاميـــــة .

وما عدا هذه المقومات عالة عليها وتبـــع لها ، وقد لقي المسلمون مصاعب جمة ، ومؤامرات شتى من جراء المحاولات العديدة التي استهدف اصحابها النيل من تلكم العناصر بكيفية أو بأخرى من الكيفيات الآتيـــة :

العنصر الاول : فيما يختص بالقرءان الكريـــم ، نجد خصوم الاسلام يعز عليهم ان يكون النبي محمد صلى الله عليه وسلم اميا ، وان يكون الوحي معجزته الخالدة ، فقالوا ان محمدا لم يكن اميا ، وانـــه كان يقرا ويكتب ويحرر الصحف ، وقالوا ان القرءان من تاليفه تارة ، ومن تأليف جماعة من كتابه تارة اخرى ، وقالوا ان بالقرءان تكرارا ، وان به تناقضا ، ولـــم يفهموا او يهضموا ان للتكرار حكمة ، وأن التناقض لا يمكن ان يكون الا فى كلام البشر ، اما كلام الله فمنزه كل التنزيه عن اى تخالف او تضار (3) .. وقالوا .. وقالوا الكثير مما نتحاشى التطويل به هنا ، ولكنهم فى كل وقت وحين كانوا يحيـــدون عن الحـــق ، ويتجافون عن الصواب .

ونجد المحدثين من هؤلاء القائلين ــ وقد اعياهم كلام الله ، وتل ترهاتهم وافكهـم ــ يرتكبـــون باسم البحث العلمي بعض الاخطـاء ، ويقترفـــون بعـض المغالطات ، ويركبون متن الشطط ، واهمين انـــه مبلغهم الى مبتغاهم ، ولكنهم الفوا انفسهم فى نهاية المطاف « كالمنبت لا ارضا قطع ، ولا ظهرا ابقى ! » .

العنصر الثاني : وحينما اعجزهم القرءان ببنيانه الشامخ ، وعزته القعساء ، نراهم يولون وجوههـــم شطر الحديث النبوي الشريف يحاولون له هدما ان استطاعوا الى ذلك سبيلا ، ولكن هيهات ! والغريـب انهم فى هذا المجال ارتكبوا خطأ جسيما ، وتناقضا عجيبا ! ذلك انهم فى مجال التكذيب والتشكيـك فى الوحي ، قالوا ان العرب لم يكونوا كلهم اميين ، وان محمدا ايضا لم يكن اميا ، وبهذا يسوغون ادعاءهم بأن القرءان من تأليف محمد عليه الصلاة والسلام ، بيد انهم فى مجال تدوين الحديث والسنة النبويـــين ، نجدهم يؤكدون امية العرب ــ ومن ضمنهم محمد ــ ويحاولون جهد الطاقة اثبات ان الحديث النبوي لـــم يدون فى حياة الرسول ، وانما تم تدوينه فى القــرن الثاني الهجري فقط ، وفى هذه الفترة المتاخرة كان هناك مجال كبير ــ فى رأيهم ــ للوضـــع والـــدس والتدليس والزيادة والنقصان ، مما يزيل الحصانـــة عن قلعة الحديث المنيعة ، ويقذف بهـــا فى مهاوي الريب والشكوك ، وبذلك ينالون مأربهم ، وينهدم هذا الركن الهام من اركان الشريعة الراسخة البنيان .

والواقع ان الصحابة رضي اللهم عنهم ، كانوا ــ بداة بدء ــ يدونون احاديث الرسول الى جانـــب تدوينهم آى الذكر الحكيم التي كان الوحي ينزل بها منجما . ولكن ، مخافة ان يلتبس كـــلام الله بكـــلام رسوله ، فيختلطا فى اذهان سدنة الوحي وحفـــاظ الحديث ، امر الرسول اصحابه بعدم تدوين احاديثه ، وسمح لهم بتدوين كلام الله وحده . كل ذلك حـــذر واحتياط وتواضع وتأدب ممن أدبه ربـــه فأحســـن تأديبه . (وانك لعلى خلق عظيم) .

والثابت ايضـــا ان رسول الله ، اذن لبعـــض صحابته فى تدوين احاديثه وسننه ، ثقة منه بتثبتهم ويقظتهم وشدة حرصهم وامانتهم العلمية ، فتركـــوا صحفا استفاد منها المعنيون بتدوين الحديث الشريف ، واتخذوها حجة ، واعتمدوها معينا ثرا اغترفوا منه ، الى جانب ما استقوه مما تواتر على الالسن جيلا بعد جيـــــل .

والعنصر الثالث : من مقومات الحضارة العربية الاسلامية هو اللغة العربية التي نزل بها القرءان فعزز جانبها ، وانتشرت والاسلام جنبا الى جنب . ولـــم يسلم هذا العنصر ايضا من معـــاول الهدامـــين ، خصوصا فى أوائل القرن العشرين ، وسدد الخصوم سهامهم السامة الى جسم اللغة العتيدة ، محاوليـــن النيل من أصالتها ، وكسر شوكتها ، وصرف ابنائها عن تعلمها بالايحاء لهم أنها صعبة لفظا ونطقا ومدلولا ونحوا وصرفا ، وانها عاجزة عن مسايرة ركب الحضارة الحديثة ، وان من الواجب التفكير فى تسهيل قواعدها وتيسير كتابتها . ووصلت الجراة ببعضهـــم الى ان دعوا الى الاستعاضة عن حروفها بالحروف اللاتينية ،

---

(3) تكفل الله بالرد على هؤلاء فى سورة النساء (82) : « افلا يتدبرون القرءان ؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

فيسهل تعلمها على أبنائها وابناء الاعاجم الذين يزمعون دراستها . واوغل بعضهم فى مجاهل المستحيل ، فدعا الى نبذ الفصحى واستعمال اللهجات المحلية بدلها ، بحجة ان هذه اطوع من تلك ، وادق تعبيرا عن المعاني الشعبية الدارجة ! وهذه حجة واهية ، وادعاء لا مبرر له ، ذلك اننا – فى الواقع – نحن الذين عجزنا عن اعداد انفسنا الاعداد اللازم حتى نكون فى مستوى اللغة العربية الفصحى التي كانت طوال عصور العرب الزاهرة لغة العلم والحضارة والسياسة الدولية .

اما العنصر الرابع : من مقوماتنا فهو الشريعة الاسلامية . وقد تظافرت جهود الخصوم – فى سبيل التعريف بالشعوب الاسلامية وتقاليدها ، والتمهيد لاستعمارها واستغلالها – على وجوب تنحية الشريعة الاسلامية ، وافراغها – تقريبا – من محتواها ، وذلك بتعطيل كثير من الاحكام الشرعية ، بحجة انها لا تليق بعصر الحضارة الذي نعيشه ، اجل ، هذا العصر الذي يزخر بأبشع الصور الوحشية المتمثلة فى جرائم الارهاب ، والاغتيال ، والاختطاف ، والسرقة ، والقرصنة الجوية ، والتمييز العنصري ... الى غير ذلك من الوان البشاعة الخلقية التي تمارس بدون حياء أو خجل او وجل ، حتى فى الدول الراقية المتقدمة اقتصاديا . وهكذا فرضوا على المسلمين قوانينهم الوضعية ، واحلوها محل القوانين السماوية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

ازاء هذه الوضعية المستحدثة ، يجب على المسلمين – وقد استردوا استقلالهم السياسي وسيادتهم الوطنية – ان يلتفتوا الى مقوماتهم الروحية، وان يتشبثوا بمقدساتهم ، فذلك اليق بهم ، واجدر بتاريخهم ان يعود سيرته الاولى ، فيمسكوا بزمام القيادة من جديد ، وينشروا تعاليم الاسلام بالحجة والقدوة الحسنة معا ، فيدخل ظمأى الروح ، المتعطشون الى الايمان الحق ، فى دين الله افواجا .

طبعة انجليزية من كتاب جلالة الملك
التحدي

● صدرت فى انجلترا الطبعة الانجليزية لكتاب « التحدي » لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله .

فتنة الفلسفة في العالم الإسلامي

للأستاذ محمد العزيز الناصر

تمهيــــد ...

ان موضوع فتنة الفلسفة في العالم الاسلامي يطرح قضية الصراع بين الدين والفلسفة او موقف الدين من الفلسفة قبولا او رفضا ، او علاقة الدين بالفلسفة وئاما او اصطداما ، وهي صلب موضوعنا . وقبل تناولها اود ان اوضح اوليات اراها اساسية في تحديد ما نقصده بالفتنة والفلسفة والدين بصفتها مفهومات اساسية في الموضوع ، ثم نتناول بعد ذلك وضعية الفلسفة في العالم الاسلامي وئاما او اصطداما ، وما آلت اليه الفلسفة والفكر الاسلامي من موت وانحطاط ، وننتهي بتحديد بعض المواقف الحديثة من الفلسفة الاسلامية لنرى في بعضها بعثا لفتنة الفلسفة من جديد في جلابيب جديدة ، وتيارات جديدة ، واساليب جديدة ، مما يؤكد ان فتنة الفلسفة دائمة مستمرة لم تتوقف ولم تنته بعد.

توضيحـــات اوليـة ...

1 ـ معنـــى الفتنــة ...

الفتنة او فتن تعني في اللغة الاختبار والامتحان، وتعني المحنة والعذاب والمرض والجنون ، وتعني الضلال والكفر واختلاف الناس في الآراء وما يقع بينهم من قتال ، وتعني اعجاب المرء واستمالته وولهه بشيء ما . وعلى هذا الاساس اللغوي ننتظر ان تكون الفلسفة فتنة بمعنى انها اختبار وامتحان ومحنة للفكر الاسلامي ، وبمعنى انها ضلال وكفر واختلاف في الراي مع الدين ، وبمعنى انها اعجاب واستمالة ووله بالفكر اليوناني . ومعنى هذا كله ان الفلسفة سواء واءمت الفكر الاسلامي او اصطدمت معه فهي فتنة له.

2 ـ معنـــى الفلسفـــة ...

الفلسفة اصطلاح يوناني دخيل على اللسان العربي اجري فيه كما هو . وقد نص الفرابي على ذلك فقال : « اسم الفلسفة يوناني ، وهو دخيل في العربية ، وهو على مذهب لسانهم فيلسوفيا ومعناها ايثار الحكمة » (1) . وهذا يجعلنا منذ البداية واعين بأن المقصود بالفلسفة هو الفلسفة اليونانية على الخصوص ، لا مجرد البحث النظري التأملي أو كما عرفها الكندي بانها « معرفة الاشياء على ما هي عليه في الوجود » (2) او بوصفها « علم الاشياء بحقائقها » (2) . فالامر بالنسبة لنا اليوم ، رغم تعريف الكندي هذا المستقل نوعا ما عن التعريفات اليونانية ، يبقى مرتبطا بالفكر اليوناني تمام الارتباط

---

(1) الفلسفة الاسلامية : د. فؤاد الاهواني (المكتبة الثقافية) ص : 20 .

(2) مقدمة في الفلسفة الاسلامية ـ عمر الشيباني ص : 71 .

فى المصطلحات والموضوعات ، وحتى تسلسل التحليل الفلسفي احيانا .. بل الاكثر من هذا اعتبار الفلسفة اليونانية حقائق لا تحتمل حتى الاختلاف فى الراي كما ذهب الفرابي فى الجمع بين رايي الحكيمين ، ايمانا منه ان الحق واحد .. وبالتالي الفلسفة اليونانية فى آرائها المختلفة حق .. او كما اشار ابن سينا واصفا المشتغلين بها « يرون التعمق فى النظر بدعة ، ومخالفة المشهور ضلالة ، كانهم الحنابلة فى كتب الحديث ! » (3)

من هذه الايمانية الصماء بحقائق الفلسفة اليونانية يطرح الاختلاف بين الدين والفلسفة جليا واضحا ، وهذا ما شعر به الفرابي ذاته وشعر به غيره من الفلاسفة ، فحاولوا التوفيق بين الدين والفكر اليوناني من حيث هو حقائق .. وهذا بالتالي يؤكد ان التوفيق لم يكن بين الدين والتامل النظري فى الاشياء وحقائقها مباشرة كما يدعو الاسلام الى ذلك ، وانما كان التوفيق بين الدين والفكر اليوناني .

3 ـ الفلسفة والاسلام ...

وان كان السياق يدفعنا الى التعرف على الفلسفة اليونانية فاننا نقصر حديثنا بالاشارة فقط الى فلسفة القرءان ان جاز هذا التعبير .

فالقرءان حدد الفكر البشري فى ثنائية واضحة، هي المعرفة الغيبية والمعرفة الحسية ، وجعل مصدر الغيب هو الوحي المنزل ، ومصدر المعرفة الحسية هو الواقع المباشر اعتمادا على العقل . فبالحواس والعقل نعرف السماء وما فيها ، والارض وما عليها والانسان نفسا وجسدا ، والمجتمع فى بنياته وانظمته المختلفة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا ، مما يجعلنا نقول بشمولية الفكر الاسلامي المجتمعي .

والمعرفة فى هذا الاطار القرآني يتحدد فيها الثابت والمتحول . فالثابت هو الغيبيات المحددة والشرائع والقوانين المجتمعية الاسلامية . والمتحول هو كل المعارف الانسانية والمجتمعية والعلمية والكونية ، وكل التقنيات والمهارات والصناعات .

هذه الفلسفة الاسلامية جعلت فكر المسلمين يتخذ لنفسه تصورا منهجيا بناءا على التصور المنهجي القرآني . حيث اصبح يرفض كل قول فى عالم الغيب لا يستند على الوحي ، ويرفض كل تشريع يناقض تشريع القرءان ، ويتجه لمعرفة الواقع والتعامل معه لتسخيره على اساس من الحواس والعقل ، ولكنه مع ذلك وفى كل ذلك متاثر بالبيئة الاجتماعية ، وخاضع للقدرة العقلية والمعرفية لكل مفكر . وهذا معناه اننا امام نوعين من المعرفة ، معرفة ثابتة يستقى منها جميع المسلمين ، ومعرفة متحركة نامية تعبر عن اجتهادات العلماء والمفكرين والفلاسفة المسلمين . اي اننا نستطيع ان نقول اننا امام فلسفة يونانية وفلسفة اسلامية وفلسفة للمسلمين . وبالتالي فنحن امام مواقف ثلاثة ، موقف يحاول التوفيق بين الدين والفلسفة اليونانية ، وموقف يتبنى الفلسفة الاسلامية القرآنية ويرفض اي توفيق ، وموقف مزج بينهما وتاثر بهما معا .. او بمعنى اننا امام موقف الفلاسفة المشائين ، وموقف الفقهاء واهل الحديث وموقف مذاهب الفكر المختلفة فى علم الكلام ..

4 ـ الفلسفة والفكر الاسلامي ...

ومما هو مسلم به ان الفلسفة لم تكن تمثل كل الفكر الاسلامي ، فهي مجرد دائرة صغيرة من دوائر الفكر الاسلامي ، ولا نود ان نحصر ههنا تلك الدوائر الفكرية وترابطها فقها وآدبا وكلاما وتصوفا وعلوما وصناعات وفنا ... وانما نشير الى انه لا يمكن حصر الفكر الاسلامي فى الفلسفة لانه اوسع منها مجالا ، واكثر ارتباطا بالمجتمع ، ولكن بينهما علاقات تاثير وتفلغلا متبادلا .. ومن ثمة جاءت فتنة الفلسفة سواء اعتبرناها اعجابا بجمال وروعة الفلسفة ، او اعتبرناها تقويضا وتدميرا للفكر الاسلامي ..

ومن البديهي ان يكون المعبرون عن الفكر الاسلامي فى شموليته المجتمعية هم الفقهاء واهل الحديث ، فهم وحدهم الذين ارتبطوا بالنص ارتباطا ، ونظروا الى المجتمع من خلال نظرة نصية حافظت له على محتواه عقائديا وتشريعيا واخلاقيا وسياسيا واقتصاديا ومجتمعيا ، وتاريخيا ، ولذلك فعندما نفتح اي كتاب فقهي نجده فكرا مجتمعيا شموليا ..

وقد يقال ان هؤلاء الفقهاء لم يبدعوا فكرا ولا علما من العلوم وهذا حق وصدق ، ولكنهم حافظوا

(3) مدخل الى الفكر الفلسفي عند العرب ـ آل ياسين جعفر ، ص : 86 .

على التصور المنهجي الاسلامي ، وبالتالي فهم غير مطالبين بأي انتاج فكري او فلسفي او علمي في غير نطاق الفقه ما دام تخصصهم هو البحث الفقهي الصرف ..

5 ـ الفلسفة والعلم ...

كانت العلوم تقوم على المبدأ الفلسفي منهجا وموضوعا . وكان الفيلسوف يجمع غالبا بين سائر العلوم ، اما في الفكر الاسلامي فحدث نوع من الانفصال بين العلوم والفلسفة بقبول العلوم اولا لعدم مناقضتها للدين والفكر الاسلامي ، ولنفعها ورفض الفلسفة لمناقضتها للدين ولعدم نفعها .. « وقد يكون الامير خالد بن زيد الاموي المتوفى في سنة 704 م هو اول عربي اضاء شعلة العلم في الاسلام ذلك انه اول من عمل على ترجمة كتب القدماء في الطب والفلك والكيمياء كما يقول ابن النديم في كتابه الفهرست » (4) ..

« كما عرف المسلمون كثيرا من العلوم في اواسط الدولة الاموية كمروان بن الحكم والخليفة عمر بن عبد العزيز في أواخر المائة الاولى للهجرة حيث شرع يبيح هذه العلوم ويخرجها للناس ، وهي العلوم الناقصة في العمران مثل الطب والكيمياء والهندسة » (5) و « هكذا فقد اشتهر كثير من العلماء في شتى فروع العلم .. ويكفي ان تقرأ كتاب الفهرست لابن النديم مثلا لترى اسماء المهندسين والمنجمين والاطباء واصحاب الكيمياء والحساب وغير ذلك ، لتعلم الى اي حد بلغ الاختصاص في هذه الفروع ، والى جانب ذلك وجد الفلاسفة الذين كانوا مهرة في العلوم اولا ثم ارتفعوا منها الى الفلسفة» (6) « وكما يبدو ولاول وهلة ان العرب لم يكونوا قد عنوا في القرن الاول للهجرة بنقل الفلسفة لان عنايتهم كما اتضح لنا كانت بالعلوم فقط ، وقد جاء نقل الفلسفة بالتبعية عرضا لا اصالة » (7) . « بل وتضمنت هذه العلوم والمخترعات التي لم يكن يعرفها اليونان ولا كانت من غاصبات دنيا حضارتهم بأي حال من الاحوال اضافات اضافها المسلمون في أثناء عصر ازدهار حضارتهم كالكيمياء والبصريات والحساب الجديد ، وحساب المثلثات الجديد ، والجبر ، والصيدلة وطب العيون والمنهج التجريبي وصناعة الورق ، وصناعة السكر ، والبارود وغيرها من الفنون والصناعات التي اضافها المسلمون » (8) .

وبعد ، ذكرنا كل هذه الاوليات لنتبين جيدا عمق الفكر الاسلامي في فلسفته الاسلامية القرآنية وفي اتساع مجالاته وميادينه الفكرية ، ونزوعه الى البحث الواقعي العلمي ، حتى يرتفع لبس كثيرا ما توهمه دارسو الفلسفة حيث ينتقلون للحديث عن الفلسفة وترجمتها كأساس للنهضة الاسلامية ويهملون الفكر الاسلامي عامة والعلمي خاصة ، مع ان النظرة الفاحصة تبين ان عدد المشتغلين بالعلوم يفوق عدد المشتغلين بالفلسفة ، ويؤكد انتشار العلوم أكثر من انتشار الفلسفة وقبلها . وقد يزداد الامر اكثر وضوحا اذا علمنا ان العلوم والعلماء لم يضطهدوا الا اذا خلطوا العلم بالفلسفة ، بل ونلاحظ ما هو اكثر دقة من ذلك حيث يذم الفيلسوف كفيلسوف ويضطهد ولكنه يكرم كعالم طب او كيمياء او صناعات .

وهكذا نستطيع ان نقول ، ان عبقرية المسلمين برزت في غير مجالات الفلسفة وان نصيب الفلسفة من الاصالة كان اقل من خدينتها في العلوم الاخرى(9) ونستطيع ان نقول ان الشمولية المجتمعية في الفكر الاسلامي .. ووضوح التصور المنهجي فيه ، واهتمام المسلمين بالعلوم قبل الفلسفة باكثر من قرن من الزمن يجعلنا نتساءل عن وضعية الفلسفة ومكانتها في العالم الاسلامي قبولا ورفضا وئاما واصطداما ، نفورا او اعجابا ..

---

(4) علوم المسلمين ــ جلال مظهر (المكتبة الثقافية) ص : 15 .
(5) الفلسفة الاسلامية ــ الاهواني ، ص : 40 .
(6) ص : 32 .
(7) ص : 40 .
(8) علوم المسلمين ــ جلال مظهر ، ص : 88 .
(9) المدخل الى الفكر الفلسفي عند العرب ، ص : 22 .

الوضعية الفلسفية في العالم الاسلامي ...

كنا كثيرا ما نسمع ان الفلسفة دخيلة على الفكر الاسلامي فتتجه اذهاننا الى اليونان مباشرة لتتصور استيراد فلسفتهم ، في حين أن الامر مختلف ، فالفلسفة دخيلة بمعنى انها تناقض الفكر الاسلامي اولا واخيرا . فالاسلام هو الذي سعى الى المناطق التي كانت تقيم بها المدارس الفلسفية قبل الاسلام ، كمدرسة الاسكندرية بمصر ، ومدرسة نصيبين والرها وحران بالعراق ، ومدرسة جند يسابور في فارس ومدارس اخرى غيرها اطلق عليها اسم اسكول (في الاديرة) وكانت الغالبية العظمى من هذه المدارس لاهوتية دينية (10) وكان الجامع المشترك بينها هو ثقافة السريان والحضارة اليونانية (وهي بعيدة عن موطنها) ، مما جعل المسلمين يكلفون هؤلاء السريان في نقل الحضارة اليونانية من لغتهم السريالية الى اللغة العربية (11) .

وهذا معناه ليست الفلسفة هي التي غزت الفكر الاسلامي بل الفكر الاسلامي هو الذي غزاها . فالاتصال بها كان امتدادا اسلاميا ورغبة من رغبات المسلمين ، حيث استطاعوا ان يأخذوا ما ارادوا ويتركوا ما لم يريدوا .. وهذا هو الذي يبين تأخير ترجمة الفلسفة وتقديم ترجمة العلوم في عهد خالد بن يزيد الاموي . وكان الاتصال بالفلسفة بطيئا سواء في انتقالها او في انتشارها فلم يظهر اول فيلسوف الا في القرن الثالث الهجري (الكندي) كهمزة وصل بين المعتزلة والفلسفة . وهذا ليس معناه ان لم يكن هناك مشتغلون بها ، فجهود المسيحية واليهودية والكنوصية ، كانت في خدمة نشر الفلسفة بين المسلمين وتعليمها . ولكنه تعليم لم يثمر الا بعد قرنين أو ثلاثة قرون من الزمن حيث استطاع الفرابي ان يعلن عن وحدة الدين والفلسفة اليونانية .

ونحن نرى سواء قلنا ان الاقبال على الفلسفة وعلوم الاوائل كان حبا في العلم والمعرفة ، أو قلنا كان لرد خطر الغنوصية ، او كان نتيجة تحول حضاري او في معنى اضيق نتيجة صراع طبقي وتغيير في بنيات المجتمع ، فان النتيجة تبقى واحدة وهي انتشار الفلسفة اليونانية مثلما انتشر الغنوص في العالم الاسلامي نتيجة الامتداد الاسلامي سياسيا واجتماعيا وفكريا وعقائديا .. ونتيجة محاولات وضع الفكر اليوناني في بنيته الفكر الاسلامي . حيث أصبح الغنوص والفلسفة اليونانية معا دوائر داخل العالم الاسلامي ، وبات مؤكدا التعامل معهما سلبا وايجابا قبولا ورفضا مواءمة واصطداما ..

وبنظرة فوقية الى تسرب او قبول الفكر اليوناني في العالم الاسلامي يتحدد لنا نوعين من الاتصال ، نوع تمثل في مختلف دوائر الفكر الاسلامي وخاصة المتكلمين ، واصطبغ بصبغة الامتزاج مع الفكر اليوناني على مستوى جميع دوائره الفكرية سواء من مثل سقراط او ما بعده .. ونوع تمثل في فئة خاصة سميت بالفلاسفة الاسلاميين واصطبغ بصبغة التوفيق بين الدين والفلسفة على مستوى الافلاطونية المحدثة خاصة ..

1 — علاقة علم الكلام بالفلسفة ...

ان اول ما يطالعنا في ميدان العلاقة بين علم الكلام والفلسفة (وكلاهما تفسيرات بشرية غير منزهة عن الخطا وقابلة للتجاوز) ان علماء الكلام اتخذوا الادلة العقلية المنطقية للرد على المنوية والمزدكية او ما يسمى بالفلسفة الغنوصية ، وهذا معناه ان علم الكلام رغم تصوره المنهجي الاسلامي ، ورغم جدليته الدينية بمعنى اعتماده على النقل والسمع في مناقشاته وفي تصحيح تصوراته ، استعمل المنطق اليوناني في حجاجه وجداله مع التيارات الفكرية المختلفة ، بل نجد علم الكلام اتخذ ما هو اكثر من ذلك : حيث تبنى بعض النظريات اليونانية لتطعيم الانساق الفكرية ، ولكنه فعل ذلك بطريقة تجزيئية منعزلة عن المذهب الفلسفي اليوناني ككل ، كأخذه مثلا بنظرية الجزء الذي لا يتجزأ ، او نظرية الكموت أو نظرية المعاني ، او نظرية التذكر في المعرفة ، او غير ذلك من النظريات ... وهذا معناه ان علم الكلام (سواء كان معتزلة او اشاعرة من بعدهم ، وهم تقريبا تيار واحد، واصحاب منهج فكري واحد) قد مزج عناصر فلسفية يونانية في منظوماته الفكرية وقد بلغ هذا المزج قمته عند الكندي ثم عند المتكلمين المتاخرين . فبعد القرن السادس الهجري اختلطت الفلسفة بالكلام الى

---

(10) التراث اليوناني — عبد الرحمن بدوي ، ص : 53 .
(11) الفلسفة العربية عبر التاريخ — رمزي النجار ، ص : 65 .

الحد الذي ابتلع هذا العلم الاخير الفلسفة ابتلاعا واحتواها فى كتبه حتى اصبحت كتب التوحيد وهي التي تبحث فى علم الكلام تبدأ بمقدمة فى منطق ارسطو وعلى طريق الفلاسفة فضلا عن بسط الآراء الطبيعية والرياضية فى الزمان والمكان والحركة وغير ذلك (12) او كما يقول ابن خلدون « اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز أحد الفنين من الآخر » (13).

وتخرج من هذه العلاقة الامتزاجية بين علم الكلام والفلسفة بنتيجة ثانية تتمثل فى استحواذ الفلسفة على علم الكلام استحواذا تاما بعد ان كان امتزاجا جزئيا فيما قبل القرن السادس الهجري ..

هذا الوجه من العلاقة بين علم الكلام والفلسفة يمثل اذن علاقة الامتزاج والقبول ، وقد تستغرب ان يكون الوجه الآخر من العلاقة بينهما يتمثل فى رفض الفلسفة والاصطدام معها . فقد كانت « هناك منازعات بين الفلاسفة وبين المتكلمين ، ونهض الفلاسفة يجرحون آراء المتكلمين ، ويتهمونهم بالضعف والتهافت ، والقوا فى ذلك رسائل ، وظل الحال على ذلك المنوال طوال القرون : الثالث والرابع والخامس والسادس للهجرة » (14) . ونجد فى خضم هذا الصراع كل الدارسين تقريبا يجعلون الغزالي كأقوى خصم للفلسفة واقوى مهاجم لها فى كتابه تهافت الفلاسفة ، ويقول فى ذلك احد الدارسين « ولكن الغزالي كان فى مجال الهجوم على الفلاسفة وتفنيد مزاعمهم ، اقواهم حملة ، واغزرهم مادة ، واصلبهم قناة ، واطولهم باعا ، فطبع هذه الحملة بطابعه القوي الغلاب ، وبهذا مكن لها وهيأ اذهان الناس لقبولها ومهد للتنكيل بالفلسفة » (15) ثم يقرر هذا الدارس بان تلك الحملة على الفلسفة « كان لها خطرها المروع على العقل فى نفوس الناس » (16) .

ومن هذا نخرج كذلك بنتيجة أساسية وهي رفض علم الكلام للفلسفة رفضا قاطعا ادى الى موتها بل الى اماتة العقل فى الناس عامة حسب راي الدارس ، ومما لا شك فيه أن هذين الموقفين موقف قبول الفلسفة وموقف رفضها الى حد قتلها واماتتها ، متناقضين اشد التناقض ، فما هو وجه تأويل ذلك ؟ ! وأي النتيجتين اصح ؟ !

اقول : ان الامتزاج بالفلسفة اليونانية شيء مؤكد ورفضها كذلك مؤكد ، ولكن ان يكون هجوم علم الكلام والغزالي بالذات هو الذي اماتها فغير مؤكد .. وذلك لان الغزالي نفسه له نفس الموقفين من الفلسفة ، موقف القبول وموقف الرفض ، فنحن اذا تفحصنا كتابه معارج القدس نجد اغلب الافكار الفلسفية ، بل ونجد فى كتاباته مصطلحات الفلاسفة وموضوعاتهم ، ونجد اكثر من ذلك دعوته الى منطقهم بعد ان استعمله وكتب فيه ، وبداه من اي مناقضة للدين ، بل قد نجد اكثر من ذلك أن الغزالي فيلسوف اكثر جدارة من الفلاسفة الاسلاميين الآخرين .. ولكننا نجد بجانب كل هذا موقفه فى رفض الفلسفة والهجوم عليها . وبنظرة بسيطة الى انتقاداته للفلاسفة نجده يرتكز على ثلاث قضايا اساسية : القدم والعلم الالهي والبعث ، وهذه كلها ذات صبغة غيبية ميتافيزيقية . وأن ما ذهب اليه الفلاسفة فيها ، مناقض للقرآن . وهذا معناه ان الفلاسفة تنكبوا التصور المنهجي الاسلامي الذي يفرق بين عالم الغيب وعالم الشهادة .

ونستطيع ان نقول بذلك ، ان نقد الغزالي للفلاسفة كان نقدا قائما على أساس التصور المنهجي ، وبالتالي يبقى رفض هذا الخطأ المنهجي عند الفلاسفة وما يترتب عنه من آراء خاطئة لا يؤدي الى رفض كل الافكار الفلسفية ومنها المنطق والطبيعيات والرياضيات والفلك وغيرها من العلوم الفلسفية .. وبالتالي يكون رفض الفلسفة كتصور ايديولوجي يوناني من حيث

---

(12) الفلسفة الاسلامية ـ الاهواني . ص : 23 .

(13) ص : 44 .

(14) الفلسفة الاسلامية ، ص : 22 .

(15) الصراع بين الدين والفلسفة ـ توفيق الطويل ، ص : 121 .

(16) ص : 114 .

هو خلط بين عالمي الغيب والشهادة وعنه تنتج افكار خاطئة فيما يتعلق بعالم الغيب بالتأكيد . ويكون قبول بعض النظريات الفلسفية ومنطقها وبعض علومهـا ، قائم على عدم مناقضتها للتصور المنهجي الاسلامي ، ولاعتقاد المسلمين فى صوابها ، وهذا ما ينطبق عليه قول الرسول او ما فى معناه : «الحكمة ضالة المؤمن اينما وجدها اخذهـا » .

اذن فتأويل انتشار ودخول عناصر فلسفية فى علم الكلام وفى كل عناصر المعرفة فى الفكر الاسلامي رغم رفضه البناء الايديولوجي للفلسفة ، يـدل على الموقف التصوري المنهجي للفكر الاسلامي الـذي يفرق بين المعلومات التراكبية النامية ، الواقعيـة ، وبين البنية الايديولوجية للفلسفة ، ولذا كان يأخذ ما يعتقده علما مصدقا ويتبناه كحقائق مع استمـرار رفضه للفلسفة ككل ...

والغزالي بذلك ، وكذا من كان قبله ، ومن جاء بعده ، تأكيد للرفض والاهمال الذي لاقته الفلسفة فى العهد الاموي والعهد العباسي من اهل السنة (معتزلة واشاعرة) ، وتأكيد كذلك لطموح الفكر الاسلامي فى تبني كل فكرة لا تناقض تصوره ومنهجه باعتبارهـا حكمة قابلة للاخذ .. وهذا الموقف لم يدفع علمـاء الكلام للتوفيق بين الدين والفلسفـة كتصوريـن ومنهجين مختلفين ، بل حافظـوا على تصورهـم المنهجي ، واستغلوا كل المعلومات الممكنة والتـي لا تناقض تصورهم المنهجي ، وهذا بالضبط غيـر موقف الفلاسفة .

2 ـ التوفيق بين الفلسفة والدين ...

فلاسفة الاسلام هم اصحاب الفلسفة الذيـن يمثلون النوع الثاني من الاتصال والعلاقة مع الفلسفة اليونانية ، هم تلك الفئة التي استطاعت أن تتخلص من قبضة علم الكلام واسلوبه الجدلـي ، ومنطقـه الديني ، حيث لم تنصب نفسها مدافعا عن الديـن ضد الغنوصية او ضد الفلسفة اليونانيـة ، بـل انطلقت من اساس أولي هو التوفيق بين الفلسفـة والدين انطلاقا من الافلاطونية المحدثة ، أي انطلاقـا من التراث المترجم والذي نقله السريان المسيحيون الى العربية بغية نشره وتعليمه للمسلمين ، وتلبية لطلب وحاجة المسلمين اليه فى آن واحد . وقـد عانت هذه الفلسفة فى تسربها وانتشارهـا بطئـا شديدا زهاء ثلاثة قرون ونصف قـرن .. الى أن انتعشت على يد الفرابي وهو قمة التوفيـق بيـن المذاهب اليونانية ذاتها ، وبين اليونانية والاسلامية وخاصة فى نظرية الخلق والمعرفة والتشريع وكمـا هو معلوم ان الفرابي حراني الموطن ، أي من بيئـة يونانية على الاقل فكريا ، وهذا ما اشعـره بضرورة التوفيق بين تيارين مختلفين فى اطـار فلسفـي اسلامـــي .

ثم بلغ هذا التوفيق قمته وهيمنته بابن سينـا انطلاقا مما اقره الفرابي ، حيث صـوره واعطـاه شرعية ومكانة اكثر تجذيرا فى الفكر الاسلامي ، وبه استطاعت الفلسفة الاسلامية ان تدمج ميتافيزيقـا الوجود مع ميتافيزيقا الواحد ، وتخـرج من ذلـك بفلسفة جديدة تجمع بينهمـا مما يعد احتكـارا اصيـلا .. (17)

ثم بلغ هذا التوفيق قمة صفاتـه وتفاوتـه بالفيلسوف الغزالي الذي كثيرا ما عد خصما عنيدا للفلاسفة الاسلاميين ، فنحن عند ما نعيـد قـراءة الغزالي نجده لا يرفض المصطلحات الفلسفيةبل ونجده يستعمل فكرة الفيض والعلة واقسام العقل والمعرفة، واذا اضفنا اليه رفض الفلسفة فى بنيتها الايديولوجية، تأكد لنا انه تقبل الفلسفة مجـردة عـن صيغتهـا الايديولوجية ، مما يجعلنا بالتالي أمام طرح جديـد للتوفيق بين الدين والفلسفة فى اطاره الحقيقـي ، القائم مباشرة على الشك والحدس وانتقاد الافكـار وتمحيصها على اساس من التميز والوضوح واليقين .. وهكذا نجد الغزالي فى النهاية اختار الجانـب الصوفي الغنوصي بعد تهذيبه أي توفيقه مع الدين .. بمعنى ان الغزالي استفاد من الفلاسفة الاسلاميـيـن ومن فلسفة اليونان ولكنه لم يوفق بينهما وبين الدين بل وفق الدين بالغنوص فى أثوابـه الصوفيـة .. فالغزالي اذن يمثل قمة الامتزاج بالفلسفة والدين كما يمثل قمة التوفيق بين الدين والغنوص فى الحدس العرفي ، كما يمتاز بمحافظته على التصور المنهجي الانتقادي الاسلامي فى صفائه كاشعري متكلم .. أي نجد الغزالي يجمع فى النهاية بين الحدس الصوفي المعرفي الغنوصي والتصور المنهجـي الاسلامـي

(17) الفلسفـة الاسلاميـة ، ص : 58 .

والمنطق اليوناني القياسي ، وبذلك يكون قد جمع بين كل المناهج الفكرية المتواجدة في آن واحد ..

أما ابن رشد فكان دوره فك الارتباط بين الفلسفة والدين وتصحيح المفاهيم الفلسفية الاسلامية المغلوطة ، وكان بذلك مهاجما للفلاسفة الاسلاميين اكثر مما كان مدافعا عنهم ، وما رده على الغزالي الا تتميما وتتويجا لهجومه على المفاهيم المغلوطة في صورها الافلاطونية المحدثة . اما قضايا القرءان ، قضايا الدين فلها منهجها ، ومفاهيمها الخاصة بها ، ولكل منهما مجال ولا يحق المزج بينهما ..

وهذا معناه ان ابن رشد كان أول مهاجم للتوفيق بين الدين والفلسفة اليونانية وأول شارح لها على حقيقتها .. ورفض ابن رشد لهذا التوفيق يجعلنا نتساءل ما هو موقف المسلمين كذلك منه ؟ وما هي نتائجه ؟ ! وما هي المواقف الحديثة منه ؟ !

4 ــ رفض المسلمين للفلسفة ...

من خلال التوضيحات الاولية في مطلع البحث تبين لنا شمولية الفكر الاسلامي وخاصيته المجتمعية، وانحصار الفلسفة فيه في دائرة صغيرة انصبت على التوفيق بين الفلسفة والدين ، ومن خلال موقف علم الكلام في رفضه للفلسفة اليونانية على أساس التصور المنهجي الانتقادي الاسلامي ، نرى مبدئيا رفض المسلمين للفلسفة لم يكن رفضا للمعلومات التراكمية النامية الواقعية ، وانما كان رفضا للتصور الايديولوجي للفلسفة . ولذا فعند ما يقال تعارض الدين مع الفلسفة يقصد التصور الايديولوجي في الفلسفة اليونانية وما ترتب عن ذلك من مفاهيم خاطئة . ولذا فان من السهل اتهام الفيلسوف بالزندقة (18) « فمن تمنطق تزندق » وكان من السهل ان ينفروا وينفروا من كل علم ينسب الى الفلسفة ويعتبرونه من باب « علم لا ينفع » او يعتبرونه « حكمة مشوبة بكفر » او يعتبرون صاحبه « دنس نفسه بشيء من الفلسفة وعلوم الاولين » او يعتبرون كل « من عني بهذه العلوم دل بعنايته على انه مغموز في عقيدته متهم في دينه وليس ينجيه من هذا الاتهام ان يكون ثقة في العلوم الشرعية » (19) ، ووصل الامر كما يذكر ابن الاثير ان « طولب المحترفون من ناسخي الكتب في بغداد (277 هـ) بان يقسموا صادقين بالا ينسخوا كتابا في الفلسفة » (20) .

فانتقاد الفلسفة ورفضها ينصب على تخبطها وتحيرها ، واتباع الاهواء في عالم الغيب او ما يسمى بالالهيات ، ويجعلون ذلك اساسا للالحاد والزندقة والكفر .. فهذا الخوارزمي (383 هـ ــ 993 م) في كتابه مفيد العلوم ومبيد الهموم ينتقدهم على أسس ذلك فيقول : « وهم قوم من اليونانيين تحذلقوا في المقالات حتى وقعوا في وادي الحيرة والخباط كالجنون وليس به ــ وتحيروا في الالهيات وبنوا مقالاتهم على التشهي المحض والدعاوي الصرف (...) وأساس الالحاد والزندقة مبني على مذهبهم والكفر كله شعبة من شعبهم » (21) .

وهذا الموقف الفلسفي مناقض ومتقابل مع الدين والشريعة تمام التناقض ، وهذا ما جاء في منشور تحريم الفلسفة في محنة ابن رشد : « فخلدوا في العالم صحفا ما لها من خلاق ، مسودة المعاني والاوراق ، بعدها من الشريعة بعد المشرقين ، وتباينها تباين الثقلين ، يوهمون ان العقل ميزانها ، والحق برهانها ، وهم يتشعبون في القضية الواحدة فرقا ويسيرون فيها شواكل وطرقا » (22) .

وهجوم المسلمين على العقل عند هؤلاء الفلاسفة معناه هجوم على آلتهم في التفكير ومنهجهم كما هو هجوم على فلسفتهم وكما قال ابن الصلاح في فتواه : «واما المنطق فهو مدخل الفلسفة ومدخل الشر شر وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما اباحه الشرع(...) ولقد تمت الشريعة وعلومها وخاض في بحر الحقائق والدقائق علماؤها حيث لا منطق ولا فلسفة ولا فلاسفة » (23) .

(18) الصراع بين الدين والفلسفة . ص : 107 .
(19) ص : 107 .
(20) ص : 108 .
(21) الصراع بين الدين والفلسفة . ص : 115 .
(22) ص : 117 .
(23) ص : 122 .

ويزداد الهجوم على هذا المنهج المنطقي عندما يتعلق الامر بالعلوم الاخرى غير الفلسفة كعلوم الطبيعة مثلا : فيقول شهاب الدين بن حجر الهيتمي : « واما البحث فى الطبيعيات فان اريد به معرفة الاشياء على ما هي عليه على طريق اهل الشرع فلا منع منه . ليس مشابها للتنجيم المحرم ، وان اريد به معرفة ما هي عليه على طريق الفلاسفة فهو حرام ، لانه يؤدي الى مفاسد كاعتقاد قدم العالم ونحوه مما لا يخفى من قبائحهم وحرمته حينئذ مشابهة لحرمة التنجيم المحرم حيث أفضى كل منهما الى مفسدة وان اختلفت نوعا وقبحا » (24) .

ويوضح ابن خلدون ذلك اكثر فيقول فى العلم الطبيعي : « ان وجه قصوره ان المطابقة بين تلك النتائج الذهنية التي تستخرج بالحدود والاقيسة كما فى زعمهم وبين ما فى الخارج غير يقيني لان تلك احكام ذهنية كلية عامة والموجودات الخارجية متشخصة بموادها ، ولعل فى المواد ما يمنع من مطابقة الذهني الكلي للخارجي الشخصي ! اللهم الا ما شهد له الحس من ذلك ، فدليله شهوده لا تلك البراهين » (25) .

وهكذا يتضح لنا ان المسالة مسالة اختلاف فى القصور المنهجي والرفض رفض لطريقة ومنهج ، وكما يقول ابن خلدون : « ليس ذلك بقادح فى العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح ، فاحكامه يقينية ، لا كذب فيها ، غير أنك لا تطمع ان تزن به أمور التوحيد والآخرة والنبوة او حقائق الصفات الالهية وكل ما وراء طوره ، فان ذلك طمع محال (...) وتفطن فى هذا غلط من يقدم العقل على السمع فى أمثال هذه القضايا وقصور فهمه واضمحلال رايه » (26) . كما يذهب فى نص آخر الى تقرير « أن هذا الراي الذي ذهبوا اليه باطل بجميع وجوهه ... » (27)

من هذه النصوص يتضح لنا جليا رفض الفلسفة فى اطارها الايديولوجي وفى منطقها القياسي وحتى فى علومها التي تقوم على طريقتها .. وهذا كله يعطينا نتيجة تؤكد ان التوفيق عند هؤلاء الموفقين لم يكن بين الدين والتامل وانما كان بين الدين والافلاطونية المحدثة كحقائق خالدة ، ثابتة يعتنقها اصحابها كما يعتنق المسلمون القضايا الغيبية . وهذا ما رفضه المسلمون .

4 ـ رفض المنطق الارسطي ...

يرى الدكتور علي سامي النشار ان المسلمين لم يأخذوا بمنطق ارسطو حتى القرن الخامس الهجري ، فقد هاجمته جميع دوائر المسلمين الفلسفية اللهم الا طائفة الفلاسفة الاسلاميين المشائين ، وهؤلاء لا يمثلون الاسلام فى شيء ولا يعبرون عن روح حضارته ، عرف المسلمون من اللحظات الاولى لدخول هذا المنطق اليهم انه تعبير عن حضارة مخالفة لحضارتهم فحاربوه ، اشد المحاربة على خلاف ما اعتقده اغلب الباحثين المحدثين » (28) .

« واعتبر الغزالي اول من أدخل المنطق فى أصول الفقه وكان يريد بذلك (ان يبين اهمية المنطق بالنسبة الى تنظيم البحوث الدينية تنظيما تقوم على منهج فى البحث مستقيم » (29) .

بل ومن الغريب اننا نجد الغزالي فى دراسته المنطقية يهاجم الفقهاء ويصفهم بعدم فهم القياس الارسطي . ويخطئهم فى تطبيقه ، مما يدل على أن الغزالي لم يكن يفرق بين القياس الفقهي والقياس الارسطي وكذلك رد هذا الاختلاف بين القياسين الى عيوب منطقية والى سطحية الفقهاء » (30) .

فموقف الغزالي من المنطق كان حاسما وخطيرا على المنهج الاسلامي والروح الفكرية الاسلامية ،

(24) التراث اليوناني . ص : 147 .
(25) مقدمة ابن خلدون ـ عبد الواحد وافي ، ص : 1203 .
(26) دراسات فى ابن خلدون ـ ساطع الحصري ، ص : 460 .
(27) مقدمة ابن خلدون ـ عبد الواحد وافي ، ص : 1202 .
(28) مناهج البحث عند مفكري الاسلام ـ النشار ، ص : 142 .
(29) ص : 156 .
(30) مناهج البحث . ص : 156 .

فرغم فتوى ابن الصلاح فى تحريم الفلسفة والمنطق وكانت موجهة ضد الغزالي ايضا لانه اول من ادخل مناهج المنطق فى الفقهيات (31) لم يتوقف تسرب المنطق الى التفكير الفقهي فهذا تاج الدين السبكي رغم عداوته للفلسفة لا يحرم المنطق تحريما تاما ويسمح بالاشتغال به » (32) .

من هذا يبدو لنا أن الغزالي لم يساهم فى قتل الفلسفة بالهجوم عليها ، بل ساهم فى تثبيت منهجهم المنطقي المخالف للقياس الاصولي وللمنهج التجريبي الاسلامي عن طريق مدح المنطق وادخاله فى اصول الفقه ، وكان تحليل المنطق هو خطأه الوحيد (1) حيث قال : ان من لا يحيط بالمنطق فلا ثقة بعلومه اصلا » (33) .

ولم تنجح بعد ذلك هجومات ابن تيمية المنطقية على المنطق للقضاء عليه وظل المنطق حتى أحدث العصور يدرس مع علوم الشريعة بوصفه علما مساعدا، ووضعت لفائدة الطلاب متون فى هذا العلم بل وضعت فيه منظومات ايضا (34) .

ونخرج من هذا بنتيجة ان المسلمين رغم رفضهم للمنطق الارسطي ورغم استعمالهم للقياس الاصولي والمنهج التجريبي سقطوا بعد القرن الخامس الهجري فى احابيل المنطق كما سقطوا فى احابيل الفلسفة كما بينا من قبل . وهذا معناه ان الغزالي لم يقض على الفلسفة بل الفلسفة هي التي سيطرت موضوعاتها ومنطقها على الفكر الاسلامي واصبحت تمزج فى مقدمات كتب التوحيد .. ومن انتشر بهذا الشكل وسيطر لا يكون هو المقتول بل هو القاتل .. وبذلك نحمل انتشار الفلسفة موتها وانحطاطها كما نحملها « انحطاط » الفكر الاسلامي كجانب من جوانب الاخرى ..

5 ـ انحطاط ...

ان سبب تدهور الفكر الاسلامي وانحطاطه كما اصبح واضحا نتج عن انتشار الفلسفة ومنطقها ، او كما يقول احد الدارسين : « لقد اثرت نظرية الفيض على الفكر العربي تأثيرا سلبيا (...) فالتوفيق قد لجم الفكر العربي ومنعه من التوثب والابداع (35)(...) ولا فرار من الاعتراف بأن الافلاطونية المحدثة قد اثرت بسلبية على الفكر العربي وطبيعته بالتوفيق والروحانية الاشراقية (36) (...) فالترجمة حملت معها احتمال الانحطاط (...) فطبع الفكر العربي بالنزعة التوفيقية مما ادى به الى الروحانية المفرطة التي انحرفت وصارت تصوفا يتميز بالكسل والخمول والحذر ، فغرق العرب فى انحطاط طويل سلب الحضارة العربية رونقها بعد ان ارتفعت كالسهم »(37)

فاذا اضفنا الى هذا ما توصلنا اليه من نتائج تدل على سيطرة الفلسفة بموضوعاتها ومنهجها ...

واذا اضفنا الى هذا ما اقره ابن سينا من تعصب المهتمين بالفلسفة المشائية باعتبارها حقائق ثابتة نهائية حيث قال : « فمن جملة ما كرهنا ان يقف الجهال على مخالفة ما هو عندهم من الشهرة بحيث لا يشكون فيه ويشكون فى النهار الواضح »(35)

واذا اضفنا الى هذا موقف نصير الدين الطوسي كما يقول ابن قيم الجوزية : « واستشفى هو (الطوسي) فقتل الخليفة المستعصم والقضاة والفقهاء والمحدثين واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة » (39) . او كما قال ابن كثير:

---

(1) للغزالي خطأ آخر ، قاتل كذلك ، وهو تهذيبه للتصوف (الغنوصي) واخضاعه للكتاب والسنة من اجل ان يقبل عليه الناس ..

(31) ص : 162 .

(32) ص : 164 .

(33) المستصفى الغزالي . ج : 1 ص : 10.

(34) مناهج البحث . ص : 167 .

(35) الفلسفة العربية عبر التاريخ ـ رمزي النجار . ص : 61

(36) ص : 61 .

(37) ص : 32 .

(38) مدخل الى الفكر الفلسفي عند العرب . ياسين. ص : 86 .

(39) اغاثة اللهفان . ابن القيم الجوزية ج : 1 ص : 267 .

عن نصيـر الديـن الطوسـي : لكـل مـن الفلاسفة ثلاثة دراهم يوميا ولكل من الاطباء درهمان ولكل من الفقهاء درهم واحد ولكل المحدثين نصف درهم لذلك قبل الناس على معاهد الفلاسفة والطب اكثر من اقبالهم على معاهد الفقه والحديث » (40) . وكان كل هذا عندما استتب الامر للمغول بعد غزوتهم لبلاد المسلمين ،وكان الطوسي من الفلاسفـة ومـن المدافعين عن ابن سينا ووزيرا للحاكم المغولي ..

واذا اضفنا الى هذا هجـوم ابن رشـد على الغزالي فى دفاعه عن الفلاسفة السابقين بعد انتشار الفلسفة فى بلاد الاندلس وسيطرتها .

صار من كل ذلك - واضحا لنا ان الفلسفـة الاسلامية المشائية لم تكن مضطهدة ، كما يتصور لنا، ولم يقتلها المذهب الاشعري بهجماته ، بل كانت تحمل معها بـذور اضمحلالهـا ، ممـا جعلهـا تقتـل نفسها وتؤدي بالفكر الاسلامي عامة الى الانحطاط . وهذا يخرج هجوم المسلمين على الفلسفة كعامـل اساسي فى انحطاطها ، وخاصـة ان هجومهـم كان محصورا فى الجانب الالهي من الفلسفة وفى منهجهم العقلي القياسي وهذا لا علاقة له بتقدم الصناعـات والعلوم بين المسلمين لانهم فصلوا بينهما فصلا تاما وحاسما فى مطلع حضارتهم ، ولما سيطرت الفلسفة عاد الامر كما كان من قبل الاسلام ومع ذلك فاننا لا نذهب الى ان انتشار الفلسفة وسيطرتها هو العامل الوحيد فى انحطاط الفكر الاسلامي ، فمما لا شـك فيه ان هناك عوامل أخرى متعددة وقد تكون اكثـر اهمية وتاثيرا كعوامل الصراع المجتمعي والسياسي والانهيار الاقتصادي والحروب الخارجية مع التتار والصليبية والطامعين فى الحكم والسيطرة . ولكـن رغم كل هذه العوامل المباشرة فى انحطاط الفكـر الاسلامي ، فقد استطاع الاسلام ان يحافظ على نفسه بما يسمونه تحجرا وجمودا وتقوقعا وانحطاطا بوقف باب الاجتهاد . وكان ذلك أفضل حل للحفـاظ على الاسلام فى لحظة حرجة منهارة ، تكاثفت فيها كـل العوامل لضرب الاسلام فكريا وسياسيا وحضاريا ..

فالاسلام فى هذه الفترة المنحطة انتج فكـرا تاريخيا سياسيا مجتمعيا عبر فيه عن اصالة الفكـر الاسلامي كابن خلدون وابن الازرق كما ظهر فقهـاء افذاذ جمعوا وصنفوا الفكر السالف تصنيفا دقيقـا دل على نضجهم الفكري واستيعابهم الكامل للاسلام ، وبذلك كان أولى لنا ان نسمي هذه الفتـرة بفتـرة الصمود والثبات بدل فترة الانحطاط والتدهور ...

مواقف حديثة من الفلسفة ...

وفى العصر الحديث او المعاصر ، حيث عمت الفلسفة من جديد ، وتحولت الى ايديولوجيات عملية تنافس الدين اقوى مما كانت عليه فى القديم ، وحيث أن التيار الاسلامي فى صنفيه الكلامي والاسلامـي المحض ما زال ينازع الفلسفة ويخاصمها ، أصبـح التساؤل عن قيمة تلك المحاولة القديمـة فى نظـر التيارات الحديثة ذا اهمية .. فالحكـم على تلـك التجربة كامل العناصر لان بنيتها العقلية قد انتهت واشكالها البنيوي قد تجاوز .

فاول من اهتم بالفلسفـة الاسلاميـة هـم المستشرقون وكان لعملهم وجهان : وجه يذمون به فكر المسلمين عامة ووجه يحيون به الحديث عـن الفلسفة ويفسحون لها المجال من جديد ..

وبدات تلك الحملة بتشويه الفكر الاسلامي عامة على اعتبار أن تلك التجربة كانت فاشلة لعدم شموليتها ولانتسابها للفكر السامي التجزيئي عامة ، او لسقوطها فى دوائر التكرار ودوائر التلخيصات ولذا بدت خالية من اي ابداع فلسفي .

وحاول المستشرقون بعد ذلك تلطيف الجـو ببعض الاعترافات والمدح واعادة الاعتبار ، ولكن رغم ذلك ظلت نظرتهم الاولى هي الغالبة حيث يردون تلك التجربة قاطبة الى عبقرية اليونـان ومجهـودات السريـان .

هذا الموقف أثار المسلمين فعملوا على مواجهة هذه الآراء ودحض هذه التفسيرات ، ولكنهـم فى بداية أعمالهم ظلوا متاثرين بجميع الافكار التي تلقوها عن المستشرقين على أساس تبعية المسلمين للفكر اليوناني مع بعض الاصالة حيث أن تفكيرهم لم يقتصر على التكرار والتلخيص بل قاموا بالتوفيق بين الدين والفلسفة وهكذا عمدوا الى ابراز مذهب كل فيلسوف .. ومعنى هذا انهم سقطوا فى لعبـة او هـدف المستشرقين فى احياء التراث الفلسفي التلفيقي .

(40) نصير الدين الطوسي . (عويدات) . ص : 81

وبجانب هذا التيار برز تيار آخر اعتبر ان الفلسفة المشائية ابتكرت وناقشت الفكر اليوناني ولكنهم فى كل ذلك ظلوا مشائيين تحت سيطرة الفكر اليوناني واعتبرت فلسفتهم لا تعبر عن الفلسفة الاسلامية الحقة . وهكذا دعوا الى اعتبار علم الكلام واصول الفقه والتصوف والمنهج التجريبي عند العلماء المسلمين هو المعبر الحقيقي عن فلسفة المسلمين وهذا الموقف تقريبا استمرار لنزعة الكلام او الفكر الاسلامي عامة بداها مصطفى عبد الرازق وبلغ بها الى اوجها الدكتور علي سامي النشار .

ثم تطور الموقفان ليصبحا موقفا واحدا او موقفا آخر جديدا يعبر عن وحدة الفكر الاسلامي والكلامي والفلسفي واعتبارهما فى اطار واحد وقالب واحد هو الاسلام . ومثل هذا الاتجاه فى رؤيته البسيطة الدكتور عبد الرحمن مرحبا ومثله فى اقصى مرحلته الدكتورة فوقية محمود حسين حيث اعتبرت أن الفلاسفة الاسلاميين اخذوا الفلسفة اليونانية وافرغوها من محتواها التصوري اليوناني ونسجوها بالتصور المنهجي الاسلامي ، فابدعوا بذلك فلسفة اسلامية خالصة تخالف فلسفة اليونان . وهذا معناه الغاء ما يسمى بالتوفيق حيث تتخطاه الى خلق فلسفة اسلامية باستعمال المصطلحات والموضوعات اليونانية بعد استبدال مضامينها بمضامين اسلامية وتصور اسلامي .

وعلى نقيض هذا الموقف موقف الاتجاه الماركسي فى الفلسفة الحديثة حيث يرفض صبغ هؤلاء الفلاسفة بالصبغة الدينية ويفضل انتماءهم للفكر اليوناني حتى يكونوا هرطقيين ماديين متناقضين مع الاتجاه النصوصي الوثوقي الديني كما يذهب الى ذلك تيزيني . حيث يعتبر الصبغة الدينية عندهم تغطية لهرطقتهم ويونانيتهم نظرا للقمع والارهاب الفكري .. والاساس المنهجي لهذا الاتجاه هو الصراع بين الفكر الديني والفلسفي على اساس طبقي .. فالمتدينون يعبرون عن ايديولوجية اقطاعية متاخرة ، والفلاسفة يعبرون عن ايديولوجية بورجوازية مبكرة متقدمة ...

وعلى نقيض كل تلك المواقف الاتجاه الاسلامي المعاصر الذي يرفض كل التفسيرات والمواقف السابقة من الاساس على اعتبار علم الكلام والفلسفة المشائية ترفا فكريا ، وقوالب فكرية باردة ، اي ميتافيزيقا بدون حجة وبدون منهج قويم . فسيد قطب يمثل هذا الاتجاه ويذهب الى ان « من فتن بالفلسفة ظن ان الفكر الاسلامي لا يستكمل مظاهر نضوجه واكتماله ومظاهر ابهته وعظمته الا اذا ارتدى هذا الزي ـ زي التفلسف والفلسفة ـ وكانت له فيه مؤلفات ، وكما يفتن منا اليوم ناس بأزياء التفكير الغربية كذلك كانت فتنتهم بتلك الازياء وقتها فحاولوا انشاء فلسفة اسلامية كالفلسفة الاغريقية وحاولوا انشاء علم الكلام على نسق المباحث اللاهوتية مبنية على منطق ارسطو ! (...)

ولما كانت هناك جفوة اصيلة بين منهج الفلسفة ومنهج العقيدة ، وبين اسلوب الفلسفة واسلوب العقيدة ، وبين الحقائق الايمانية الاسلامية وتلك المحاولات الصغيرة المضطربة المفتعلة التي تتضمنها الفلسفات والمباحث اللاهوتية البشرية .. فقد بدت الفلسفة الاسلامية كما سميت نشازا كاملا فى لحن العقيدة المتناسق ، ونشأ من هذه المحاولات تخليط كثير ، شاب صفاء التصور الاسلامي وصغر مساحته واصابه بالسطحية ذلك مع التعقيد والجفاف والتخليط . مما جعل تلك الفلسفة الاسلامية ومعها مباحث الكلام غريبة غربة كاملة على الاسلام وطبيعته وحقيقته ومنهجه واسلوبه ! .

وانا اعلم ان هذا الكلام سيقابل بالدهشة على الاقل سواء من كثير من المشتغلين عندنا بما سمي الفلسفة الاسلامية أو من المشتغلين بالمباحث الفلسفية بصفة عامة .. ولكني اقرره وانا على يقين جازم بأن التصور الاسلامي لن يخلص من التشويه والانحراف والمسخ ، الا حين نلقي عنه جملة بكل ما اطلق عليه باسم الفلسفة الاسلامية وبكل مباحث علم الكلام وبكل ما ثار من الجدل بين الفرق الاسلامية المختلفة فى شتى العصور ايضا .. ثم نعود الى القرءان الكريم نستمد منه مباشرة مقومات التصور الاسلامي (41) .

الرباط : محمد العربي الناصر

---

(41) مقومات التصور الاسلامي ـ سيد قطب . ص : 10 ـ 11 .



للأستاذ عبد القادر العافية

بعد الشيخ عبد الله الهبطي من الشخصيات التي كان لها تأثير على المجتمع فى القرن العاشر الهجري ، وذلك نظرا للدور الذي قام به في ميدان الاصلاح الاجتماعي .

فالشيخ عبد الله الهبطي بعد ما تزود بمعارف مصر ، وتثقف ثقافة واسعة فى العلوم الدينية ، وعلم الكلام وعلم المعقول ... ثم تكون تكوينا صوفيا سليما من الغلو والتطرف ، نشط فى ميدان الدعوة الاصلاحية وتفتقت مواهبه تفتقا عجيبا فى ميدان الدعوة والاصلاح .

نشاته ودراسته :

ولد الشيخ عبد الله الهبطي بضواحي طنجة حوالي سنة : (890 هـ / 1485 م) (1) أي بعد احتلال طنجة بحوالي اربع عشرة سنة ، ويبدو ان التوسع الذي كانت تقوم به القوات البرتغالية لتضيف مناطق جديدة الى مراكز احتلالها تشمل شمال المنطقة التي كانت تسكن بها أسرة الشيخ عبد الله الهبطي ، فاضطرت هذه الاسرة الى الجلاء والنزوح فنزحت تحت رعاية اخيه مسعود بن محمد الهبطي ، ومسعود هذا كان قد مكث فى سجن البرتغاليين عشرين سنة ، ذاق خلالها انواعا من المحن والعذاب (2) وبعد ما ساعدت الظروف على خلاصه من قبضة البرتغاليين وعلى فكه من القيود الحديدية التي كان مثقلا بها ... هاجر بالاسرة الى الجبال الغمارية التي كانت فى هذه الفترة قد نظمت بها حركات جهادية لمقاومة المحتلين (3) . ونزلت الاسرة اولا بقرية تيجساس (4) من قبيلة بني زيان بجبال غمارة(5)

---

(1) ذكر ابن القاضي فى الدرة ، والجذوة انه ولد سنة 805 هـ . وقال فى الدرة وفى حفظ الفرائد : انه توفي سنة 968 هـ وهذا بعيد جدا لان الهبطي عاش نحو السبعين سنة حسبما صرح به ولده محمد فى ترجمته وبهذا يكون ابن القاضي وهم فى تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته ، وتبعه فى ذلك محمد بن الطيب القادري فى الاكليل والتاج . ويترجح عندي ان حياته تقع بين : 890 هـ و 963هـ. وصرح ولده ، وكذا ابن عسكر فى الدوحة انه توفي سنة 963 هـ . وتبعهما كثير ممن ترجموا له .

(2) (المعرب الفصيح فى ترجمة الشيخ النصيح)لمحمد بن عبد الله الهبطي ، وهو منظومة فى ترجمة والده فى أزيد من الف وثلاثمائة بيت ، مخطوط خاص .

(3) مثل امارة بني راشد بشفشاون التي تأسست من اجل الجهاد قبل سنة 876 هـ / 1471 م .

(4) قرية تاريخية كان لها دور هام فى تاريخ هذه المنطقة وبها نزل عمر ابن ادريس فى القرن الثالث الهجري واتخذ منها مركز امارته . وتسمى أيضا (بالسصيحة) انظر احمد المكناسي ، المدن الاسلامية المندرسة بشمال المغرب ، وخريطة المغرب الاركيولوجية له ايضا ، (حرف التاء) .

(5) بني زيات هي احدى قبائل غمارة الموالية للبحر المتوسط .

وفي هذه الجبال اتم الشيخ عبد الله الهبطي حفظ القرءان الكريم ، واخذ يدرس مبادىء العلوم ، وبعد مدة يسيرة من الزمن انتقلت أسرة الهبطي من قرية تيجساس الى قرية تلمبوط بقبيلة بني زجل (6) وفي بني زجل تتلمذ على شيوخ اجلة كان فى طليعتهم الشيخ عبد الله القسطلي الشدادي (7) الزجلي (8) وهو شيخه فى القراءات والتفسير وعلم القرءان الكريم ، ولازمه الهبطي ما يزيد عن ست سنين وتوطدت بين الشيخ القسطلي وتلميذه علاقة متينة ، وكان شيخه هذا يقدر مواهبه وجديته ، واستقامته ، كان الهبطي – فيما بعد عهد التلميذ – لا ينقطع عن زيارة شيخه القسطلي بالرغم من تنقلاته العديدة واسفاره الطويلة .

وممن درس عليهم كذلك بجبال غمارة الشيخ الفقيه الحاج زروق الزياتي (ت. 931 هـ) درس عليه الفقه برسالة ابن ابي زيد القيرواني وغيرها من كتب الفقه ، ويذكر عبد الله الهبطي : « ان شيخه هذا كان من اهل الفضل والعلم والصلاح » (9) .

ثم قام بالرحلة فى طلب العلم الى فاس ، ومن اشهر شيوخه بهذه المدينة الشيخ أبو العباس أحمد الزقاق (ت. 920 هـ) (10) وكان هذا الشيخ من المعجبين بتلميذه عبد الله الهبطي ، وبدا هذا الاعجاب والتقدير من اليوم الذي سئل فيه الشيخ الزقاق عن مسألة وهو فى حلقة الدرس فأجاب فيها على الفور ، لكن السائل طلب من الشيخ الدليل فاطرق الشيخ الزقاق مليا يبحث عن الدليل فاذا بتلميذه عبد الله الهبطي يسعفه به فى الحين ففرح الشيخ بذلك فرحا كبيرا ، ومن هذه اللحظة اصبح الشيخ احمد الزقاق يجل تلميذه عبد الله الهبطي وتوطدت بينهما علاقة طيبة ، وظلت هذه العلاقة الودية قائمة بين اسرة الزقاق والشيخ عبد الله الهبطي امدا غير قصير ، وتجلى ذلك فى موقف الشيخ عبد الوهاب الزقاق (ت. 961 هـ) من المناظرة التي جرت بين الشيخ الهبطي والشيخ اليسيتني (ت : 959 هـ) ؛ حيث كان الزقاق هذا فى طليعة العلماء المؤيدين للشيخ عبد الله الهبطي ، وكان من الذين قرروا عدم المشاركة فى تلك التمثيلية الهزيلة التي جرت بمحضر السلطان محمد الشيخ السعدي (11) .

وتتلمذ بفاس كذلك على العلامة ابي العباس أحمد بن محمد العبادي التلمساني (ت : 931 هـ) الذي ورد على فاس ايام السلطان محمد الشيخ الملقب (بالبرتغالي) (910 – 931 هـ) وقدم هذا الشيخ للتدريس بالقرويين ، مع توافر العلماء بها ، وانتفع الناس بعلومه وكان ممن تتلمذ عليه ، صاحبنا عبد الله الهبطي (12) .

وبعد ما كرع مترجمنا من منابع المعرفة ببلده اولا ، ثم بفاس ثانيا وتزود من المعارف ، تاقت نفسه للاخذ عن شيوخ التربية الصوفية وتردد كثيرا قبل ان يختار الشيخ المربي ، واخيرا هداه تفكيره الى الاخذ عن الشيخ الصوفي المجاهد الشاعر الرقيق الاديب البليغ ، ابى عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن ابن يجبش التازي (13) فقصده الى مقر سكناه بمدينة تازة ، الا انه وجده مريضا ، فاخذ يتردد عليه ويعوده مع الزائرين والعواد ، وكان الشيخ ابن يجبش يعيش ايامه الاخيرة الا انه فتح عينيه ، وركز بصره على تلميذه عبد الله الهبطي واستبقاه بعد خروج العواد ، فحدثه وانبسط معه ... ولم تطل حياة الشيخ ابن يجبش بعد ذلك فتوفي رحمه الله ، وكان ذلك سنة (920 هـ) .

---

(6) بني زجل قبيلة غمارية شمال شفشاون .
(7) نسبة الى (بني شداد) وهي فرقة من فرق بني‌زجل الغمارية .
(8) الشيخ القسطلي الزجلي ، انظر ترجمته فى الدوحة : 23 ، ط. ح. ف .
(9) قام برحلة الى المشرق والف شرحا لمنظومة الشيخ عبد الرحمن الرقعي ، (ت : 859 هـ) فى العبادات ، وكان الشيخ الحاج زروق الزياتي من‌اهم علماء جبال غمارة ، ترجم له صاحب الدوحة : 101 : ط. ح. ف.
(10) الدوحة : 40 . ط. ح. ف .
(11) انظر عن هذه المناظرة الدوحة فى ترجمة الشيخ عبد الله الهبطي : 6 : ط. ح. ف. وانظر دعوة الحق ع: 10 : س: 17 ، دجنبر 1976.
(12) الدوحة : 88 و 89 .
(13) الدوحة : 51 ، ط. ح. ف. وكتاب : اضواء على ابن يجبش التازي، للاستاذ ابى بكر البوخصيبي

وبعد انصراف الشيخ عبد الله الهبطي من تازة تجدد اهتمامه بالبحث عن شيخ التربية الصوفية ، واصبح هذا الموضوع يشغل فكره .

واخيرا قرر أن يتصل بالشيخ عبد الله الغزواني (14) بمدينة فاس ، وكان الشيخ عبد الله الغزواني فى هذه الآونة ، قد ذاع صيته ، واصبح يشار اليه بالبنان ، وبذلك اضحى من الشخصيات البارزة فى سلسلة مشايخ الطريقة الجزولية الشاذلية ، بل ما لبث أن انتهت اليه المشيخية الكبرى فى هذه الطريقة ، اتصل الشيخ عبد الله الهبطي بالشيخ عبد الله الغزواني فتتلمذ له ، وصحبه واخذ عنه ، بل رافقه مدة طويلة فى الحضر والسفر ، وتشبع بالافكار الصوفية ، فسمت نفسه ، وصفت روحه ، وجال في عالم الاذواق والاشواق والوجد ... واستفاد من المربين والمريدين ، وبعد هذه الجولة فى عالم التصوف عاد الى جبال غمارة وهو قد تشبع بالافكار الصوفية الشاذلية ، وكان اول ما قام به بعد عودته الى بلاده هو زيارته لصديقه الحميم الشيخ العلامة ابي القاسم بن خجو (ت : 956 هـ) (15) فرحب به الشيخ بن خجو ، وقدم له قرى الضيف ، واخذ يسأله عن طول الغيبة ، فانطلق الشيخ عبد الله الهبطي يعدد له محاسن التربية الصوفية ويعلي من قدرها وقيمتها ... وهنا انبرى الشيخ بن خجو لمعارضته وعتابه على تعلقه بأذيال المتصوفة وعلى تركه للجادة ... فما كان من الشيخ عبد الله الهبطي الا ان اخذ يفهم صاحبه مرامي التصوف ومنافعه ومزاياه ... وطال الحوار بين الصديقين ، واخذ كل واحد منهما يحتج بما لديه من النصوص ... ولجلا معا الى الكتب لاستشارتها وللاستعانة بها ، وبعد مضي وقت غير قصير كانا قد لجلا الى نحو ثلاثين كتابا من خزانة الشيخ ابي القاسم بن خجو ، وانتهت هذه الجولة من الحوار وللاحتجاج بانتصار الشيخ عبد الله الهبطي على صديقه بن خجو الذي كان عنيفا فى اول الامر الى درجة انه قال للهبطي : « كان يهون علي أن اراك يهوديا أو نصرانيا على أن اراك تتعلق بأذيال هؤلاء القوم !! » لكن الشيخ الهبطي ما زال يقنع صاحبه ، ويبطل حججه ، ويبين له فوائد التربية الصوفية السليمة الى أن أقنعه (16) .

والغريب فى الامر هو أنه بعد مدة قليلة من هذا الحوار سنرى الشيخ أبا القاسم بن خجو يتحول الى مدافع عن الصوفية ، وعن المريدين — وهو الفقيه الكبير والمفتي الاكبر بجبال غمارة وبلاد الهبط — ويؤلف فى ذلك كتابه : (ضياء النهار المجلى لغمام الابصار فى نصرة اهل السنة الفقراء الاخيار) (17) بل سنرى الشيخ بن خجو بالرغم من تضلعه فى العلوم الدينية ، وتفوقه فى السن يتخذ من صديقه عبد الله الهبطي شيخه فى ميدان التربية الصوفية !! وسنلاحظ فيما بعد انهما اصبحا يتعاونان معا فى ميدان الدعوة ولا يفترقان الا قليلا حيث اخذا يتجولان معا فى القبائل والمداشر داعيين الى الله آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ... بل نسقا خطتهما فى هذا الشان تنسيقا عجيبا ... وتوجا تعاونهما هذا بالمصاهرة فزفت اخت الشيخ ابي القاسم بن خجو الى الشيخ عبد الله الهبطي ، واشتركت معهما هذه السيدة فى ميدان الدعوة ، واصبحت بدار زوجها بالمواهب (18) تقوم بتعليم النساء ودعوتهن الى الله وارشادهن الى الطريق المستقيم (19) .

---

(14) انظر ترجمته فى الدوحة : 70 ، ط. ح. ف . وجذوة الاقتباس : 440 ، ط. الرباط . وسلوة الانفاس : 2 : 209 . وتوفي الشيخ عبد الله الغزواني بمدينة مراكش سنة : (935 هـ) ودفن بها، وترجم له الحضيكي فى الطبقات فى باب عبد الله . ترجمة مطولة .

(15) انظر ترجمته فى الدوحة : 13 ، ط. ح. ف. وبمجلة دعوة الحق ع : 8 ، س : 17 ، اكتوبر 1976.

(16) المعرب الفصيح السالف الذكر .

(17) توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط قسم المخطوطات تحت رقم : 1845 د ضمن مجموع .

(18) المواهب : مدشر بسفح الجبل الاشهب المتفرع عن جبل (ماكو) شرق شفشاون وبه توجد زاوية الشيخ عبد الله الهبطي المشهورة فى هذه الناحية ، انظر : (زاوية الهبطيين) بالخريطة الاقليمية المغربية الصادرة عن وزارة الفلاحة بالرباط رقم : 493 .

(19) المعرب الفصيح .

« الشيخ عبد الله الهبطي واسلوب دعوته » :

بعد ما تزود الشيخ عبد الله الهبطي بالتربية الصوفية بالاضافة الى تضلعه فى علوم الشريعة واصول العقيدة ، واصول الفقه ... اصبح مؤهلا للقيام بدعوته الاصلاحية ... ويذكر معاصروه انه نشط فى ميدان الدعوة نشاطا كبيرا ، وانه أصبح يطوف بنفسه فى القبائل آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ... واتخذ اساليب مختلفة ، ومتنوعة لانجاح دعوته التي جند نفسه للقيام بها .

ومن جملة مساعي الشيخ عبد الله الهبطي لانجاح دعوته انه كان يتصل بأعيان كل قبيلة يصل اليها ، ويعقد معهم جلسات طويلة ويجمع الناس حوله ويسالهم عن قضايا فى شؤون الدين والدنيا ، ويسأل بصفة خاصة عن مبادىء الاسلام ، وعن قواعد الايمان والتوحيد ؟ ويسالهم كيف يطبقون اركان الاسلام ؟ ويسالهم عن الطهارة الكبرى والصغرى وعن احكام الحيض ، والنفاس ، والعدة ، وما الى ذلك من الاحكام الفقهية الضرورية ... وهو اثناء كل ذلك يعظ وينذر ويبشر ... وكان لا يغادر المكان الذي توجه اليه الا بعد ما يأخذ العهد من الاعيان والوجهاء على التزام الجادة ، وعلى اقامة الصلوات فى اوقاتها ، ويطلب منهم ان يعدوه على عدم استعمال الربا فى المعاملات التجارية وغيرها ... وكان لا يكفي فى ذلك بالعهد الشفوي بل كان يكتب وثيقة التزام فى نسختين فيأخذ هو واحدة ، وتبقى الاخرى عند اعيان الجماعة (20) . وكانت عادة الشيخ عبد الله الهبطي انه اذا دخل مدشرا من المداشر فانه يقصد المسجد اولا ، فاذا لم يكن بالمدشر مسجد فانه يعمل هو وجماعته الى بنائه (21) ، وفى مثل هذه الحال كان لا يجد اهل المداشر بدا من التعاون معه ، وكانت عادته كذلك انه لا يغادر المجموعة السكنية التي قصدها الا اذا حارب فيها العوائد الضالة بأية وسيلة يراها ناجحة ، فاذا كان الغالب على اهل المدشر مثلا تعاطي الخمور ، فانه كان يعمل على الاتصال بمن يباشر عصرها او خزنها ، ويتلطف معهم ويحذرهم ... ولا يخرج من المدشر الا وقد اريقت الخمور ، وتاب متعاطيها وخازنها ... وفى هذا الشأن يقول ولده محمد الصغير الهبطي (ت : 1001 هـ) : « بان والده اراق فى سنة واحدة ما يزيد عن الفين من الدنان » (22) .

وحارب كذلك ظاهرة الاختلاط المشين بين الرجال والنساء كاختلاطهم فى الاعراس والولائم والحفلات والمواسم ، وعلى شاطىء النهر او ساحل البحر او غير ذلك من الاماكن ... (23) وصب جام انتقاده على مثيري الشهوات ، ومشجعي الفسوق والفجور كالزفان ، والوشام (24) والسكارى والمستهترين ... ونظم فى التشنيع بأفعال هؤلاء جميعا منظومات فاضحة لاعمالهم ، مشهرة بفسوقهم ، ومستهجنة لغوايتهم وضلالهم ...

وحارب كذلك ظاهرة الوشم تلك الظاهرة التي كانت متفشية فى المجتمع الغماري فى ذلك العصر ، وشنع على الموشومين وعلى الواشمين ووصف اعمالهم ورسومهم ... وكيف يغيرون خلق الله ... ثم وصف الوشام كيف كان يباشر عمله فى جو من الاستهتار والتفسخ .

واستطاع الشيخ عبد الله الهبطي — بعد جهد جهيد — ان يخلص المجتمع الغماري من ظاهرة الوشم التي لم يبق لها اليوم اي اثر فى جبال غمارة بل اصبحت فى خبر كان منذ أواخر حياة صاحبنا .

وكانت منظومات الشيخ عبد الله الهبطي فى التشنيع بالعوائد الضالة تؤثر على الناس ويعجبون بها ، وكانوا يتلقونها بمجرد صدورها عن صاحبها ،

---

(20) مقنع المحتاج لاحمد بن عرضون مخ : 1026 ك .
(21) فوائد محمد بن عبد الله الهبطي ، مخ. خاص.
(22) المعرب الفصيح فى الفصل الذي عقده المؤلف للحديث عن المناكر التي حاربها والده .
(23) انظر (الالفية السنية فى تنبيه العامة والخاصة على ما غيروا فى الملة الاسلامية) فى الفصل الذي عنونه المؤلف هكذا : (باب ما وقع من التغيير فى أحوال العامة بسبب تغيير الايمان) : (مخ. خاص) وهي منظومة للشيخ عبد الله الهبطي .
(24) الزفان : هو الرقاص ، ويسمى عند الجبليين (بالشطيطح) . والوشام : رجل كان يمارس مهنة الوشم على الفتيات والسيدات .

وكانت تروج بصفة خاصة فى أوساط الطلبة والمتصوفة ثم تنقل الى مختلف الطبقات الاخرى ...

وبالاضافة الى منظومات الشيخ عبد الله الهبطي التي كانت تشخص الامراض الاجتماعية وتحذر منها، وتصف الدواء الناجع لها ... بالاضافة الى تلك المنظومات ـ التي تكون فى مجموعها مجلدا ضخما ـ كان الشيخ عبد الله الهبطي يبعث برسائله الى مختلف الجهات منتهضا للهمم ومحذرا من الوقوع فى الموبقات ، وكان يحث على جهاد الصليبيين المحتلين ، وينادي بوجوب جمع الشمل ، ووحدة الكلمة والرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكان يبعث برسائله فى الحث على ذلك الى الفقهاء والاعيان والى الطلبة ... وكثيرا ما كانت رسائله تقرا فى المسجد على مسامع الناس وبحضورهم .

وكان الشيخ عبد الله الهبطي فى قرارة نفسه مؤمنا بالرسالة المنوطة به كعالم ديني ، ويرى أن ما يدعو اليه هو واجب عليه لا يعفيه منه أي مبرر من المبررات .

وتتميز دعوة الشيخ عبد الله الهبطي بالنفس الطويل ، وبالصمود والصبر على تحمل الاذى والمكاره، كما تتميز دعوته بابتكار أساليب ناجعة وفعالة ...

فهو زيادة على نظم المنظومات المؤثرة ، وكتابة الرسائل واخذ العهود والمواثق ، والتجوال بالمداشر والقبائل ، وبناء المساجد والحث على عمارتها ... فهو زيادة على ذلك كان يغتنم فرص التجمعات العادية وغير العادية للقبيلة او القبائل ، كالاعراس والحفلات والمواسم والتاهب للجهاد وغير ذلك من التجمعات والمناسبات ... وفى مثل هذه الفرص كان يصدع بدعوته الاصلاحية ، ويبصر الناس بما هم عليه من انحراف وزيغ ويحذرهم من سوء عواقب افعالهم ...

« أهم ما كان يدعو اليه » :

واذا تتبعنا مراحل حياة الشيخ عبد الله الهبطي وتطور دعوته فاننا نجد انه كان يركز بالدرجة الاولى على قضايا العقيدة لانه كان يرى ان جهل الناس بالتوحيد الخالص يضعف من ايمانهم بالله ، واذا ضعف الايمان بالله ضعف معه الامتثال لاوامره ، وتلاشى فى النفوس وازع الابتعاد عن محارمه ونواهيه .

فالشيخ عبد الله الهبطي كان يرى أن ما يتخبط فيه مجتمع القرن العاشر الهجري من انحراف وتنكر لتعاليم الدين ، مصدره هو ضعف الايمان بالله تعالى فى النفوس ، ويتجلى ذلك عنده فى حالة مجتمعه وما هو عليه من انحراف ، وبعد عن الاخلاق القويمة وعما يصون الكرامة الانسانية من دنايا الشهوات والاهواء ...

وكان يرى ان الانحراف يعم مختلف طبقات مجتمعه ، باديته وحاضرته ، عوامه وخواصه ...

ولذلك وجه الشيخ عبد الله الهبطي ـ فى منظوماته العديدة ـ لومه وتأنيبه الى :

1 ـ طبقة الامراء والحكام
2 ـ طبقة الفقهاء والقضاة والعدول
3 ـ طبقة الدجالين من المتصوفة وادعياء التربية الصوفية
4 ـ طبقات العوام من نساء ورجال وخاصة مثيري الشهوات والمستغلين والدجالين والماكرين ..

وهو لا ينتقد هذه الطبقات مجرد انتقاد غامض، بل يصور اوضاع كل طبقة على حدة ، كما يصور أنواع الانحراف التي اصبحت تنغمس فيها ، ثم يصب نقده عليها وعلى العادات السيئة التي تعودها الناس والفوها ، والتي اصبحت شائعة فيما بينهم ، ويؤكد ان سبب هذا الانحراف فقدان الايمان الحقيقي بالله تعالى . ومن اجل ذلك ندب نفسه لتعليم التوحيد ـ لا للطلبة فقط ـ بل للعوام رجالا ونساء ولصغار التلاميذ ، واستعمل مع هؤلاء أسلوبا مبسطا خاصا بهم وحسب مستواهم .

وكان يستعين فى نشر دعوته باصدقائه وتلامذته ومحبيه ... وكانت زوجه آمنة بنت علي بن خجو (25) تقوم بتعليم النساء ما يتعلق بامور العقيدة ، وما يتعلق بأمور الدين .

(25) السيدة آمنة بن خجو هي اخت العالم الجليل ابي القاسم بن خجو وهي قد نشأت فى بيت علم ، فأبوها علي بن خجو من العلماء ، وأخواها كذلك ابو القاسم والحسن ، وكانت هي احدى الفقيهات المغربيات تحدث عنها محمد بن عبد الله الهبطي فى فوائده ، وفى منظومته (المعرب الفصيح) وأشاد بذكائها وتحصيلها ...

وهكذا نرى ان الشيخ عبد الله الهبطي ارجع كل المناكر التي كان يعاني منها مجتمعه الى فقدان الايمان الصحيح بالله تعالى ، والى تضاؤله في النفوس وهذا هو ما جعله في (الفيته السنية) مثلا يعنون الابواب هكذا : (باب ما وقع من التغيير في الجهاد بسبب تغيير الايمان) ، أو (باب التنبيه على ما وقع في ركن الزكاة من التغيير بسبب تغيير الايمان) .

فتفشي المناكر وارتكاب المحرمات كل ذلك عنده ناتج عن عدم تشبع الناس بروح الايمان ، ويرى ان تلك الروح قد ضعفت لعوامل مختلفة ، منها الغزو الصليبي الذي تعرضت له البلاد والذي نتج عنه سقوط أهم الثغور في يد العدو ...

والحقيقة ان الغزو الصليبي كان يهدف بالاضافة الى الاستغلال المادي — الى تنصير اهالي المناطق التي بسط نفوذه عليها ، وهذا ما كان يخشاه الغيورون على العقيدة الاسلامية ، خاصة وان بعض الفارين من الاندلس كانت قد تلاشت في نفوسهم وتصرفاتهم تعاليم الاسلام الحنيف نظرا لتعرضهم للتنصير الاجباري ، ذلكم التنصير الذي عانى منه المسلمون المغلوبون على امرهم بشبه جزيرة ايبيريا، ولهذا ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار عامل الغزو الصليبي لافريقيا أثناء حديثنا عن الدعاة والمصلحين في هذه الفترة بالذات .

واذا عرفنا هذه الحقيقة امكننا ادراك مغزى دعوة عبد الله الهبطي وأمثاله الى وجوب تثبيت العقيدة في نفوس الناس واذهانهم ... وادركنا كذلك سر حثهم على وجوب تعلم التوحيد ، وبالاضافة الى أخطار الغزو الصليبي الذي كانت تعاني منه البلاد : كان هناك جهل متوارث — ببعض المناطق — بمبادىء الدين الحنيف وتعاليمه . وهذا الجهل نفسه ساعد على تفشي الانحراف ، وعلى طغيان العوائد الضالة ، وبذلك أصبح امام الدعاة في هذه الفترة خطران رئيسيان :

1 — الخطر الاول هو الجهل المتوارث بين سكان بعض المناطق بتعاليم الاسلام ومبادىء العقيدة مع التشبث بالمتوارث من عوائد الاسلاف والاجداد .. تلك العوائد التي كان كثير منها بعيدا عن الاخلاق الاسلامية القويمة .

2 — الخطر الثاني كان يتجلى في الغزو الصليبي الشرس الذي كان يعمل على تحويل الناس الى المسيحية لا بشبه جزيرة ايبيريا فحسب بل حتى فيما احتلته الصليبية من مناطق في افريقيا .

فالداعية في القرن العاشر الهجري كان عليه ان يعمل في الميدانين معا :

1 — محاربة الجهل والعوائد الضالة .

2 — ميدان التحريض على الجهاد ، وتبصير الناس بعواقب الاحتلال الصليبي وباخطاره واضراره على الدين والدنيا .

ولقد عمل الشيخ عبد الله الهبطي في كلا الميدانين باخلاص وتفان .

« تحمل الاذى في سبيل الدعوة » :

نظرا لنشاط الشيخ عبد الله الهبطي في دعوته وصرامته في موقفه والحاحه على وجوب التغيير ...

ونظرا لمواقفه الشجاعة في وجه المنحرفين كانوا حكاما او أمراء او وجهاء أو غيرهم ...

نظرا لذلك لاقى كثيرا من المصاعب والمتاعب ، وعرض نفسه لسخط الحكام ، والامراء بل تعرض حتى لسخط بعض الفقهاء والقضاة وخاصة من هؤلاء الذين كانوا يوالون اهواء حكامهم وأمرائهم ...

ولاقى الشيخ عبد الله الهبطي مضايقات كثيرة من امراء بني راشد بصفة خاصة ، ويشير ابن عسكر في الدوحة الى بعض هذه المضايقات ، فهو يحدثنا مثلا عن الدور الذي قام به القائد محمد بن علي بن راشد في : (مناظرة الهبطي واليسيتني) وكيف كان هذا القائد يسعى للايقاع بالشيخ الهبطي (26) .

ويذكر الشيخ محمد الصغير بن عبد الله الهبطي ان والده رفض هدية قدمها له القائد محمد بن راشد، تلك الهدية التي كانت عبارة عن اكياس من القمح بعثها له القائد ابن راشد في عام مجاعة فرفض الشيخ

---

(26) الدوحة : ترجمة الشيخ عبد الله الهبطي ، ص: 6 ، ط. ح. ف .

ادخلها الى منزله وقام بتوزيعها على المساكين ولم يدخل منها الى بيته ولا حبة واحدة (27) .

وتذكر بعض المصادر الاخرى ان الشيخ عبد الله الهبطي تعرض للاهانة والضرب والسجن ، ولكثير من البلايا والمحن ، ومن ذلك ما يذكره ولد الشيخ عبد الله الهبطي فى منظومته فى ترجمة والده فيقول:

« كم سامه بالضرب والتهاون
والي وقاضي الجور بشفشاون

سجنه القاضي عدو نفسه
من غير جرم موجب لحبسه» (28)

والقاضي المشار اليه هنا هو القاضي محمد بن احمد بن الحاج ، وهذا القاضي تولى القضاء بشفشاون مدة طويلة – وربما افردناه بترجمة خاصة فى مناسبة اخرى – اما الوالي فهو محمد بن علي بن راشد .

وهكذا نرى ان الشيخ عبد الله الهبطي تعرض للضرب والسجن والاهانة . ويذكر محمد الصغير الهبطي أن بعض فقهاء عصره لم يكتفوا بعدم مساندتهم لابيه فقط بل نالوا منه واصبحوا يحرضون عليه ، ويؤلبون الناس ضده (29) .

ويشير الشيخ ابو الحسن علي اليوسي فى المحاضرات الى ما لاقاه الشيخ عبد الله الهبطي من بعض معاصريه (30) من مضايقات ...

وهكذا فتن الشيخ عبد الله الهبطي كما يفتن الدعاة والمصلحون فى كل زمان ومكان ... الا انه بالرغم من كل ذلك ظل صامدا فى وجه العراقل والمثبطات ، وواصل المضي فى رسالته الى ان شل فى آخر عمره وعجز عن المشي ، ومع ذلك لم ينقطع عن عقد حلقات الدرس ولا عن مجالسه العلمية والتربوية ... بل يؤكد ولده ان والده نشط فى هذه المرحلة من آخر حياته حيث أصبحت مجالسه العلمية متوالية وفى غير انقطاع .

وبهذا ندرك ان الشيخ عبد الله الهبطي كرس حياته للدعوة والاصلاح ، فهو منذ شبابه المبكر وهو يقوم بمهمة الدعوة ، ويعمل من اجل اصلاح مجتمعه بكل الوسائل ... وبالرغم من المحن والبلايا التي اصابته فانه ظل صامدا ، وتجرع ما أصابه فى صبر وثبات وقوة ايمان وبعزيمة لا تلين فكان بذلك شأنه شأن الذين يتصدون لاداء رسالتهم كاملة غير منقوصة، ولا يخافون فى الله لومة لائم .

قيمتـــه ومكانتـــه :

نجد الذين ترجموا للشيخ عبد الله الهبطي ، او الذين تحدثوا عنه يجلون مكانته ويقدرون مواقفه.. ويشيدون بدوره فى ميدان الاصلاح الاجتماعي .

والذين تحدثوا عن الشيخ عبد الله الهبطي هم صنفان من الكتاب :

1 – كتاب التراجم ، وهم بدورهم ينقسمون الى قسمين :

ا – قسم يترجم لاعلام الطريقة الجزولية الشاذلية ، وهؤلاء اشادوا به كثيرا ، وعدوه فى طليعة تلامذة الشيخ عبد الله الغزواني السالف الذكر، وفى مقدمة هؤلاء الفاسيون : كصاحب مرآة المحاسن، وصاحب ابتهاج القلوب ، وصاحب ممتع الاسماع .. والاعلام ... ويضاف اليهم ابن عسكر .

ب – اما القسم الآخر من كتاب التراجم فهم يترجمون للاعلام من الفقهاء والعلماء سواء اشتهروا فى ميدان التصوف ام لا : كابن القاضي فى (الدرة)، و (الجذوة) ، والحضيكي فى الطبقات ، واحمد بن عجيبة فى أزهار البستان ، والقادري فى نشر المثاني ... وفى الاكليل والتاج ... وغيرهم . وهؤلاء جميعا تحدثوا عن الشيخ عبد الله الهبطي واثنوا عليه وعلى مواقفه ...

وتحدث عنه كذلك بعض الفقهاء فى مناسبات مختلفة وخاصة الشيخ القاضي أحمد بن عرضون (ت : 992 هـ) فى كتابه مقنع المحتاج ، وفى مختصره ، حيث نقل عنه مرارا ، وفى مناسبات كثيرة وخاصة فى ميدان محاربة العوائد الضالة .

---

(27) (المعرب الفصيح) ، مخ. خاص .
(28) نفس المصدر .
(29) المعرب الفصيح ...
(30) محاضرات اليوسي : 92 : ط. الرباط .

وتحدث عنه كذلك الفقيه محمد بن عيسى العلمي الشفشاوني وذلك اثناء شرحه (لمنظومة الشيخ عبد الله الهبطي فى العدة) (31) فأشاد به وبمواقفه .

ومن الفقهاء الذين تحدثوا عنه كذلك ابو الحسن علي التوازلي شقيق شارح منظومة العدة السالف الذكر ، فان ابا الحسن هذا نقل عنه عدة فتاوي فى موضوع العقائد ، وتعرض لقضية الخلاف بينه وبين الشيخ اليسيتني . ونقل فتاوي بعض العلماء المؤيدين له كالفقيه محمد بن جلال التلمساني (32) خطيب جامع الاندلس ثم جامع القرويين وغيرهم ...

وممن تناول الدفاع عن الشيخ عبد الله الهبطي فى (مسألة النفي فى كلمة الاخلاص) الشيخ العلامة ابو الحسن اليوسي (ت : 1102 هـ) فى كتابه (مشرب العام والخاص من كلمة الاخلاص) (33) حيث تعرض للخلاف بينه وبين الشيخ اليسيتني (ت : 959 هـ) وابان وجه الخلاف بينهما ، وانصف الهبطي ودافع عنه .

وتحدث عنه الشيخ اليوسي كذلك فى كتابه : (المحاضرات) . وتحدث عنه غير هؤلاء كالشيخ احمد البوسعيدي السوسي (34) والشيخ عبد القادر ابن علي الفاسي وغيرهما (35) .

وهكذا نرى ان الشيخ عبد الله الهبطي لفت بشخصيته ومواقفه انظار معاصريه ومن بعدهم . واكسبه اخلاصه فى الدعوة الى الاصلاح ، ومعالجة قضايا عصره فى صبر واستماتة ... تقديرا ومكانة فى اوساط الفقهاء والمؤرخين ورجال التصوف ...

هذا : والحديث عن الشيخ عبد الله الهبطي ما يزال طويلا . وشيقا فى نفس الوقت ، لان الحديث عنه لا بد وان يتناول آثاره : من منظومات ورسائل ، وبعض مؤلفاته ، وخاصة فى العقائد ، وهي آثار تحتاج الى دراسة مستقلة ، والى وقت طويل ...

كما ينبغي ان يتناول الحديث عنه ، الحديث عن معهده (بالمواهب) بالجبل الاشهب (بمكو) ذلكم المعهد الذي تخرج منه عدد وافر من رجال العلم ، وشيوخ التربية الصوفية ... وهو معهد كانت تدرس به مختلف العلوم والفنون التي كانت معروفة فى ذلك العصر . ومثل هذه المواضيع تحتاج الى دراسة مستقلة ورصينة ...

فالشيخ عبد الله الهبطي اذا له جوانب متعددة وكل جانب من تلك الجوانب يحتاج الى دراسة خاصة، والى فرصة اخرى بحول الله .

اهم مراجع البحث فى ترجمة
الشيخ عبد الله الهبطي

1 ــ دوحة الناشر لابي عبد الله محمد ابن عسكر الحسني الشفشاوني ترجم للشيخ عبد الله الهبطي ترجمة مطولة .

2 ــ مرآة المحاسن ، لمحمد العربي الفاسي ، ص : 15 ، ترجم له ترجمة مفيدة وذكر انه من شيوخ والده يوسف الفاسي .

3 ــ ابتهاج القلوب بخبر الشيخ ابي المحاسن وشيخه المجذوب (لعبد الرحمن الفاسي) .

4 ــ ممتع الاسماع للمهدي بن احمد الفاسي ، ص : 82 ، 69 ، 68 ، ط. ح. ف .

5 ــ روضة المحاسن للمهدي الفاسي ايضا ، ص : 25 و 30 .

6 ــ « المعرب الفصيح فى ترجمة الشيخ النصيح » لمحمد الصغير بن عبد الله الهبطي وهو عبارة عن منظومة فى : 1373 بيت ، وهو اوفى ترجمة

---

(31) مخطوط المكتبة العامة بتطوان رقم : 654 ضمن مجموع .

(32) ولد بتلمسان سنة 907 هـ ورحل الى فاس سنة 958 هـ وتوفي سنة 981 هـ ، انظر : الدوحة: 91 ، ط. ح. ف. والجذوة : 324 : ط. : الرباط .

(33) طبع على الحجر بفاس سنة 1327 هـ.

(34) هو الشيخ احمد البوسعيدي الهشتوكي ، له مؤلفات (990 ــ 1046 هـ) ، انظر : الحضيكي حرف الالف . والسلوة : 2 : 85 . والاعلام للمراكشي : 2 : 315 ، ط. الرباط .

(35) انظر الاجوبة الكبرى لعبد القادر الفاسي : 364 ، ط. ح. ف. 1319 هـ .

للشيخ عبد الله الهبطي ، الا ان القارىء يصادف احيانا بعض الغموض نظرا لطبيعة النظم او لان الناظم يتكلم عن اشياء يظن ان الناس كلهم يعرفونها ، ومع ذلك تبقى هذه الترجمة هي أوفى ترجمة له .

7 ـ ثمرة اسنى فى التعريف بنفسي لابي الربيع سليمان الحوات الشفشاوني ثم الفاسي ، حيث تكلم عن ضريحه وذكر أن الناس كانوا يقصدون ضريحه ليفتح عليهم فى حفظ القرءان الكريم ...

8 ـ مقنع المحتاج لاحمد بن عرضون وهذا قد ذكره مرارا وخاصة بالقسم الاول من الكتاب مخ : خ. ع. ر. 1026 ك .

9 ـ (جذوة الاقتباس ، فيمن حل من الاعلام بمدينة فاس) لابن القاضي ج : 2 : 440 ، نشر دار المنصور ، بالرباط ، والهبطي آخر من ترجم لهم فى باب عبد الله .

10 ـ (درة الحجال فى غرة اسماء الرجال) ترجمة 853 ص : 345 . ج : 2 : من طبعة الرباط ، والجزء الثاني ، ص : 60 من طبعة القاهرة .

11 ـ (ازهار البستان فى طبقات الاعيان) للشيخ احمد بن عجيبة ، مخ. خ. مخ. ر. رقم : 4178 : ج : 1 .

12 ـ الاكليل والتاج للشيخ محمد بن الطيب القادري خ. م. ر : 1898 . والمقصود بهذا الكتاب هو تذييل كفاية المحتاج لمعرفة من ليس فى الديباج ، وترجم للهبطي فى باب عبد الله ، ص : 56 .

13 ـ شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية لمحمد ابن محمد مخلوف ، ط. القاهرة سنة 1349هـ ص : 224 .

14 ـ الاستقصا فى تاريخ المغرب الاقصى ، لاحمد بن خالد الناصري ، ط. دار الكتاب ، ج : 5 : 87 و 88 .

15 ـ صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر ، لابي عبد الله محمد الصغير الافراني ، ط. ح. ف .

16 ـ النبوغ المغربي للاستاذ عبد الله كنون ، ج : 1 : 251 ، ط. بيروت 1961 .

17 ـ الالفية السنية فى تنبيه العامة والخاصة على ما غيروا فى ملة الاسلامية . مخطوط خاص ، وتوجد منها بعض النسخ فى المكتبة الملكية بالرباط .

18 ـ مجلة الشراع العدد الثالث : 1960 وهي مجلة ادبية ثقافية كانت تصدر بشفشاون فى اوائل الستينات ، بها موضوع عن الشيخ عبد الله الهبطي ، بقلم الاستاذ سعيد اعراب.

19 ـ (مشرب العام والخاص من كلة الاخلاص) للشيخ ابي الحسن علي اليوسي ، فهذا الكتاب مبني اساسا على الخلاف الذي وقع بين الشخصين الهبطي واليسيتني فى النفي فى كلمة الشهادة ، طبع على الحجر بفاس سنة 1327 هـ .

20 ـ المحاضرات لليوسي ايضا : 92 : ط. الرباط

21 ـ (طبقات الحضيكي) مخ. ح. ع. ر. ترجم له فى باب عبد الله ، وتحدث عنه كذلك فى ترجمة شيخه عبد الله الغزواني .

هذي مشاعلنا

للأستاذ محمد الحلوي

● رزئت المدرسة القرآنية في المغرب بفقد رائد من روادها وعلم فذ من ابرز اعلامها العلامة المحقق والفقيه المحدث شيخنا سيدي عبد الرحمن الفريسي تغمده الله برحمته والهم اسرته وطلابه العزاء ، فالى روحه ارفع هذه العواطف وفاء لعهده واكبارا لعلمه وتقاه .

هل ابقت الايام في اجفاني ... دمعا اجود به على خلاني ؟

قد كان لي قلب فحطمه الاسى ... وغدوت في حزني بلا احزان

وفتحت للاحداث قلبي ضاحكا ... من كل خطب كان قد ابكاني

ان قلت هذي غمرة قد تنجلي ... وفجيعة ستهون بالسلوان

رجفت بنا - واحسرتاه - رواجف ... واصيب موطننا بخطب ثان

بالامس ودعت البلاد احبة ... وبكتهم بالمدمع الهتان

فقدت كواكب كم تألق نورها ... ومعالما احيت بني الانسان

واليوم يغتال الحمام ويصطفي ... طودا عظيما شامخ البنيان

عرفته اروقة العلوم مبرزا ... ومجليا من المع الفرسان

يزجي خطاه الى المساجد مدلجا ... والنوم يعقد اعين الوسنان

فى كبرياء العلم الا انه   فى خشية المتصوف الربانى
تغضي حياء اذ ترى اغضاءه   وعليه هدلات من الايمان .
ويجوب آفاق العلوم محلقا   كالنسر يعجز ثاقب الاذهان ..
ويغوص فى اعماقها متخيرا   اغلى الجواهر فى سمو بيان ..
تخذ الكتاب رفيقه وسميره   ومضى يعب مناهل العرفان
لم يلهه عن حبه ميل الى   دنيا ، ولم ينقد الى شيطان
الزهد والاخلاص بعض سماته   والطهر فى الاعمال والوجدان
وكانما هو (عبده) متحررا   فى الفكر او استاذه الافغاني !
يمشي واجنحة الملائك تحته   بسطا تمد لخادم القرآن
اكبرت فيه حياءه واباءه   ولمحت فيه ملامح الانسان

* * *

اعطى واجزل فى العطاء لامة   فيها لاهل العلم خير مكان .
يحيون فيها كالملوك مهابة   ويطيع امرهم ذوو التيجان !
مذ حل فاسا حل فى ابهائها   كالغيث فى شوق الى بستان .
فتحت لوافدها الكبير قلوبها   واستقبلته بدافيء الاحضان
وسقته كوثرها فأعطى كوثرا   لم يخش فيه جوائح النقصان
واذا اصاب الغيث ارضا خصبة   ابدت روائع زهرها الريان
واحتل اروقة القضاء فسار فى   احكامه بالقسط والميزان
وسما به علم الحديث وكان فى   (دار الحديث) حديث كل لسان !
دنيا من الامجاد زاخرة الرؤى   ومسيرة للعلم فى انسان
هذي روابي العلم يصرعها القضا   فيهد مصرعها قوى الاكوان
هذي قوافلنا يلاحق بعضها   بعضا تسير بخطوة العجلان
هذي مشاعلنا ! تغور وتنطفي   فى عالم قد ضج بالعميان
يا ضيعة الدنيا اذا سادت بها   غوغاؤها ، وغرابة الاديان !
ما الدار بعدهم بدار يشتهى   فيها البقاء ولا المغاني مغاني !

* * *

يا رافعين الى الثرى جثمانه   يمشون فى صمت وخطو واني
ارواحنا وقلوبنا فى نعشه   والعلم كل العلم فى الجثمان

ما كان احرى ان يوارى جسمه ... فى كتبه ـ بدلا من الاكفان

ابنوا له فى كل قلب مشهدا ... تبقى رؤاه على مدى الازمان

واستلهموا من روحه قيما لكم ... واحموا مآثره من النسيان

فالدمع لا يجدي حبيبا راحلا ... والموت اجراس على الآذان

والعيش نوم والمنية يقظة ... والعمر بين الحالتين ثواني !

ان كان فقد المصلحين خسارة ... فضياع مثلك اعظم الخسران

هل لي وقد حجب الدجى بدر السما ... ان استضيىء بنور بدر ثاني ؟

اتضن اغراس الغريسي بعده ... وقطوفهن اليانعات دواني ؟

فالشهد يجنى بعد هجرة نحله ... والتمر بعد تأود الاغصان

يا راحلا ما كان اطيب عمره ... ومودعا من غير ما استئذان

حلق بروحك فى السماوات العلا ... واسبح بها فى جنة الرضوان

سبح بحمد الله فى عرصاته ... واشرح هناك مثاني القرآن

وارو المسلسل من حديث محمد ... بين الملائك فى حمى الرحمان

وعليك الوية الرضى معقودة ... تختال بين الحور والولدان

وعزاؤنا فيمن فقدنا ان ما ... اسداه لا يفنى ، وعمر ثاني

يا اخوتي فى ارض فاس تحية ... مشبوبة القبلات من تطوان

حبان فى قلبي اعاني منهما ... ما ذا ترون ، وقد طغى الحبان !!

تطوان : محمد الحلوي

الاسلام والثقافة الطبية

● نوقشت بكلية الطب بالرباط اطروحة لنيل شهادة التبريز فى الطب تقدم بها الطبيب السيد امل العلمي فى موضوع الاسلام والثقافة الطبية ، واستغرقت المناقشة زهاء ثلاث ساعات ، وقد منحت للاطروحة ميزة حسن جدا .

حياة الشيخ
أحمد الجريري
شيخ الجماعة بسلا

للأستاذ عبد الرحمن الكتاني

علمنا التاريخ أن الانسان لا يمكنه ان يتسنم ذروة المجد الخالد الا بعد ان يتفانى في طاعة خالقه سبحانه وتعالى واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في الاقوال والافعال وبقدر تفانيه فيهما يعظم نفعه لمجتمعه الذي يعيش فيه بمثاليته اولا ثم بجهاده لصالح دينه ووطن دينه ولغة دينه ، واخلاق دينه ثانيا .

ومن تسنم ذروة المجد الخالد لا يمكن أن يزحزحه عنها احد وان كان يتوفر على جميع أنواع التأثير المادي .

وقد سجل الشاعر العربي مصيره في قوله :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يهنها واوهى قرنه الوعل

وهذه الميزة العظيمة هي التي امتاز بها الشيخ الامام الفقيه الصوفي ابو العباس احمد بن الحاج ابراهيم الجريري شيخ الجماعة بسلا الذي احتفلت سلا مؤخرا بذكرى مرور اربعين سنة على وفاته .

وبهذه المناسبة التاريخية عن لي ان ارسم للتاريخ صورا خاطفة من حياته علنا نكون بها اوفياء لائمتنا وروادنا من جهة . وندفع بها جمعا من علماء المغرب ومثقفيه الى الاهتداء به من جهة اخرى ولو في بعض وجوه الاهتداء .

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم
ان التشبه بالكرام رباح

نسبه واوليته وامجاده :

هو احمد بن ابراهيم بن محمد بن محمد بن احمد بن الفقيه الجريري الاندلسي ثم الغماري البرهوني ، كانت عائلته المجيدة من العائلات الاندلسية التي هاجرت من الاندلس الى المغرب فاستقرت اولا بقبيلة غمارة الشهيرة بالعلماء والابطال ثم انتقلت الى سلا .

ومنذ ان استقرت بها واعضاؤها يسجلون في كل مناسبة سنحت لهم مفاخر عديدة فبيتهم بها من البيوت الشهيرة بالعلم والعمل والدين والفضل .

شهد التاريخ لجملة من افراده بالامجاد التي يعز نظيرها في غيره . وناهيكم بوالده العلامة الكبير القاضي السيد الحاج ابراهيم الذي كان قاضيا بسلا ويضرب به المثل في العدل واتباع تعاليم الاسلام . وجده العلامة الجليل السيد محمد الذي كان من علماء سلا وعدولها وافاضلها ووجهائها . ووالد جده العلامة الكبير والقاضي الشهير السيد محمد الذي كان اسند اليه قضاء سلا ونواحيها في حدود سنة 1220 .

وكان يضرب به المثل في العدل والمساواة بين الخصوم وفي الحفظ والاتقان حتى انه كان يحفظ مقامات الحريري عن ظهر قلب وسجل في شرحه لقافية ابن الونان الشهيرة المشتمل على مائة كراسة تشهد بعلمه الغزير ومشاركته في كثير من العلوم

واهليته للدخول فى زمرة رواد الادب العربي عن جدارة واستحقاق .

وقد حملته ثقته بعلمه ان اهداه لامير المومنين مولانا سليمان بن محمد العلوي رحمه الله فسر به سرورا كبيرا وقدم له هدايا نفيسة وسجل سروره به فى اول ورقة منه بخطه قائلا :

« من منن الله على عبده سليمان بن محمد ان ملكه هذا الشرح العجيب » .

ومن ماثره انه امر باجلاء اليهود من حيهم الكائن فى وسط المدينة المعبر عنه بالملاح الى حي جديد بعيد عنه وذلك سنة 1222 هـ .

وجد والده العالم الجليل الشيخ احمد الذي كان معروفا فى مختلف اوساط سلا بالعلم والعمل والزهد والاخلاق الكريمة .

ولادته ونشاته :

ولد فى شهر رجب الفرد سنة 1277 من والدين كريمين هما العلامة القاضي العدل السيد الحاج ابراهيم الجريري والسيدة خديجة كريمة العلامة المدرس السيد الحسن بن العلامة الكبير القاضي النزيه السيد احمد ابن بناصر معنينو ، ونشا فى بيئة اسلامية جامعة نشاة مثالية لائقة بامجاده .

مشيخته :

قرا القرءان الكريم على الفقيه الصالح الرحالة ذي الخط الجميل السيد الحاج احمد خضور السلاوي حتى استظهره كما استظهر عليه جملة من متون العلم المتداولة فى عصره .

ثم اشتاقت نفسه لحضور مجالس العلم على علماء سلا فاذنه والده بذلك فلازم مجالس كبار العلماء المعروفين فى اواخر القرن الثالث عشر واعرف منهم السادة :

1 ـ الحاج ابراهيم الجريري والده .

2 ـ عبد الله بن السيد الحاج الحارثي حجي.

3 ـ المكي بن الحاج محمد الصبيحي لازمه ملازمة الظل للشاخص عدة سنوات وهو عمدته .

4 ـ احمد بن خالد الناصري .

5 ـ عبد الله ابن خضراء .

6 ـ الحاج محمد بن عبد السلام بن الحاج .

7 ـ الحسن بن اسماعيل .

8 ـ محمد بن عثمان زنيبر .

لازم دروس هؤلاء الاعلام الى ان اصبح فى عداد العلماء ، وحيث انه لا حد للكمال ولا نهاية للفضيلة فان والده المقدس طيب الله ثراه وجهه سنة 1298 هـ الى جامعة القرويين بفاس ليرتوي من معينها علا بعد نهل فلازم مجالس ائمة العلم بها كالسادة :

1 ـ الحاج محمد بن المدني كنون .

2 ـ عبد المالك « الضرير » .

3 ـ احمد بن الخياط الزكاري .

4 ـ محمد بن قاسم القادري .

5 ـ محمد بن التهامي الوزاني

6 ـ عبد السلام الهواري .

7 ـ الحاج صالح التدلاوي وزير الخليفة السلطاني بفاس مولاي اسماعيل بن محمد العلوي رحم الله الجميع .

ما اقراه من الكتب :

ولما اصبح بحرا فى جميع العلوم المتداولة فى عصره رجع الى سلا سنة 1302 ونزل الى ميدان التدريس بشجاعة نادرة وصبر فاق فيه شيوخه واقرانه ـ فالتف حوله طلبة العلم البارزون وصاروا يرتوون من بحره الفياض فدرسوا عليه ما ياتي :

1) مختصر الشيخ خليل بشروحه المتداولة، الدردير الخرشي الزرقاني .

2) رسالة ابن ابي زيد القيرواني بشرح ابى الحسن .

3) المرشد المعين بشرح ميارة الكبير والصغير .

4) توحيد ابن عاشر بشرح الشيخ الطيب ابن كيران .

5) الرقاقية بشرح الشيخ التاودي .

6) التحفــة بشرح الشيخ التاودي .

7) جمع الجوامع بالمحلـى وبنانـي .

8) السلـم بشرح القويسني .

9) الاجروميـة بشرح الازهـري .

10) الجمـــل .

11) الالفيـة بشرح المكـودي .

12) اللاميـــة .

13) منظومة الشيخ الطيب ابن كيـران فى علم الاستعارة بشرح البوري .

14) همزية البوصيري بشرح بنيس .

15) بـــردة البوصيـري .

16) كتابا فى الجغرافية لا اعرف اسمـه .

وكتب لي العلامة الناسك السيد الحاج محمد المريني ابقاه الله ان المترجم له كان قـد رأى فى منامه انه ختم صحيح البخاري بالضريح الادريسي بفـــاس .

قال الكاتب : « ولما وصل لفاس التقينا به عند السيد العربي بن سليمان عم الفقيـه السيد محمد ابن سليمان فطلب محلا خاصا به فى الضريح فلـم توجد الا غرفة صغيرة فى الضريح كان فيها شريف صالح من زرهون فقبل ان يجلس معـه وصار يسرد صحيح البخاري بنفسه سوائع وكنت أحضـر والاخ سيدي محمد التطواني والاخ سيدي محمد الغربـي وختمه فى مدة تزيد على الشهر ولم يقبل منـا أن نعينه فى السرد رغم انه كان لا يرى الا بعين واحدة » الى غير ذلك من الكتب المتداولة فى عصـره ، ولا اعلم هل سبق له ان اشتغل بالصحيح قبل هـذه المرة وهل كان يقتصر على السرد كما فعل بفـاس ام كـان يشـرح .

تــلامــذتـــــه :

تخرجت من المدرسة الجريرية اجيال عديدة اثناء ما يقرب من خمسين سنة التـي قضاهـا فى التدريس ونشر الفضيلة أي من سنة 1302 التي رجع فيها من فاس وابتدأ التدريس الى سنة 1351 التي ترك فيها التدريس لضعف بصره .

وقد تخرجت عليه فيها طبقة كبرى من العلماء يفتخر بها التاريخ المغربي وطبقة ثانية تليها سـد الجميع فراغا كان يجب ان يسد . وساذكر فيما يلي نماذج من الطبقة الاولى واتبعها بنماذج من الطبقـة الثانيـــة :

الحاج الهاشمي ابن خضراء ، الحاج احمد بـن عبد النبي ، زين العابدين ابن عبود ، ادريس ابـن خضراء ، الحاج محمد الصبيحي ، حجـي بن محمد زنيبر ، محمد بن احساين النجار ، محمد بن عبـد السلام السائح، ابو بكر زنيبر ، الحاج العربي الناصري، عبد القادر التهامي الوزاني ، الحاج احمد الصبيحي ، ابراهيم بن احمد التهامي الوزاني ، محمد المنصوري، محمد بن علي الدكالي ، محمد بن الطيب العلـوي ، الطيب بن القرشي الناصري ، الحاج محمد المريني ، ادريس الجعيدي ، الحاج محمد بن علي عواد ، عبد الصادق اطويي ، الحاج أحمد معنينو ، محمد القادري، عبد الله القادري ، ابو بكر القادري ، الحاج العربـي عواد ، جعفر بن احمد الناصري ، الحاج ابو بكـر بو شعراء ، جعفر بن السعيد العلوي ، الحاج مصطفى قنديل ، الحاج محمد قنديل . الى غير ذلـك مـن العلماء والفقهاء الذين لم تحضرني أسماؤهم الآن .

المساجـد التـي اقـرا فيهـا :

1) المسجد الاعظـم

2) ضريح سيدي أحمد حجي

3) الزاويـة الناصريـة

4) الزاويـة القادريـة

5) سيـدي المخفـي

6) المصلى . نعـم كان يلقـي دروسا فى الجغرافية والوطنية الربانية فى مصلى العيد ويرسم لتلامذته خريطة العالم فوق الرمال .

شخصيتـــــه :

كان رحمه الله اماما من ائمة العلم وشيخا من شيوخ المعرفة وجبلا من جبال الدين التـي يعـز

نظيرها في كل زمان ومكان ، وكان يعطي الدليل العملي على صحة ما نقرؤه في كتب السيرة والتاريخ من أوصاف الصحابة والتابعين والعلماء العاملين أئمة الهدى ومصابيح الدين مشاركا في العلوم الاربعة عشر كلها من تفسير وحديث وسيرة وفقه وتوحيد وتصوف وادب ولغة وصرف ومعان وبيان وبديع وحتى الجغرافية . غير ان الذي كان يغلب عليه منها الاصول والفقه والتوحيد والسيرة النبوية والتصوف . لم يبلغ احد في عصره مبلغه في العمل بالعلم والتفاني في التشبث بتعاليم النبي صلى الله عليه وسلم تفانيا أصبح مضرب الامثال ويتحدث عنه في هذا الباب بالحوادث المدهشة المطربة التي تذكرك بزهد الصحابي الجليل ابى ذر الغفاري وبالامام احمد بن حنبل وائمة السلف الصالح الذين تحدث عنهم الحافظ ابو نعيم في حلية الاولياء وطبقات الاصفياء رضي الله على الجميع .

وكان من العلماء القلائل الذين يجدون لذة كبرى في التدريس ونفع الخلق فيلقي عدة دروس في اليوم ويصدر عدة فتاوي يقصد بها وجه الله تعالى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سمعه من الصحابي الجليل انس بن مالك رضي الله عنه (العالم اذا اراد بعلمه وجه الله تعالى هابه كل شيء واذا اراده يكثر به الكنوز هاب من كل شيء) .

وكان مخلصا لله ومخلصا لعباد الله طوال عمره لم يحد عن هذا المبدا طرفة عين فانتج له هذا الاخلاص ظهور ينابيع الحكمة على لسانه . وقد قال مكحول الامام الجليل رحمه الله (ما اخلص عبد قط اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) اقول فكيف بمن اخلص لله عمره كله .

والمؤسف جدا أن نصائحه وتوجيهاته لم يعتن بتدوينها فضاعت وضاع معها جزء من الفلسفة الاسلامية الصحيحة .

لم يبلغ احد من أهل عصره مبلغه في ميدان التقوى والزهد في الدنيا وهذه هي الكرامة الكبرى التي يتفضل بها الله سبحانه على المحبوبين من عباده . ولله در الامام القشيري رحمه الله حيث قال : (اعلم أن من اجل الكرامات التي تكون للاولياء دوام التوفيق الطاعة والعصمة من المعاصي والمخالفات) .

قال الحافظ النووي في بستان العارفين معلقا عليها :

(يدخل في المخالفات ما ليس بمعصية كالمكروه كراهة تنزيه وكترك الشهوات التي يستحب تركها) .

وهكذا اجمع الناس على ان المترجم له لم يفعل في عمره كله مكروها وانه كان يترك الشهوات التي يستحب تركها .

وكان متواضعا لدرجة كبرى لا يرى لنفسه مزية وهو مجمع المزايا .

كنت أراه كثيرا ما يمر بأزقة بسلا منفردا وهو ضعيف البصر لا يريد ان يصحبه خادم او ولد ، وكنت انا اذ ذاك اسكن في ذلك الزقاق واتردد على المكتب القرآني الكائن بدرب التيال الذي كان يديره الفقيه الناسك السيد محمد فتحي بو شعراء رحمه الله ، وكان غيورا على الدين والوطن تجلت غيرته في كثير من المواقف اهمها تزعمه للعريضة التاريخية التي وجهها لامير المومنين محمد الخامس طيب الله ثراه احتجاجا على استصدار الفرنسيين للظهير البربري سنة 1930 ذلك الظهير الذي أراد به تمزيق وحدة المغرب الى شطرين ، شطر يتحاكم الى الشرع في الاحوال الشخصية فقط وشطر يتحاكم الى العرف تمهيدا لادماجه في حظيرة الشعب الفرنسي .

وكان يفتي بتحريم بيع اراضي المسلمين الى الفرنسيين حتى ولو كانوا يشترونها من اجل مصالح المسلمين العامة بحسب الظاهر ، ويتحدث عنه في هذا الباب بما يجعله في صفوف رجال السلف الصالح .

كتب لي العلامة السيد الحاج محمد المريني قائلا : (ومن تحريه وتثبته في الافتاء انه كان اذا أتاه السائل يجلسه في الاسطوان كما أخبرني بذلك صديقي سيدي الطيب الناصري وغيره ويدخل للمنزل ويراجع المسالة رغم انه متحقق بالنص الفقهي فيها ، كل ذلك كان منه رحمه الله تحريا .

اما منهجه في الافتاء فكان رضي الله عنه لا يعتمد الا على معيار الونشريسي كما اخبرني بذلك من

كان يلازمه ويزيد فى فتواه القواعد الاصولية وغيرها فكان مجتهدا فى الفتوى بكل معنى الكلمة) .

وكان يحب آل البيت محبة كبرى على طريق كبار العارفين كابن عربي الحاتمي وابي مدين الغوث رضوان الله عليهم .

ثنـاء النـاس عليـه :

— اولهم الامام العلامة المشارك السيد محمد بن احمد العلوي رحمه الله قاضي مكناس كتب لي السيد الحاج محمد المريني قائلا :

(كان شيخنا العلامة المشارك سيدي محمد بن احمد العلوي لما كان فى مجلس الاستئناف اذا جاءته فتوى الجريري فى قضيته يقول لمن معه فتوى فلان لا تناقش وكان لا يفارقه مدة طويلة وكان والدي السيد أبو بكر المريني رحمه الله هو السبب فى تعارفهما وكان يجتمعان فى نوالة بسانية قريبة من الزاوية الكتانية فى كل عشية ، وقد وجد كل منهما ضالته المنشودة فى الآخر ، فبذكرهم تتنزل الرحمات وقال لي والدي انه كان يسمعهما يتذاكران ولم يدر شيئا مما يقولان لتعمقهما) .

— ومنهم الامام المحدث الفقيه الاصولي السيد محمد بن عبد السلام السائح الرباطي رحمه الله ذكره في بعض كتبه المطبوعة واصفا له بعنقاء المغرب « الطائر المجهول الجسم الذي لم يوجد » وهي كلمة تدل على انه المنفرد فى الدنيا بكل مزية .

— ومنهم العلامة الكبير السيد محمد بن عبد السلام الرونده رحمه الله وزير العدل وقف على فتوى قيمة أصدرها المترجم له فوافق عليها ووصفه بالفقيه المشارك العلامة المحقق النوازلي المفتي ، اطلعني عليها قاضي سلا الحالي السيد ابو بكر بوشعراء حفظه الله .

— ومنهم والدي رحمه الله قال لي عنه :

انه نموذج حي من رجال السلف الصالح الذين يقل نظيرهم فى كل زمان ومكان ، وزاد قائلا : ولقد حضرت بعض دروسه فى علم الاصو بالمسجد الاعظم بسلا استفدت منها استفادة جعلتني اعده من شيوخي .

— ومنهم العلامة الصوفي السيد محمد بن احساين النجار رحمه الله ، قال لي لقد انتفعت كثيرا بأستاذي العلامة سيدي احمد الجريري ولازمت دروسه مدة طويلة وهو الذي جراني على الفتوى .

ولقد كنت لا أوقع على الفتاوي التي اكتبها الا بعد ان اعرضها عليه ويسلمها لي ، وزاد قائلا : لقد كان من الذين لا يخافون فى الله لومة لائم ، كنت يوما معه فى جم من كبار علماء فاس مكرمين عند باشاها العلامة الجليل السيد الحاج محمد الصبيحي رحمه الله فنطق بعضهم منتقدا بعض الصلوات النبوية التي كان بعض شيوخ التربية بفاس يلقنها لاصحابه فما كان من الشيخ الجريري الا ان تصدى له محللا الصلاة المذكورة تحليلا علميا وعرفانيا ومستدلا على سموها بالقواعد النحوية والبلاغية والصوفية حتى افحم المعترض وسلم له كلامه وكان كلا من يحظى بتأييد من الحاضرين .

وكتب لي السيد الحاج محمد المريني قائلا :

انه مما من الله علي به ان حضرت بعض الدروس فى ضريح سيدي احمد حجي رضي الله عنه فى شهر ربيع الاول التي كان يلقيها شيخ الجماعة الزاهد الورع المحقق السلفي بكل معنى الكلمة سيدي احمد الجريري فى شرح الهمزية للامام البوصيري رحمه الله ، وفى بعض الدروس بعد ما شرح البيت من جميع الفنون المتعلقة به ولم يتكلم الشارح على الجامع بين كذا وكذا التفت الشيخ يسئل الحاضرين عن الجامع فلم يجبه الا واحد ولم يعجبه الجواب ، فصار يقول : الجامع بين كذا وكذا ، هو كذا كذا ، ببيان نادر حتى انه لم يشعر بسقوط كسائه عن راسه وانكشف مقدم راسه فرايته فاعلا الوفرة ، ورايت الكساء ممزقا من جهة خده ، وكان من قطن اعتاد اهل سلا ان يصنعوه فى معمل خاص .

— ومنهم اخونا الفاضل العلامة السيد عبد الله الجريري حفظه الله فى الجزء الثاني من كتابه « اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين » ، قال ما لفظه : (كان مقبلا على ربه غير مبال بزخارف الحياة وزهرتها لا يقيم لنفسه وزنا مقتنعا بما قدر له من الرزق الحلال الموروث عن والديه بل كان أحيانا يشتغل بخدمة فلاحته فيعمل فى حقل له بيده ولم تتشوق نفسه للمناصب العالية مع اهليته وكفاءته .

وكان يفتي للناس اذا نزلت بهم نازلة فيجلي فيها ما اوتيه من اطلاع وتحقيق جالبا النصوص المطابقة للواقع والصواب ، وما ثبت عنه انه استلم أجرة عن اي نازلـــة .

— ومنهم اخونا الاستاذ المقتدر السيد محمد فتحا الغربي السلاوي نشر له ترجمـة حافلـة على صفحات جريدة السعادة ، وكان اذ ذاك مراسلها بسلا وضعته في صف رجال السلف الصالح ، وقد استفدت منها كثيرا فى هذه الترجمة جزاه الله خيرا وهي منشورة فى العدد الصادر يوم الثلاثاء 2 جمادى الاولى 1353 الموافق 14 غشت 1934 .

وفاتـــه ورثـــاؤه :

اصيب المترجم له قبل موته بسنوات بضعف فى بنيته وضعف فى بصره لازمــاه الى ان التحـق بالرفيق الاعلى فى أواخر ربيع الاول الموافق لاوائل يوليوز سنة 1934 ، وكانت له جنازة حافلة بعد عهد سلا بمثلها ودفن بالزاوية الدرقاوية مأسوفا عليه من الجنـة والنـاس .

وبمناسبة ذكراه الاربعينية اقام له ادباء العدوتين وشعراؤها بالزاوية الدرقاوية بعد عصر يوم الخميس 4 جمادى الاولى 1353 الموافق 16 غشت 1934 حفلا خطابيا كبيرا برئاسة الصوفي السيد عبد القادر الجعيدي عميد الطريقة الدرقاوية بها وخليفة الفقيد السيد الحاج محمد بوشعراء وبمساعدة ابن أخيه العالم الاديب السيد ادريس الجعيدي ألقيت بها كلمات عامرة وقصائد رائعة اذكر منهم السادة :

الحاج محمد الصبيحي ، الحاج محمد بن اليمني الناصري ، عبد الله بن العباس الجراري ، ابو بكر الكتاني ، العربي مفيتو ، محمد حركات ، وأحمد العمراوي الطالب اذ ذاك بالقسم النهائي بكلية القرويين والعلامة الجليل القاضي بوزارة العدل .

رحم الله السلف وابقى البركة فى الخلف ، وهذا نص قصيدة القاضي العمراوي حفظه الله نقلا من جريدة السعادة المؤرخة بيوم الاربعاء 24 جمادى الاولى 1353 الموافق 5 شتنبر 1934 :

ذهلنا والذهول بنا جدير
وحل بشعبنا خطب عسير

وجرعنا كؤوس الحزن ملء
وارسلنا دموعا لا تغور

لموت الحبر بحر العلم من قد
غدت شوقا له العليا تسير

ابي العباس احمد ذي المعالي
وحيد العصر ليس له نظير

لقد كان البقية من أناس
مضوا قدما وفقدهم خطير

اذا ما ذكرت نساكا تجدهم
كواكب وهو بدر المنير

او لزهاد قدوتهم تجده
كعميان سروا وهو البصير

او الورعين اوسطهم كعقد
لئاليه على الوسطى تدور

او العلماء اوسعهم علوما
كنهر وهو بحرهم الغزير

او الفقهاء اسماهم مقاما
كطير بين بازاذ يطير

بكى الاسلام لما ان رآه
فقيدا حيث كان له نصير

كذلك امة للاسلام تبكي
عليه كبيرها وكذا الصغير

فانفسنا فدته لو استطاعت
وكيف وقد اتى خبر نذير

فعش ما شئت واصحب ما تشاء
فكل للفنا حتما يصير

ابو العباس طاب القول فيكم
كما طبتم وفاح لكم عبير

وطاب لسان مدح كان فيكم
وطاب السمع وانشرحت صدور

لئن وليتم عنا بقينا
مفاخركم دواما لا تبور

تركتم زينة الدنيا دلالا
ولبها انها ظل يسير

واقبلتم بجـد واجتهـاد
على الاخرى وما لكم تفـور

لقد تاقت لروحكم سمـاء
كما تاقت لجسمكم القبـور

عليكم امطر الرحمن دوما
سحائب رحمة فـورا تفـور

واسكنكم من الفردوس اعـلا
مقام حيث ولدان وحـور

وغفران واحسان وعفـو
ورضوان من المولى كبيـر

وللسيد الاصمعي كلمة قيمة فى رثاء المترجم له نشرتها جريدة السعادة فى ابانها تحت عنـوان : (فجيعة سلا بفقد الشيخ الوقور الجريري) لولا خوف الطول لاثبتها بنصها ، وهـي منشورة بالعـدد الصادر يوم السبت 15 ربيع الثاني 1353 الموافق 28 يوليوز 1934 .

مجلات فاس ؟

« .. وفى فترة دراسته بالقرويين ما بيـن (1342 – 1352 هـ / 1923 – 1933 م) كان متصلا بنخبة من رفاقه فى الدراسة ، وكانـوا يطالعون ما يصل اليهم من الكتب الشرقية ، والجرائد والمجلات وكتـب الادب والتاريخ ، بفضل اجتماعات بمحلات سكناهم بالمدرسة ، وبفضل ما كانوا يلزمون به انفسهم من حفظ الاشعار المختارة وشرحها وعرضهـا عند الاجتماع ، وبفضل احداثهم مجلات شهرية اعطوها اسماء باختيار لله، وكانوا يكتبون فيها ، ويوزعونها على اعضائهم لا تتجاوزهم الى غيرهم .. »

من مقدمة التعريف بالاستاذ المرحوم عبد الواحد العلوي فى (كتاب المواريث) طبع بمطبعة محمد الخامس – فاس سنة 1398 هـ – 1977 م .

فما هي مجلات فاس هذه ؟ . السؤال ورد علينا من الباحث الاستاذ زين العابدين الكتاني مؤرخ الصحافة المغربيـة .

فصل من ملحمة

محمد رسول الله

للشاعر الكبير
الأستاذ عبد الله بلخير

● بين يدى اطلالة القرن الخامس عشر الهجري ، هذا فصل من ملحمة طويلة باسم ((محمد رسول الله)) كلها صلاة وسلام وتمجيد واجلال واكبار لقائد الامة الاسلامية وباعثها وموحدها ..

وفى الملحمة تسجيل لمراحل البعث الاسلامي الزاخر الذي قاد الدنيا باسرها من جزيرة العرب من الظلمات الى النور ...

وقد وافانا به الشاعر الكبير الاستاذ عبد الله بلخير وزير الاعلام السابق فى حكومة المملكة العربية السعودية .

هاجس من (شعاب مكة قد فجـ — ـر من شعري الحبيس معينا

هب نشوا .. ثم استوى فى أعالي الـ — ـجو غيثا ، يهمى القوافي هتونا

شربت ، فارتوت ، ففاضت به دنـ — ـياى .. بعد الجفاف فيها سنينا

فاذا كل ما ذوى أمس .. قد أو — رق فى روضي الجديب .. غصونا

ملأت كل رفرف من روابي الـ — ـوحي ، ازهاره شذى وفتونا

هاجس (المولد) الذي ملأت ذكـ — ـراه صدري هدى وقلبي يقينا

(الحجز) الذي تغنت بـه الدنـــــ ـــيا .. وفاضت شجى وماجت حنينا
(قبلة المسلمين) بين زوايا الـــ ـــكون .. والمؤمنين .. والقانتينـــا
والــــذي انزلـــت ببطحائـــــه (الآ يات) تتلى على الــورى اجمعينــــا
تترتــب الــذرى على جنبــات الا رض ، شوقـــا الى سماه دفينـــــا
بملأ النـــور من مجرتهـــا الـــود يان ، والسهل ، والربى ، والحزونـــا
فاذا كـــل تلعـــة مـــن تــــلاع الا رض .. قد اطبقت عليـه جفونـــا

* * *

أذن الله ان تقـــود (بــلاد الــــ ـــعرب) دنيا الشعوب فى الناهضينا
فطغت (فارس) كما طغـت (الــرو م) وكان (البيزنط) فى الظالمينـــا
وبغت دولة (المقـوقس) فى مصـــ ـــر وعاث (الاحباش) فى المفسدينـا
فاذا الارض كلهـــا ، فتنــة عمــــ ـــيا ترامى بنارهـــا المعتدونـــا
قدر خطــه على لوحــه المحـــ ـــفوظ .. ان تصبح القيادة فينـــا
فاذا الشرق كله فى انتظـــار الـــ ـــعرب و (الهاشمي) ابن ابينــــا
تتوالـــى ببعثـــه نـــذر (الانـــ ـــجيل) فيما قرا بـــه القارئونـــا
وتـــرى مـــن سماتـــه انـــه يبـــ ـــعث فى (العرب) يحمل (الحق) دينا
فاخفقي ايها الرؤى فـــوق واديـــ ـــنا .. وطوفي بالبيت فى الطائفينـــا
وارقبي صيحة (البشير) فقد تـــد وي من (أم القرى) تـرن رنينـــا

* * *

لك (أم القرى) التحيـــات تتلـــى للملبيـــن فيـــك ، والمحرمينـــا
وعليك السلام مـــن سور القـــر ءان فى القارئيـــن ، والكاتبينـــا
تتوالى القـــرون .. وهـــي على الار ض .. منار يهدى بـه المهتدونـــا
اين منك المدائن الغر فى الدنـــ ـــيا .. وانت امهن دنيـــا ودينـــا
فلك (المجد) دونهن فـــلا يـــذ كرن فى المجد عنـــد ما تذكرينـــا
كل يـــوم وليلـــة .. وزوايـــا الا رض .. يرنوا فيها لك المؤمنونـــا
تـــلالا جباههـــم فى المحاريــــ ـــب .. صفوفا بالركع الساجدينـــا
كنت مذ كنت فى بطاحـــك ما بيـــ ـــن جبال (الحجاز) سرا دفينـــا
امر الله ان يصـــان .. فامســـى فى ثنايا تلـــك الجبـــال مصونـــا
كعبـــة الله فيـــك نقطتـــه الاو لى لمـــا شاء كونـــه ، أن يكونـــا
قد دحى الارض حولها فترامـــت بين اركـــان ما ترامـــى مكينـــا
اي سر .. مضت عليه قرون الدهـــ ـــر ، قد ظل فى ثـراك رهينـــا
فى انتظار (الوليد) تنتظر الدنـــ ـــيا ويصغى بها لـه السامعونـــا
فاذا الكـــون كلـــه اذرع تـــد عـــو تعالت اصدؤها (آمينـــا)

* * *

اي طفل هذا الـــذي انتظرتـــه الا رض من (هاشم البطاح) قرونـــا
همس الهامسون .. قد قرب المـــو لد .. فيمن كانوا لـــه يرقبونـــا

اقبلت في مطارف المجد اشيـــا   خ قريش ، لـداره زائرينـــا
يتلقاهمـــوا على بابهـــا (العـــ   ــم ابو طالـــب) يمـــد يمينـــا
فاذا الآل (آل عبـــد منــــاف)   و (بنو هاشـــم) بهـــا محتبونـــا
في جناحين .. حول (شيخهم الاكـــ   ــبر) حفوا من حولـه فرحينـــا
في انتظار البشير قد ارهفوا الاســ   ــماع .. للداخلين ، والخارجينـــا
ساعة .. ثم ماجت الدار بالمـــو   لود .. دوى فيها صدى الهاتفينـــا
نهضوا واقفين في صخب البشـــ   ــرى .. ومدوا اكفهـم داعينـــا
وتلاقوا .. وقد أتوا (برسول اللـــ   ــه) طفلا .. في مهده محتفينـــا
تتعالى اصـــوات تعويـــذه باللـــ   ــه .. لما ألقوا عليـــه العيونـــا
خرجوا كلهم ، فطافوا ببيت اللـــ   ــه شكرا ثم انثنـــوا راجعينـــا
يتراءون في (اسمـــه) فاذا الالـــ   ــهام .. كالوحي في رؤى المرسلينا
هامس صوته .. على أذن (الجـــ   ــد) يدوي (محمدا) و (أمينـــا)

* * *

ولد (المرتجى) فياهضبـــات الا   رض .. مدي الذرى اليه عيونـــا
وانظريه (بمكة) فهـــو في (شعـــ   ــب بني هاشم) سنا الناظرينـــا
ضمه صدر امه (ابنت وهـــب)   اذ رات فيـــه كنزهـــا الميمونـــا
در ثدي امـــه بيمنـــاه ، فارتـــا   حت الى مسها .. تشـم اليمينـــا
وهو حان عليـــه ، فتـــح عينيـــ   ــه .. وقد نال منه صدرا حنونـــا

* * *

يا روابـــي (ام القـــرى) وثنايـــا   ها التي طاولت (منى) والحجونـــا
ابنك المصطفى الذي جـــاء للنـــا   س .. بشيرا .. ومنذرا .. وامينـــا
كان يرعى الاغنام بين ربـــى الـــود   يان .. في الرائحين ، والغادينـــا
اصبح اليوم في (قريش) اذا مـــا   مر .. قالوا عنه المهاب الرصينـــا
لم يكن بين قومـــه قـــط جبـــا   را .. ولا صاخبا .. ولا مستكينـــا
انما كان بينهم ملء سمـــع النـــا   س .. حزما في النائبات ، ولينـــا

* * *

يا (ابن ام القرى) وحسبك يا (ام القـــ   ــرى) انـــه اجـــل البنينـــا
كلما قيل (يا محمـــد) رف الـــ   ــبيت) و (الركن) و (المقام) شجونا
قد غدا (الراعي اليتيم) فتى تـــر   نو اليه الابصـــار شهمـــا رزينـــا
عازفا عن مباذل القـــوم في (مكـــ   ــة) . لا يقتدي ، ولا يقتدونـــا
ما له في شبابـــه ما يـــراه النـــا   س طيشـــا .. أو يعرفـــون مجونـــا
كلما جاء ذكـــره أو تـــراءى الـــ   ــتفت السامعـــون والذاكرونـــا
او تنـــادوا الـــى مكـــارم اخـــلا   ق .. راته (قريش) في السابقينـــا
حامـــلا همـــه ، يقلـــب طرفيـــ   ــه .. على ما يدعوا له الضالونـــا
رافعا صوته على الظلـــم حتـــى   خافه من (قـــريش) الظالمونـــا

كان يخلو بنفسه ، ساهم التفـــ ـــكير في الحاضرين ، والغابرينـــا
آيبا من (حـــرا) ومنطلقـــا مـــن داره نحوهـــا يسيـــر الهوينـــا
حاملا كسرة من الخبـــز أو قـــر بة ماء يـــروي بهـــا الظامئينـــا
همه الناس والضـــلال الذي يمـــ ـــشون في هون ليلـــه سادرينـــا

* * *

يا (حرا) يا منارنا المشرق الوضـــ ـــاء يهـــدي بنـــوره المهتدينـــا
انت انت الذي تلقيـــت مـــا لـــم يتلقاه في الـــذرى (طورسينـــا)
طاف جبريل حول قمتـــك الشمـــ ـــا .. رسولا فيما يقول مبينـــا
رفرفت بالهدى عليـــك جناحـــ ـــاه .. وبالوحي حين يقري (الامينا)
هزه هول امـــره ، وهـــو هـــول ظـــل ينتابـــه ، وبامـــره حينـــا
فاذا الغار في طيـــوف من النـــو ر .. تفشت مكانـــه والمكينـــا
واذا بالجبـــال في مثـــل تسبيـــ ـــح المصلين حولـــه ، حافينـــا
واذا (بالسراة) تهتـــز بالوحـــ ـــي .. ذؤاباتها تطـــن طنينـــا
اشرقت بالضيـــا مناكبهـــا زهـــ ـــوا .. وبالرعد والسحاب روينـــا
تتناجى هضابها بصـــدى (القـــ ـــرءان) ما بين (حضر موت) و (سينا)
فانهضي يا جزيرة العـــرب بالاســـ ـــلام وامشي بالفتح في الفاتحينـــا
واحملي الدعـــوة التـــي امر اللـــ ـــه بهـــا الاوليـــن والآخرينـــا
وانيري ذرى الجبال .. فقد اقـــ ـــبل زحف العرب الهداة مزونـــا
واشربي يا رمالنا من مجاج الـــ ـــغيث ، قد سال أنهرا وعيونـــا
واملئي الارض بالجحافـــل والـــرا يات ، والبحر ، والشطوط سفينـــا
جاء دور (الرعاة) تنتفض الصحـــ ـــرا بامـــواج زحفهـــم مقبلينـــا

* * *

سوف يبنون من حضارات هذا الكـــ ـــون ما لم يبن الورى اجمعينـــا
فاشرقي يا سمـــا ، ويا أرض صلـــي ولدت ! امة الحضـــارات) فينـــا
بعثـــت امـــة القـــرءان على بطـــ ـــحاء (أم القرى) الى العالمينـــا
امـــة ما لهـــا مثـــال على الار ض .. ترامت في المشرقين بطونـــا
بين (بكين والفلبيـــن) و (القفـــ ـــقاس) و (اسبانيا) و (غانا) و (كينـــا)
جمـــع الله مـــا تشتـــت منهـــا وتنـــاءى .. مواطنـــا ، ورطينـــا
جمعتها (أم الكتـــاب) على الحـــ ـــق .. فعزت معاقـــلا ، وحصونـــا
كلمـــا اذن المـــؤذن قامـــت في صفوف جموعهـــا خاشعينـــا
تتجلى لنـــا بها (حكمـــة التـــو حيد) في جمع (امة المسلمينـــا)

القاهرة : عبد الله بلخير

دراسات في الادب المغربي.

مظاهر الثقافة
لمغرب مابعد الأدارسة وقبل المرابطين

-5-

للأستاذ عبد الكريم التواتي

قيـــام المرابطيـــــن :

اذا كانت للدول اعمار كأعمار الافراد ــ كما يقول ابن خلدون ــ الشيء الذي يقتضي ان يعتور هــذه الدول الانقطاع ، ويشلها الانحصــار في توقعاتهــا السياسية والايديولوجية ذات الابعــاد الموعــودة الآجال ، والمحدودة التأثير ، فان الثقافة والآداب لا اعمار لهما ولا توقيت ولا حدود ومــن ثمة فهمــا استمرار وديمومة وتواصل وانجذاب .

لقد دالت دولة الادارسة الزمنية ، كما دالــت بعدها دول المغراويين واليفرانيين الزناتيين ، وسلم العبيديون مد وجزر وجودهم في المغرب الكبيــر ، وتطلعوا ــ بعد ان تركزت اقدامهــم في منطلقهــم الدولي بالقيروان ــ الى فرض سيادتهم على مصــر ، بل الشرق كله : بغداد ودمشق ، ايمانا بأن الخلافة الاسلامية التي ينشدون ، ما كانت لتتم لهم ــ حسب اعراف تلك العهود ــ اذا لم يستولوا على مركزهــا ومنبرها هناك اي في الشرق .

واتفق انه في هذا الظرف بالــذات ، اخــذت تتهاوى سيطرة اموبي الاندلس المبطنة او المتسترة بدويلات مغراوة وبني يفرن ، وماجت الحياة بالناس في عموم المغرب او ما حواهم بهــا .. واتجهــت عقولهم وابصارهم متطلعة لفجر جديد ، ومستشــرقة عهدا سياسيا جديدا ، آملين ان يكون مشرق المحيا وضاح الجبين .. وتواجدت الارهاصات بأن المجتمع الذي عاني تجربة ثلاثة قرون او زهاءها من هلهلــة الحكم وانعدام الوحدة الوطنية ، ومــن الفوضــى والاضطراب السياسيين موشك ان يتمخض عن جنين جديد ، مع التنصيص ــ رغم هذا الاضطراب ــ على ان مسيرة الادب والثقافة ، واصلت روافدها ــ وان في اعياء ــ الطريق ، وتابعت في لهاث انفاسها ، وان يكن كل ذلك في بطء عظيم اظهرها بمظهر التوقــف والنضوب احيانا ، وبالعقم والضحالة احيانا اخرى ..

ذلك لان المغاربة ، من طبيعتهم ان لا يستسلموا لليأس ، وان لا يركنوا للمصادفات ، وانما دأبهــم ان يستلهموا ذخيرة ايمانهم القوي الذي عودهم ــ كلما ادلهمت امورهم ، او اعتورتها عتمة او ركود امدادهم بروافد من القوة والنشاط ، تجدد لشرايين واوردة هذه الامة دماءها ، وبعيد لاراضيها المرعاة المخصاب عطاءها ، ويدفع بهم ــ وهم ابناؤها المغاوير الانجاد ــ الى مجابهة التحديات ومطاردة الانتكاسات ، ليضيفوا لتالد المجد طارفا ، وليعلوا هرم المحامد والمفاخر سامقــا .

واذا كان لا بد لكل جنين من مخاض ، ولكــل نبوءة من ارهاصات ، فان الحركة الاصلاحية التــي كان تزعمها ابو عمران الفاسي الزناتــي بالمغــرب ،

اواخر عهد دولتي ابناء عمومته مغراوة ، وبني يفرن ، والتي انتهت به الى مطارح الغربة ومفارقة الاوطان ، والالتجاء بعد النفي من المغرب الى القيروان ، كانت البذرة الاولى لظهور المرابطين .

ذلك ان كتب التاريخ مجمعة على ان لهذا الرجل اي ابي عمران الفاسي ضلعا فى وضع اللبنات الاولى لهذه الدولة ، بل وكان الزعيم الروحي الموجه للثالوث الذي كون الاقانيم الاساسية لهذه الدولة ، واعني بهم : يحيى بن ابراهيم الكدالي ــ وواجاج بن زلو اللمطي ــ وعبد الله بن ياسين التامنارتي الجزولي ...

وكان هذا الثالوث فى نفس الوقت الخلية الاولى والنواة الدينامية لدولة المرابطين .

اما كيف تواجدت هذه الاقانيم فى الساحــة ، وكيف ترابطت عضويا وتلاحمت اهدافا بعد ان اتصلت غيبا ونفسانيا ، فيفسر التاريخ ذلك بأن يحيى بــن ابراهيم الكدالي ، قد يكون زار ابا عمران الفاســي اثناء مروره من تونس عائدا من البقاع المقدسة صوب المغرب الاقصى ، وانه اغتنم فرصة وجوده بتونس ، فحضر دروس ابي عمران الوعظية ، التي بواسطتها تم التعارف بين الرجلين ، والى الدرجة التي تبادلا معها الافكار والآراء حول الاوضاع فى المغرب ، ادى بهما ذلك التبادل الى معالجتهما ــ منتقدين ــ ما آلت اليه تلك الاوضاع دينيا واجتماعيا من سوء ، وتدارســا دون شك العلاج الممكن ..

ويبدو ان ابا عمران ــ بعد ما انتهيا اليه مــن استنتاجات ــ آنس خيرا فى محدثه ، وتفرس فى هذا المحدث الكد الى روح الاستعداد للمغامرة مــن اجل انقاذ المغرب ، وانه ربما كان الشخصية الصالحة لاستئناف الحركة الاصلاحية التي كان هو اي ابــو عمران حملها مشعلها لفترة غير قصيرة والتــي من اجلها اقصي عن المغرب ومن غير شك ان بعض انصار ابى عمران ومؤيديه فى المغرب ما يزالون على العهد ينتظرون سنوح الفرصة ويترقبون البادرة لمتابعــة نشاطهم فى مضمار الدعوة الاصلاحية العمرانية ان صــح التعبيــر .

وهذه الفراسة جعلت ابا عمران يحمل الكدالي كتاب توصية الى تلميذه النابه الوفي (واجاج بن زلو اللمطي) بنفيس اقدم رباط مغربي ، واول مدينــة مغربية اسست بها مدرسة لتعليم العربية ، وذلــك بموضع (اكلو) من اعماق الســوس .

وقد ضمن ابو عمران كتابه بعض الارشادات عن الطرق والوسائل العملية الكفيلة ــ من وجهة نظره ــ بتحقيق الحركة الاصلاحية التي كانا اي ابو عمــران وواجاج ينشدانها ، واختطا لها يوم كانا معا بالمغرب .

وقد اورد ابن ابي زرع فى كتابه القرطاس نص ذلك الكتاب ، وقد جاء فيه : (سلام عليك ... اما بعد ، فاذا وصلك حامل كتابي هذا ــ وهو يحيى بن ابراهيم الكدالي ــ فابعث معه الى بلده من تثق بدينه وورعه وكثرة علمه وسياستــه ليعلمهــم القــرءان وشرائع الاسلام ، ويفقهم فى الدين ، ولــك ولــه الثواب والاجر العظيم ، والله لا يضيع اجر من احسن عمــــلا) .

قالوا : واستجاب التلميذ واجاج لنداء استاذه ابي عمران فى انجاده الى المهمة المنوطة به ، فاختار لمساعدة الكدالي فى مهمته الوعظيــة والارشاديــة والاعدادية معا : عبد الله بن ياسين ، مفضلا اياه على سواه من المريدين لنضجه علميا وفكريا ، ولما كان اكتسبه من تجارب ، بسبب رحلاته العديدة فى طلب العلم ، فقد كان رحل اوائل القرن الخامس الهجري الى الاندلس حيث اقام بقرطبة سبع سنوات فى طلب العلــــم ...

ثم انطلقت قافلة الكدالي وابن ياسين ، باســم الله مجريها ومرسيها ــ الى تخوم الصحراء لتباشر رسالتها فى ايمان وصبر واناة ، وليقضي الله امرا كان مفعــــولا ..

ونحن لا نشك فى ان تواطــؤا ما على عمــل مشترك كان يوجد مسبقا ــ بل قائما ــ بين ابي عمران وواجاج ، وان كنا لا نتوفر على ادلة مكتوبة على ذلك، اذ الاستجابة الفورية ، ودون تلكؤ او تردد من واجاج لتعليمات كتاب ابى عمران ، والاسراع فى اختيــار العنصر الدينامي لابراز مضمون الكتاب او مضمون ما يشير اليه ، واخراج فكرته الى حيز التخطيط بــل الانجاز ، وذلك فى شخصية ابن ياسين الذي تجمع الروايات التاريخية على انه لم يتــردد فى الاهبــة والاستعداد لمغادرة حيث يقيم ، الى حيــث يقيــم

معتكفا بالصحراء سنوات فى حياة تقشفية صارمة لخلق نواة القوة الضلائعية ، كل ذلك ما كان ليحدث ويتم بالسرعة التي تم بها ان لو لم يكن هناك مخطط سابق .

كما اننا قد لا نكون بعداء عن الواقع اذا قدرنا ان مراسلة ابي بكر الطرطوشي الاسكندري المصري الاندلسي مع ابن تاشفين ومحاولته الاثبات له بأن المرابطين هم المعنيون بما رووه من أن الرسول عليه السلام قال (لا يزال اهل المغرب قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) . . اقول ان ذلك يدخل ضمن مخطط ابى عمران وانصاره بالمغرب تاكيدا بأن حركة المرابطين ليست مؤيدة برغبة القائمين بها فحسب ، وانما هي مؤيدة ايضا من الدين الاسلامي بورود نصوصه المؤيدة هذه من امثال هذا العالم المصري الطرطوشي مع عدم اغفال منحدره الاندلسي ، مما قد يفهم ان الرجل متواطىء فعلا مع ابي عمران .

كما ان موقف ابي حامد الغزالي الذي قيل انه ابدى رغبته الملحة فى زيارة ابن تاشفين ، تقديرا لاعماله فى سبيل اعلاء كلمة الاسلام ، وانه لم يحل دون تلك الزيارة وتحقيقها سوى وفاة ابن تاشفين المفاجئة ، اقول ان هذا الموقف من الغزالي هو ايضا كان من تتمة المخطط ، ولا سيما اذا قدرنا موقف علي بن يوسف من كتب الغزالي واحراقه لها حين رفضها فقهاء الاندلس لتناقضها وفهومهم الفقهية الخاصة دون الالتفات لموقف الغزالي المؤيد لحركة المرابطين ، لان هذه الحركة اصبحت الان — فى نظر علي — من القوة بحيث لم تعد فى حاجة للتأييد الخارجي . بل ان من مصلحتها ان تساير الراي العام المتحكم فى الداخل خوفا من انتفاضه ، فاذا راى فقهاء الاندلس الذين كان ينظر اليهم فى تلك العهود على انهم أصحاب الكلمة النافذة فى الشؤون الدينية، بل هم الناطقون باسم هذا الراي العام الشعبي ، اذا راوا بان كتب الغزالي لا تتمشى وما يعتقدونه دينا ، فان على امير المومنين ان يبادر — وهو قد التزم التمسك بالدين تبعا لما يراه رجاله ، والدولة نفسها انما قامت اساسا على ذلك — الى احراق تلك الكتب، دون الاهتمام بغضب الغزالي واحتجاجه ، ودون مبالاة بدعائه على دولة المرابطين بالتمزق والاندثار .

والحركات الاصلاحية ، فى تلك العهود ، وخاصة فى المجتمعات البدائية ، انما كانت تعتمد فى انطلاقاتها الاولى على الدين او ما يعبر عنه تقريبا للعامة ، بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبالاخص اذا علمنا ان الشعب المغربي — والى العهود الآتية — يتأثر بالدين وافكاره ، بل لا نغالي اذا قلنا ان اية حركة اصلاحية فى المغرب بناءة قوية لا تتم دون الانطلاق من الدين .

ومن هنا اي من نقطة التسربل بالدين ، بدا ابن ياسين بمعونة الكدالي ، الا انه لما نزل صنهاجة سنة 430 هـ لم يتقيد بكل تعليمات ابى عمران الدينية بل والدنيوية ، وانما راى ان يحور اسلوب الدعوة — بما يتفق وما يراه من احوال البيئة واحوال الناس — فراى اقامة الدعوة انطلاقا من تحفيظ الناس القرءان اولا ، وتعليمهم الحلال والحرام ، ولعل هذا التحوير املاه او اقتضته دراسة أسباب وظروف اخفاق ابي عمران الفاسي فى دعوته حتى كان أرغم على الابتعاد عن المغرب . . !

ثم ليتأكد ابن ياسين بأن عمله مثمر ، وان النواة الاولى للخلية الايجابية قد رصت ، وان ايمانها بما يدعو اليه قد تعمقت جذوره فى نفوسهم ، خطا خطوة اخرى كانت اقسى امتحانا واصعب تجربة ، وكانت أمره مريديه بالانتقال من حيث يقيمون لفترة غير قصيرة ، وحيث كانت استقرت بهم المرابع واطمأنت بهم الاقتاب الى مقر آخر جديد أبعد عمقا فى تخوم الصحراء ، وقريبا من قواعد احتياطية قد يتخذها جنة وملجأ اذا لزم الامر وحزب .

وهكذا انزوى باتباعه فى رباط آخر على ضفاف نهر السينغال — فيما قيل — دون تحديد لنقطته بالضبط ، وقد يكون هذه الصحراء الغربية او موريطانيا او توات او فى نقطة من الاراضي الواقعة على حدود مالي ، واتخذ هذا المقام الجديد مخيم تدريب لاولئك الذين سيخوض بهم معارك المواجهات الجريئة مع من قد يصبحون مناوئين لحركته أو مناهضين لدعوته او معرقلين لاهدافه .

وهناك استطاع ان يجمع حوله ثلة متحمسة شديد الحماس لما كان يدعو اليه ، وان لم يتجاوز افراد هذه الثلة — فيما قيل — رغم الاربع سنوات

التي قضاها في هذا الرباط الجديد بضعة آلاف من الاتباع والمريدين الذين اطلق عليهم من يومئذ الاسم الذي اشتقت منه الدولة اي المرابطين .

ومن غير شك ان هذه الفترة التي قضاها مع هذه الثلة وبصحبة الكدالي وخلص اتباعه كانت فترة حاسمة في تاريخ حركة المرابطين ، فقد تعلموا فيها بالاضافة الى الصبر على التقشف ومعاناة القلة ، تعلموا معنى الانضباط ومحاسبة النفس وتعلموا فائدة العمل الجماعي البعيد عن الانا وحب النفس والذات ، وايقنوا ان الدعوة اية دعوة لا بد لها من نواة مؤمنة ايمانا عقديا صادقا مخلصا ، واستفادوا ان الدعوة بالتي هي احسن انما هي احدى المراحل او هي معبر للمرحلة الحاسمة التي تعني اعطاء الفكرة وجودا حضوريا ، اي ان الدعوة بالتي هي احسن لن تحقق شيئا ايجابيا بمفردها وانه لا بد لانجاحها — بعد تكوين العصبية واحاطتها بما يحميها روحيا من عقيدة وهدف — لا بد من ايجاد روح حربية لدى عصبيتها قادرة على ان تحمل السلاح ان اقتضى الحال لتشهره في وجه عداتها ، والنزول مع هؤلاء العداة الى الميدان وساحة القتال .. !

.. وبمرور الزمن — ولا شك — اختمرت فكرة العمل الحربي في ذهن ابن ياسين ، او هذا ما بدا ، حين سرح مريديه واتباعه لشن غارات — يمكن ان نسميها دعائية — ابتداء من شهر صفر سنة 434 هـ 1042 م ، حيث غزوا كدالة ، ثم لمتونة ومسوفة ، ثم بعد فترة استجمام لتكتيل الصف وشحذ العزائم وتجديد الثقة بالنفس ونبل الهدف واقتناع هذه القبائل بصدق الدعوة الجديدة وتجاوبها مع المصالح العليا والعامة للاسلام ، بعد ذلك عبأ جيشا أقوى من الاول غزا به صنهاجة ، التي قيل انها لم تقاومه ولكنها ابدت استعدادا طيبا للانضواء تحت لوائه لما لمسته من شظف عيشه وبساطة اخلاقه وصدق عزيمته وايمانه ! . واذا كان لا بد لكل جماعة متكتلة حول فكرة ما أو دولة او حكومة من دستور يحدد اهدافها ، ويقود خطاها ويبلور اتجاهاتها المختلفة والمتباينة احيانا ، ومن قانون عام تنصاع لتعاليمه ، وتسترشد بهديه ، وتعود لاستلهامه عند ما تدلهم بها الامور ، فان ابن ياسين ، هو الآخر ، راى بعد توطيد اقدامه في المعارك الاولى التي خاضها ضد القبائل المذكورة اعلاه ان يضع لاتباعه الذين اخذ بوجههم لمباشرة الغزو المنظم والمتتابع ، دستورا عاما حدده في هذه الكلمات الحماسية التي القاها فيهم ، وهو يستنهض هممهم ويذكي اغوار ايمانهم وثقتهم المطلقة فيما يدعوهم اليه ، وقد القى كلمته في مرحلتين او في نفسين .. قال ابن ياسين اولا :

(يا معشر المرابطين ، انكم جمع كثير ، وانتم وجوه قبائلكم ، ورؤساء عشائركم ، وقد اصلحكم الله تعالى ، وهداكم الى صراطه المستقيم ، فوجب عليكم ان تشكروا نعمته عليكم ، وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر ، وتجاهدوا في الله حق جهاده) .

ثم سكن .. وبعد ان اصغوا اليه ، وكأن على رؤوسهم الطير ، وايقن هو انهم فهموا من سكوته انه يريدان يعرف مدى تأثير كلماته فيهم ، وانه يرجو منهم التعبير اراديا عن موقفهم تجاه كلماته تلك ، وبعد ان ردوا عليه قائلين :

(ايها الشيخ المبارك ، مرنا بما شئت تجدنا سامعين ، ولو امرتنا بقتل ابنائنا لفعلنا) .. وبعد ان اطمأن لهذا الرد الى ان كلماته وقرت في اعماقهم واصابت منها المحز ... استأنف خطبته فيهم وقال ثانيا : وفي لهجة حربية آمرة صارمة :

(اخرجوا على بركة الله ، وانذروا قومكم ، وان ابوا من ذلك وتمادوا في غيهم ، ولجوا في طغيانهم ، استعنا بالله عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين) .

وبهذا الخطاب يكون ابن ياسين قد وضع خطوطه الكبرى لاقامة دولته التي حدد مطامحها اثناء وجوده في رباطه القصبي على ضفاف نهر السينغال ، وقرر نهائيا الدخول في مرحلة التقعيد لهذه الدولة وارساء بنائها على اسس حربية واضحة .

وهكذا اتجهت حركة ابن ياسين الحربية — جغرافيا — بعد استيلائه على صنهاجة الى العمل على اخضاع الاصقاع السوسية كلها تأمينا لحدود دولته من جهة الجنوب ، وضمانا لايجاد قاعدة آمنة ، يتخذها ملجأ في حالة حدوث حركة تقهقرية معاكسة او تحرف لقتال .

وكان مطالع السعود كانت في ركابه ، تخدمه وتسعى لانجاح مساعيه ، فقد تمكن بسرعة خاطفة من

الاستيلاء على السوس تم درعة ، وحتى لقد بلغ من الثقة بنجاح خطته ما جعله يوجه ابا بكر بن عمر بن تكلاكين اخا يحيى المتوفى سنة 447 هـ الذي خلفه فى القيادة العامة ، يوجهه على راس جيش لمنازلة مراكش واغمات ، وبالفعل استطاع فى جولته الاولى ان يقهر امير اغمات ، وأن ينتزع من لقوط بن يوسف ابن علي المغراوي مراكش ، بل وان يقترن بزوجة هذا المغراوي المدعوة زينب بنت اسحاق النفزاوية ، هذه المراة التي صارت فيما بعد زوجة ليوسف ابن تاشفين ، حين طلقها ابو بكر غداة توجهه الى الصحراء فى مهمة تهدئة الاوضاع هناك حيث ان قلاقل كانت قد نشبت هناك كادت تهدد منطلق الدولة الفتية وقاعدتها الاساسية بالتصدع فى تلك الانحاء مما استدع ارسال هذا القائد المحنك الى هناك .

ويجب ان نقف هنا وقفة صغيرة ، ازاء تخلي ابي بكر لابن تاشفين عن زوجته زينب النفزاوية ، لنتساءل عن السر فى هذا التنازل ، فهل أن هذه المراة رفضت التزوج مع أبى بكر الى الصحراء حذرا من شظف العيش وخشونته ؟ ام انه راى من ابن تاشفين ميلا اليها وقدر أن عدم تجاوبه مع هذا الميل قد يؤدي الى حدوث شقاق بين القيادتين : العسكرية التي يراسها ابو بكر ، والسياسية التي يجسمها ويوجهها ابن تاشفين ؟ وقدر فى نفس الوقت ان خلافا ما بين هاتين القيادتين قد يصدع الصف ويؤدي الى انشطار الدولة فآثر وحدة الصف والكلمة وراعى المصلحة العليا للدولة ولو على حساب مصلحته الذاتية ولو كانت تلك المصلحة هي التضحية بالاهل والاحباب ، ما دام قد قرر منذ البداية ان عليه أن يتسامى عن مطامع الدنيا فى سبيل تحقيق المطامح السامية للحركة الدينية الاصلاحية التي توخاها مؤسسوها ؟ ام انه لم يتخل عنها منذ الوهلة الاولى لابن تاشفين وانما تم ذلك بعد عودته الى الصحراء واضطراره الى الاقامة بها نهائيا حيث لم يغادرها بعد ذلك وانما توفي بها سنة 480 هـ ، وانه حين راى استحالة عودته ثانية الى مراكش طلقها ثم تزوجها ابن تاشفين ؟ ومهما يكن السبب الحقيقي او الطريقة الواقعية التي تم بها استيلاء ابن تاشفين على زوجة ابى بكر زينب النفزاوية ، فان موقف ابي بكر يدعو الى التقدير والاكبار ، حين تعالى عن هذه السفاسف للاهتمام بوجود الحدود الآمنة للدولة ولا سيما من الجنوب ، ذلك لان هذا الجنوب المغربي ظل فى كل مراحل تطوراته التاريخية منذ القديم الى العصر الحاضر هو مصدر الانتفاضات ، سواء منها تلك التي كتب لها النجاح فتحولت الى دول وامبراطوريات كما هو الشأن فى دولتي المرابطين والموحدين او اخفقت وتحولت الى اقطاعات ، كما كان الشأن فى كثير من مراحلنا التاريخية ، وخاصة المرحلة التي سبقت وجود العلويين على العرش المغربي ، حيث كان يشهد المغرب تمزيقا لوحدته السياسية والحكمية بما لا مزيد عليه ...

فكانت الحكمة تقضي على المرابطين ان يحافظوا على هذا الجنوب مهما كلف من ثمن .. واقل التضحيات التخلي فى سبيل ذلك عن امراة ، مهما قيل فى جمالها ومركزها فانها لا تعد شيئا بالنسبة لمصير الدولة .

على أن استيلاء ابن تاشفين على هذه السيدة يمكن ان يكون اعترافا من أبي بكر بجميل ابن تاشفين لما اظهره من حنكة كانت فى مستوى الاحداث ، ولما احاط به الحركة الناشئة من هيبة وجلال رائعين .. على اننا بعد كل ذلك لا نستبعد ان تكون هناك علاقة غرامية بين ابن تاشفين وهذه المراة ، تحولت الى هيام ، لم ير ابو بكر وضع حد لنهايته سوى بتخليه عن هذه المراة ، ولئن صح هذا الفرض فقد يكون نزوحه الى الصحراء وانقطاعه هناك رفضا معبرا عما آلت اليه حاله مع هذه المراة التي اصبح لها بحكم كونها زوجة سابقة للقائد العام للحركة ، من سيطرة ونفوذ من غير الممكن مقاومتها دون حدوث عواقب وخيمة ، فكان الحل هو مغادرة الساحة والتولي يوم الزحف ، احيانا قد يكون احسن من الهجوم ؟ !

وواصل ابن ياسين تحركاته بتصميم مركز وهادف لتطويق المنطقة الداخلية عن طريق الاستيلاء على النقاط الاستراتيجية بشريا فى تلك العهود ، وهكذا بعد فرض سيطرته نهائيا على تلك الاصقاع ، اتجه لمنازلة الروافض دينيا اعني (الجيليين والبرغواطيين) الذين كانوا يسيطرون على الشاوية وتارودانت ، فخاض فى اقليم الشاوية معارك دموية طاحنة استنزفت قواه ، ويمكن وصفها بأنها المعارك الفاصلة ــ فى نظر الرجل ــ بينه كمؤسس دولة اصلاحية دينية سنية وبين مناوئيه ، الشيء الذي

اقتضى منه النزول الى الميدان بكل قواه وبكل ما يملك من عدة وعدد ، حتى حقق الفوز والغلبة ، وادرك ما كان يرجوه من سلطان وانتصار .

واذا كان ثمن هذا النصر هو استشهاده هو نفسه فى هذه المعركة ، اذ يقال انه سقط فيها مدرجا بدمه يوم الاحد 24 جمادى الاولى سنة 451هـ وذلك بكريفلة من بسائط زعير ، فان ما حققه من اظهار دعوته وايمان مريديه امد الحركة بروافد حية من الايمان ، وبعناصر البقاء ، كما تمكن بواسطة هذه المعركة من توحيد البلاد سياسيا بعد ان وحدها عقائديا .

ويبدو ان الرجل لدى سقوطه كانه فى تمام وعيه ومنتهى ادراكه ويعرف المصير الذي انتهى اليه ، ولكنه ـ وفى هذه اللحظة بالذات ـ لا يريد ان يتخلى عن مهمة الدعوة الى تذكير الاتباع بأهم عناصر نجاحهم ، واهم مقومات احتفاظهم بالمعنوية القوية الجياشة ، وهكذا فلم يرد أن يغمض عينيه ويلتقط انفاسه الاخيرة حتى يمدهم بزاد يمدهم بالقوة ويحفزهم الى مواصلة النضال ، فقد خاطبهم ـ وهو يجود بنفسه ـ فقال :

(معشر المرابطين انكم فى بلاد اعدائكم ، واني ميت من يومي هذا لا محالة ، فاياكم ان تجبنوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وكونوا الفة واعوانا على الحق ، واخوانا فى ذات الله تعالى ، واياكم والمخالفة والتحاسد على الرئاسة ، فان الله يوتي ملكه من يشاء ، ويستخلف فى أرضه من احب من عباده ، واني ذاهب عنكم فانظروا من تقدمونه منكم ، ويقود جيوشكم ، ويغزو عدوكم ويقسم بينكم فيئكم وياخذ زكواتكم واعشاركم ...)

ولم تحدث وفاة ابن ياسين اى فراغ فى صفوف المرابطين ، لا عقديا ، لان العشرين سنة او اكثر التي قضاها بين صفوفهم واعطا مرشدا بالاعمال والافعال قبل الاقوال زودتهم بحصانة قوية حمتهم من تردد او ريبة او شك فى صدق دعوتهم وكونها تنشد الحق والخير وتعمل للاصلاح ورعاية النفع العام ... ولا عسكريا او اداريا .. لان وجود ابى بكر بن عمر اللمتوني الذي كان من ابن ياسين بمثابة ولي العهد ، ويوسف بن تاشفين ابن عم ابي بكر كانا الضمانة القوية على عدم تضعضع الدولة او نكوص رجالاتها على الاعقاب ، وانما كانت التضحية شعار القوم ، وكان الزهد فى حطام الدنيا السبيل لتحقيق الثواب الاجزل والجزاء الاوفى .

وهكذا ما ان توفي ابن ياسين حتى راينا تلك التضحية التي اشرنا اليها سابقا من ابي بكر ، التضحية بالتخلي عن عروسه ، ثم قبل ذلك وبعدها ، التخلي عن القيادة المركزية ليوسف ، والتطوع للرباط من جديد فى منطلق الدولة بالصحراء مع الالتزام بالجهاد والاشراف على ادارة الاقاليم الواقعة هناك ...

وتولى يوسف زمام الدولة اداريا وعسكريا وتوجيها ، وواصل تصفية ما تبقى من اوكار الروافض والمتربصين بالدولة الناشئة الدوائر ، من اقطاعيي مغراوة وبني يفرن ، وتمكن اخيرا من اسقاط اهم معقل لهؤلاء ، واعني به فاس ، حيث استولى عليها سنة 453 هـ ، واتخذها عاصمة الدولة الى حين تشييد مراكش سنة 454 هـ ، حيث ارتأى ان تتحول اليها ادارة الدولة لوقوعها وسط المغرب ، ولقربها من منشأ الدولة ولجوها الصحراوي ومناخها الذي يذكر بناة الدولة بعروقهم وجذورهم .

وتتوبعت الاعمال عمرانية واصلاحية وحربية بلا هوادة وبلا فتور ، فما اهلت سنة 475 هـ حتى كان ابن تاشفين سيد الموقف فى المغربين الاقصى والاوسط ، وحتى امتدت حدود مملكته الى السودان ونهر النيجر وتومبكتو وتوات ، وما يعرف حاليا بمالي وموريطانيا .

ثم لتثبيت مركزه دوليا ، ولاثبات احقيته فيما تحمله من امانة خلافة الاسلام فى هذا الجزء من العالم الاسلامي ، لبى نداء ملوك الطوائف الاندلسيين بزعامة قيدومهم المعتمد بن عباد دفين اغمات ، فنازل الاسبان بقيادة ملكهم الادفونش السادس الذي كانت تهدد غاراته على الممتلكات العربية فى الاندلس بزوال دولة الاسلام وحقق عليه انتصارا باهرا فى وقعة الزلاقة سنة 479 هـ والتي كان من ذيولها ازعاج المعتمد بن عباد من مملكته والزامه الاقامة الجبرية بالمغرب فى قرية أغمات قرب مراكش ، ثم القضاء

النهائي على اولئك الاقزام من ملوك الطوائف ، وضم اراضيهم الى ارض المرابطين نزولا عند رغبة الرأي العام الاندلسي الذي كان يمثله الفقهاء والعلماء ، وبهذا اصبحت الاندلس — ولاول مرة في التاريخ — تابعة اداريا وسياسيا للمغرب (1) .

وبعد فتلك صورة مجملة عن نشوء الدولة المرابطية وظروف تكوينها وعن أوضاعها السياسية والعسكرية ، فما هي الاوضاع الثقافية والادبية في المغرب لعهد هذه الدولة . .؟ وهذا ما سنحاول التعرض له في حديثنا المقبل ان شاء الله .

للحديث صلة

(1) انظر مزيد التفاصيل عن المرابطين ووقعة الزلاقة وملوك الطوائف في كتابنا (مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس) .

مثلي ومثل هذا الأعرابي

من حديث عكرمة عن ابي هريرة رضي الله عنه :

« ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينه في شيء ، قال اراه قال في دم ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، قال : « احسنت اليك » ؟ قال الاعرابي : « لا ، ولا أجملت » فغضب بعض المسلمين وهموا ان يقوموا اليه ، فاشار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كفوا ، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ الى منزله ودعا الاعرابي الى البيت فقال : « انك انما جئت تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت ، فزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا وقال: « احسنت اليك ؟ فقال الاعرابي نعم ، فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا ، فقال صلى الله عليه وسلم : انما جئتنا فسألتنا فأعطيناك فقلت ما قلت ، وفي نفس اصحابي عليك من ذلك شيء فاذا جئت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب عن صدورهم ، فقال نعم ، فلما جاء الاعرابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه ، فزعم انه قد رضي ، « كذلك يا اعرابي ؟ »؟ فقال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا .

فقال لهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فانا ارفق بها وانا أعلم بها ، فتوجه اليها ، واخذ لها من قمام الارض ، ودعاها حتى جاءت ، واستجابت وشد عليها رحلها ، واني لو اطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار »

سيبويه في ذكراه 1200

للأستاذ عبد الله الجراري

لا يكاد يخفى على المثقف البصير (وعقب حقبة ليست بالقصيرة) ما كان للامية البغيضة فى الاوساط العربية والاسلامية من تأثيرات سيئة طالما حالت بينهم وبين التفتح على حضارات الامم البعيدة والمجاورة كعراقيل صارفة لهم عن التعرف على ماضي تلك العهود وما جرياتها المليئة بالاحداث والجولات والقصص الموقظة ، والحكايات الباعثة مما لا تجهل آثاره الانسانية والفنية على العقول المفكرة لتلقف ما ترمي اليه مخططاتها من اهداف وغايات ، بيد ان هذا التصميم الهادف لم يعدم مجاهل غامضة الرسوم ملتوية السبل اعترضت طريقه ووقفت حجر عثرة دون الوصول الى الحقيقة المتوخاة من وراء البحث المنتج والمجهود المجدي ان هي سوى روايات وحكايات اقل ما يقال عنها : « كثرة المقالات دليل الجهالات » ذلك انه كلما انقطعت صلة الحقيقة ، وانغلقت المسالك الا واعشوشبت الجوانب بنبابات الطريق وتاهت الافكار تيها لا تفتأ تزيد اشواكها فى تعقيد المنعرج وتغطية كنه المطمح عن العقول اكثر كمرمى اخطر تألم له النفوس الكبيرة ، وتتنفس امام سوآته الصعداء .

هكذا وبعد تلك المدد نجد الخالق المبدع جلت قدرته يبعث فى تلك الامة رسولا اميا كهم ومن انفسهم يقول سبحانه : « هو الذي بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (1) .

غير ان بين الاميتين بونا ، فهي فى الرسول محمد عليه السلام للاعجاز والكمال وفى سواه على العكس بأوفى مفهومه « وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » (2) .

هذا ما حفز الرسول وبوحي لتعليم العرب وكل من آمن من ابناء البشر ــ الكتاب وآياته حسبما ينزل عليه من قرءان فى شتى الوقائع والاحداث وهم يتلقون ذلك عنه استظهارا وبقدر ما تستطيع طاقتهم اللاقطة ــ فكان صلوات الله عليه وهو المعلم الماهر يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه سالكا سبيل التكرار فى أسلوبه التلقيني كعناية بالآخذين والسائلين خاصة المتوجهين اليه بطرح ما يشكل فى الاثناء كاستيضاح واستفسار بعيدين عن التعجيز والتعنت .

ومن هذه المدرسة المحمدية الاولى تخرج حفاظ وحفاظ للكتاب العزيز مع الاستشراف والطموح الى التعرف على مفهوم الآي من جوانب شتى روايات ــ وتوجيهات ، وفقه وقصص ومواعظ وعبر . لذا نجد البعض منهم يمكث السنين الطوال

---

(1) الآية 2 من سورة الجمعة .

(2) الآية 48 من سورة العنكبوت وهنا آراء وأفكار هل كتب عليه السلام أو لم يكتب مستعرضين موقعة الحديبية وصلحها وما جرى بين علي كرم الله وجهه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم .

(*) محاضرة القاها الكاتب فى المهرجان الخاص بسيبويه المنظم بايران بمناسبة ذكراه 200 1 .

في تلقي السورة الواحدة (كالبقرة) . فهذا الخليفة الثاني الفاروق رضي الله عنه قطع اثنتي عشرة سنة في حفظ السورة المذكورة . وابنه عبد الله هـــو الآخر مكث ثمان سنوات اخذا بالفحوى العالي للآي الكريمة والغوص في نفحاتها القدسية ، فكان الرسول الاكرم يأمر الناس أن يتعلموا الفقـــه والقرءان مـــن جيرانهم ، ويقوم عليه السلام في الناس احيانا خطيبا مثنيا على طوائف من المسلمين خيرا كترغيب لـــهم على الاخذ والتثقيف ، ومرة اخرى نجده على العكس من ذلك يقوم خطيبا قائلا « ما بال اقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون » كما ورد في مجمع الزوائـــد تحت (باب تعليم من لا يعلم) (3) وكربط لهذه العناية الطيبة ــ انتدبت نخبة من الصحابة للتلقين والتفقيه كالصحابي المجاهد ابي عبيدة بن الجراح ، ورافع بن مالك احد النقباء وأول من أسلم من الخزرج ، وأسيد ابن حضير (4) وسواهم ممن تصدوا لاداء هـــذه الرسالة الخالدة . ومن هذا المنطلق الهادف أخـــذ الطموح يخطو خطوات متتابعة وفي قوة حول التعليم والتهذيب ورفع وصمة الامية ، فبعدمـــا وضعـــت حرب بدر الاولى اوزارها ــ كلفت جماعة من الاسرى الذين يحسنون القراءة والكتابة بتعليم كل واحد منهم عشرة من اطفال المسلمين حيث يكون ذلك فداء له من الاسر في النهاية ، ولا بدع أن تكون هذه ثانـــي مدرسة اسست في فجر الاسلام لمحو الامية . وما يتلو ذلك من تكوين وتثقيف ، للشعـــور بالحاجـــة الملحة كتحرر من مخازي الامية والجهـــل (5) فماذا كان المردود يا ترى من تلك الثقافة ؟ كان ان نخبـــة كريمة من أصحاب الرسول رضوان الله عليهم اندفعوا بولوع ساندته مواهب كونت منهم تراجمة لما يكتب بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية على رأسهم العبقري زيد بن ثابت الانصاري النجـــاري الـــذي ــ وبعصامية نادرة ــ استطاع تعلم تلـــك الالســـن وحذقها كأحد أفرادها مبرزا يقرأ جميع ما يرد بها ، ويكتب بقلمها ، ويجيب عما يتطلب الجواب بنـــفس اللغـــــة .

وقد يقال عن زيد : من اين توصل لمعرفة هذه اللغـــــات ؟

يجاب بما جاء في الجزء الثاني من العقد الفريد لابن عبد ربه ص 144 ونصه : « وقيل انه اي زيد ابن ثابت تعلم الفارسية من رسول كسرى ، والرومية من حاجب الرسول صلوات الله عليه ، والحبشية من خادمه ، والقبطية من خادمته » ، وجـاء أن الرسول عليه السلام امره ان يتعلم كتاب اليهود اذ قال له : « تعلم كتاب اليهود فاني لا آمن يهوديا على كتابه » ، قال زيد فتعلمت في نصف شهر حتى كتبت لـــه الى يهود ، واقرأته اذا كتبوا اليه بخ بخ . فهكذا تتجلى العبقرية باجلى مظاهرها وبســـند من المواهـــب بـــلا شـــك .

وفي هذا العهد النبوي اخذت الكتابة تأخـــذ طريقها ويفشي تعلمها الجهات البعيدة كنتيجة لتلـــك العناية المعطاة لها من طرف الرسول الاكرم عليـــه السلام ، ومن تكون في مجالسه من الاصحاب وبطبيعة هذه الالتفاتة الحميدة ودونما طول ــ ظهر التدوين على المسرح الثقافي خاصة في العصر العباسي اذ أصبحت الحاجة تلح (وبدافع عقدي ديني اكثر على تفسير الكتاب ، وجمع الاحاديث وأحكام الاسانيد ، وتعديل من يعدل الناقلين تمييزا للصحيح من السقيم ، والطيب من الخبيث في وقت أصيب فيه اللسان العربي بتضعضع واضطراب جعلا يمسان جوهره ، ويفسدان عليه اسلوبه بما حصل من اندماج وامتزاج بين العناصر العربية والعجمية ، هذا يقتبس من ذلك وذاك يلتقط من الآخر وهكذا ذواليك مما لم يكن منه بد في التلقين الجدي لوضع قوانين وضوابط تحفظ اللسان مـــن التعجم والالتواء المفضيـــين (لا كان ذلـــك) الى التحريف والتصحيف والقلب ، الشيء الذي لا يتورع ان يمس المفهوم المغيا للكاتب من كتابته لا سيمـــا العامة من فنون وعلوم لفروع المعرفة التي يتحتـــم الاحتياط لها ولتدوينها كبضاعة غالية يزود الفكـــر الانساني بها في عامة القضايا الثقافية والانسانية على اختلاف مناحيها ، فكان شيء من هذا القبيل وبالدرجة الاولى يستدعي ادوات آلية ، تكون لها الصلاحيـــة العامة في حفظ التراث الثقافي من الوقوع في أخطار التشويه والنقص من القيمة المقدسة وعلى الصعيد العام لدى ابناء الالسن الاخرى ممن لاحظتهم عيـــون السعادة فدرسوا العربية دراسة علمية استطاعوا من

---

(3) عن التراتيب الادارية للمطلع الكتاني بالجزء الاول .

(4) أسيد كامير سبعة صحابيون وخمسة تابعون راجع قاموس الفيروزاباذي في المادة .

(5) في هذا الظرف وفي ظل اكنافه درس زيد بن ثابت في جماعة من غلمان الانصار .

ورائها ان يتعمقوا اسرارها ، وما تنطوي عليه اساليبها من لطائف ونكت لها ابعادها في تنوير الافكار وبلورة المفاهيم وجعلها تنسجم عن طواعية مع الذوق السليم ، والفكر النير دون تعثر او التواء يوقعان ريبا او ترددا (فالعربية كالفرس الحرون لا تذل لغير اهلها الحاذقين مادتها عن مهارة وممارسة) .

هذا ما حفز الفارسي الشيرازي الشاب الوضيء ابا بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه ليصعد القمة ويكون الفارس السباق في الميدان فيتدارك اللسان العربي بعبقرية نادرة منقذا اياه من مخاطر الاهمال ومعاور المسخ والقلب واللحن كنقائص طفقت تمتطي متن تراكيبه الجزلة واساليبه المعجزة بشتى مراميها تحت نير العامل وسيطرته القاهرة وفق ما توحي به القواعد الموضوعة كدعائم لها مقاماتها الفنية طالما هي وسائل تهدف لبلوغ مقصد اسمى ، ومدلول له ولاجله اتخذت السلالم ، ذلك ان المفهوم المتوخى من بين التراكيب وكلماتها وحروفها المرصفة ترصيفا محكما في جهرية وقوة وشدة ليس هو عدا المعنى المنبثق من فحوى المركب الكلامي بما ينطوي عليه من خفة وحلاوة في قالب جذاب راشته الحقيقة في المقدمة ثم المجاز عند التعذر بارتكاب نوع فلسفي يقتضيه الخيال ازاء علاقة يجلوها الاسلوب ، ثم لا عجب ان نرى الشاب الفاتح ابا بشر سيبويه يثب الى الميدان زامعا قواه لتقنين الفن النحوي ووضعه على اسس ثابتة كحقائق لها فعاليتها الايجابية في تركيز المعاني ، وكشف ما يمكن ان يعلوها من خفاء وغموض طالما كانت دعائم في الدرجة الاولى من بين فنون الادب لدى القدامى من رجال العربية واقطابها ، وفي عناية بحصر الفكرة في اثنى عشر فنا قالوا :

(صرف بيان معاني النحو قافية
شعر عروض اشتقاق الخط انشاء)

(محاضرات وثاني عشرها لغة
تلك العلوم لها الآداب اسماء)

الفن الذي به وبه وحده يقرع باب العويص من المركبات فينفتح على مصراعيه طيعا منقادا لآلية القانون المحكم الحلقات التي لا يكاد يعتريها تفكك وانحلال ما دام تقعيدها مدينا لابطالها من عرب وعجم امتزجت العربية بعروقهم ودمائهم اذ شربوها من ينابيع صافية المورد ، عذبة المنهل ، لحد الامتزاج بارواحهم ، ظاهرة جعلت البعض منهم يتغنى في تيه واعتزاز بالمفرد التالي قائلا :

(ولست بنحوي يلوك لسانه
ولكن سليقي اقول فاعرب)

فاستطاعوا لهذه الحالة ان يجردوا الاقلام ، ويسخروا المواهب فيكتبوا ما الهموا اليه من ضوابط وقواعد لا تفتأ تلقي الاضواء الكاشفة على اساليب اللغة ، وتوا تنقشع السحب، وتنار الطرق امام القارىء والباحث فيبصران ما قد يعترض سبيلهما لولا تلك الجهود الجبارة والخدمات الجلى التي اسداها للغة اولئك الموفقون من أبناء الثقافة الحق — وفي المقدمة الاشراف على مكنون الآى القرآنية ، والاحاديث النبوية من اعلى شرفات تلك التقنيات الباعثة ما اكتنز في قلبها كخضوع لنظام مضبوط ومحدد لا تكاد المدلولات الكلامية تنفلت من بوتقته الفنية لما يكتنفها من اطر متماسكة الزوايا لها قوتها الفعالة في دعم الملكات وانفساح المجال للخلق والابداع والجولان في ثنايا النصوص رغبة في استكناه ما انطوت عليه من اسرار كاثر للمنهجية التي تقمصتها وغدت كوسائل اعطيت حكم الصنائع الآلية التي كان الفضل في انتحالها لابناء الحضر وليس هم عدا العجم او من في معناهم من الموالي واهل الحواضر الذين هم تبع للعجم في الحضارة وقطاعاتها من صنائع وحرف (6) .

فكان الفارسي العبقري الملهم الاول للتبريز في الميدان فطلع علينا بكتابه في النحو المسمى بـ : « الكتاب » .

سيبويه :

هو لقب امام من ائمة فقهاء النحو على مذهب البصريين اذ كانت هناك مدرستان : 1) بصرية . 2) كوفية ، وكانتا تتنافسان في التوجيهات العربية حيث يبني كل منهما رأيه على لغة من اللغات منتصرا لها وموجها اياها حسبما توحي به قاعدته . فكان ابو علي الكسائي راس المدرسة الكوفية ، وشيرازينا

(6) من مقدمة فيلسوف الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون في فصل ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم . نعم انها فكرة قابلة للنقاش .

(سيبويه) رائد مدرسة البصرة . ولا انسى بهذه المناسبة قولتهم اللطيفة : (النصرة ثابتة لاهل البصرة) فسيبويه هو ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر من موالي قبيلة الحارث بن كعب العربية .

والتركيب المزجي هذا ذهبت الآراء في اطلاقه على الشاب الفارسي مذاهب منها ان مدلوله : (رائحة التفاح) لكون امه كانت ترقصه بذلك في صغره ، ومنها : ان كل من لقيه ـ شم منه رائحة الطيب ، وراى ثابت : انه اعتاد شم فاكهة التفاح فلقب به ـ اذ معنى (سيب) تفاح و (ويه) رائحة كمركب عكسي حسب اللغة الفارسية ، او كانت خداه المتوردتان قريبتين من لون التفاح كتكميل لجماله ، آراء هي الى الادب الذي يشم ولا يغرك امس منها بالادب الواقعي الذي تعلوه صبغة الحقيقة .

فالمترجم الفارسي تحيط بتاريخ ولادته ووفاته ومكانهما غموضات فلا اريد ان اعرض لتفاصيلها ما دامت تصاد من ثنايا البحث ، او تدرج في بعض عروض الذكرى .

اصله ونشاته :

اصله من البيضاء بارض فارس ونشاته بالبصرة التي كانت وقتئذ تمج برجالات الفن .

شيوخه :

اخذ عن الخليل بن احمد الفراهيدي (7) الرجل الذي لم يقدر الناس اثره الثقافي في العربية حق التقدير والى حد الساعة ولا غرابة فكم له من نظير اغفل واهمل فضاعت من تراثه المعلمة الانسانية ، والخليل يعد اشهر اساتيذ المترجم (سيبويه) (8) ويقول بعض مترجميه :

انه قدم يوما على الشيخ فقال له : مرحبا بزائر لا يمل ـ كلمة لتلميذ لها مكانتها ووزنها في الاعتبار والتقدير ـ كما اخذ عن يونس بن حبيب يقول ابو عبيدة : قيل ليونس بعد موت سيبويه : ان سيبويه صنف كتابا في الف ورقة من علم الخليل فقال : ومتى سمع هذا كله من الخليل ؟ جيئوني بكتابه ، فلما رآه قال : يجب ان يكون صدق فيما حكاه عن الخليل كما صدق فيما حكاه عني . واخذ ايضا عن عيسى بن عمر . وتلقى اللغات عن ابي الخطاب الاخفش الكبير ، وغيرهم من اقطاب اللغة .

قيمة الكتاب :

من اهم ما الف في النحو ومن اولها كذلك لحد اطلق عليه البعض (مصحف النحو) ليس فقط بالنسبة لعلم البصريين ، بل اصبح منذ تاليفه عمدة جميع الدراسات العربية في المادة حتى كان ابو العباس المبرد (9) يقول لمن اراد دراسته عليه : هل ركبت البحر تعظيما منه للكتاب واستصعابا (في ذات الوقت) لما فيه ، وناهيك بها شهادة من امام هو الآخر له طابعه الممتاز في الفن ، والذي لو لم يكن سوى كتاب الكامل احد الكتب الاربعة (10) لكان كافيا ـ ويقول ابو عثمان المازني : من اراد ان يعمل كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي . ويقول ابو عمر الجرمي (11) في الكتاب انه : احتوى الفا وخمسين بيتا سالته عنها فعرف الفا ، ولم يعرف 50 اذ كانت لشعراء مجهولين ، ورغم ذلك كانت محل استشهاد لتركيز القواعد العربية التي جاءت بعد اعتمادا على ما حصل عليه الكتاب من ثقة ، ونجد ابا الحسن السيرافي يتصدى لشرح تلك الابيات مع عناية خاصة بشرح عدد من اشهر آثار مدرسة البصرة ، وهذا ابو

---

(7) ابوه اول من تسمى باحمد بعد الرسول عليه السلام كما جاء في فهرست ابن النديم .

(8) هناك اشخاص اربعة عرفوا بسيبويه : 1) امام الفن صاحب الذكرى . 2) محمد بن موسى المصري 3) محمد بن عبد العزيز الاصبهاني . 4) ابو الحسن علي بن عبد الله الكومي المغربي هـ من مزهر السيوطي .

(9) صاحب الكامل المتوفى سنة 286 هـ .

(10) 1) كتاب الكامل . 2) ادب الكاتب لابن قتيبة . 3) كتاب البيان والتبيين للجاحظ . 4) كتاب النوادر لابي علي القالي .

(11) هو صالح بن اسحاق الجرمي بالولاء فقيه عالم بالنحو واللغة من اهل البصرة سكن بغداد له كتاب السير ، وكتاب الابنية ، وغريب سيبويه ، وكتاب العروض ، توفي سنة 225 هـ ـ 840 م .

القاسم الزمخشري (12) (جار الله) يقول في الكتاب :

الاصلى الالاه صلاة صـــدق
على عمرو بن عثمان بن قنبــر

فان كتابه لم يغـن عنـــه
بنو قلم ولا ابنـــاء منبـــر

وتلك شهادة من الاعرج الـــذي لولاه كيوسف السكاكي الاصم لذهبت بلاغة القرءان وهـــي لعمري شهادة خزيمة ، وقديما قيل لا يعرف الفضل الا ذووه:

لا يعرف الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيهـــا

ولشهرة الكتاب في عالم الفن كان اذا اطلق عند النحاة انصرف الى كتاب سيبويه اذ أصبح علما عليه لا يخطر ببال عالم من أعلام العربية سواه من المصنفات، فكان يقال في البصرة : قرأ فلان الكتاب او نصفـــه فيعلم انه كتاب سيبويه .

لم تتح الفرصة ليدرس المؤلف كتابه :

مما أورده هنا ان سيبويه لم تهيىء لـــه الاقدار دراسة الكتاب وقراءته على تلاميذه بل وقعت هـــذه المهمة على عاتق شيخه ابي الخطاب الاخفش الكبير الذي اضطلع بعد وفاته بمراجعة الكتاب مراجعـــة دقيقة ، على ان الاهتمام بدراسته (كما المعنا اليه آنفا) لم تقتصر على البصريين وحدهم بل شاركهم الغير ولا بدع في ذلك (فالمعرفة مشاعة) يتلقفهـــا المرء اين وجدها ، وكدليل لهذه الحكاية ما جاء عن الجاحظ ، قال : اهدى الوزير ابن الخياط نسخة من كتاب سيبويه بخط الفراء ومقابلة على الكسائـــي ، وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ يعني نفســـه ، فقال الوزير : هذه اجل نسخة توجد واعزها (13) .

مناظـرتـــه مـع الكسائـــي :

ورد عبقرينا الفارسي بغداد على يحيى البرمكي فما كان منه الا ان جمع بينه وبين الكسائي كامامين بارزين في الصناعة النحوية للمناظرة في دقيق الفن ومشاكله واثر لحظات ـ وجه على الكسائي سؤالا الى الشاب قائلا : كيف تقول قد كنت أظن ان الزنبور اشد لسعة من العقرب فاذا هو هي او هـــو اياها ؟ فقال سيبويه : فاذا هو هي ولا يجوز النصب ، فقال الكسائي : اخطأت العرب ترفع ذلك وتنصبه ، وجعل يورد عليه امثلة من ذلك : خرجت فاذا زيد قائـــم او قائما ، وسيبويه في ذلك يمنع النصب متشبثا برايه وفي هذه الاثناء المحتدمة والعراك الفكـــري بيـــن العملاقين قال يحيى : قد اختلفتما وانتمـــا رئيســـا بلديكما فمن يحكم بينكما ؟

قال الكسائي : هؤلاء العرب ببابك قـــد وفدوا عليك وهم فصحاء الناس فاسالهم . فقال يحيـــى : انصرف واحضرهم ، فسئلوا فاتبعـــوا الكسائـــي فاستكان سيبويه وقال : ايها الوزير سألتك الا ما امرتهم ان ينطقوا بذلك فان السنتهم لا تجري عليه ، فما كان منهم الا أن قالوا : الصواب ما قاله الشيخ يعنون الكسائي دون ان ينطقوا مخافة ان يفتضحوا حيث السنتهم لا تطاوعهم على النطـــق بما جـــرى عليه الكسائي ، وهذا ما يؤكد الريبة ويثبت الانحراف وكما بالطبع يذهبان بالفكر مذهبا خطيرا حيث لعبت المادة والرشوة ادوارهما مع ما لجانب الكسائي من شفوف كل ذلك ادى مهمته حول التعصب على الشاب الغريب ومخالفته ، وكتغطية لذلك يقول علي : ليحيى (اصلح الله الوزير ان الفتى الفارسي وفد اليك من بلده مؤملا ، فان رأيت ان لا ترده خائبا فامر له بعشرة آلاف درهم) وهذه أيضا ، وعن كثب نفذ القدر للامام، وغادر بغداد متوجها الى فارس في تاثر بليغ من الحيف السافر الذي كانت منه نهايته فقضى غما وغيظـــا شيمة الاحرار في امثال هذه المواقف الحاسمة تأبى عليهم كرامتهم الذل والمهانة خاصة ما كان من هذا النوع الذي تشرى فيه الضمائر ، وتطمس الحقائـــق ضحية المادة والانحياز .

(12) ابو القاسم محمود الزمخشري الذي يقول فيه امير مكة علي بن عيسى بن وهاس الحسني :

جميع قرى الدنيا سوى القرية التـــي — تبواهـــا دارا فـــداء زمخشـــرا
واحربان تزهى زمخشـــر بامـــرىء — اذا عد في اسد الشرى زمخ الشـــرى

والعادة ان الناس يمدحون الامراء وهنا نجد العكس وما ذلك الا لفضل الممدوح وعلو شانه العلمي.

(13) ولا غرابة فقد حظيت بالمراجعة والمقابلـــة وممن لهم الكفاية الخاصة في المادة .

احسن الاديب ابو الحسن حازم بن محمد الانصاري القرطاجني فى منظومته النحوية البسيطة حاكيا الواقعة وعارضا المسألة :

والعرب قد تحذف الاخبار بعد اذا
اذ اعنت فجاة الامر الذي دهما

وربما نصبوا للحال بعد اذا
وربما رفعوا من بعدها ربما

فان توالى ضميران اكتسى بهما
وجه الحقيقة من اشكاله غمما

لذاك اعيت على الافهام مسالة
اهدت الى سيبويه الحتف والغمما

قد كانت العقرب العوجاء احسبها
قدما اشد من الزنبور وقع حما

وفى الجواب عليها هل اذا هو هي
او هل هو اياها قد اختصما

وخطا ابن زياد وابن حمزة فى
ما قال فيها ابا بكر وقد ظلما

وغاظ عمرا على فى حكومته
ياليته لم يكن فى امره حكما

كغيظ عمرو عليا فى حكومته
ياليته لم يكن فى امره حكما

الى آخر البسيط .

مما سطروه هنا وكان فى مقدمة الاسباب المخولة له الامامة فى الفن أن نصر بن علي قال : كان سيبويه يستملي على حماد فقال يوما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحد من أصحابي الا وقد اخذت عليه ليس أبو الدرداء فقال سيبويه : ليس ابو الدرداء ، فقال حماد لحنت يا سيبويه . فقال سيبويه : لا جرم لاطلبن علما لا تلحنني فيه ابدا فطلب النحو ولزم الخليل وقيل سبب اعتكافه على الفن غير هذا .

مما قيل له فيه : يا سيبويه لو اصلحت لسانك كان الحق لك : فكان لهذه الكلمة اثر بليغ فى نفسه كون منه رجل الاعتماد على النفس والاعتكاف على دراسة المادة بأكثر ما يمكن الى أن اصبح حاملا لواءها كاكبر رائد من رواد (مدرسة البصرة) وانها وبم الحق لظاهرة عصامية لها فعاليتها فى تكوين العباقرة وخلق النوادر من ابناء الثقافة ، وقد لا نعدم لها نظائر فى تراجم الرجال وطبقاتهم مما كان لامثال تلك الكلمة من وقع له اعقابه الحميدة فى تكييف النفس وتوجيهها الوجهة الصالحة فمن ذلك الرعيل : محمد بن حزم الظاهري الامام الذي كونت منه بعض اخطائه فى اداء نوافل لم تصادف اوقاتها المشروعة حوافز عصامية خطت به نحو التبريز فى التشريع ومقاصده خطوات بعيدة خلدتها مناظراته الفائزة ، ومصنفاته المحكمة الوضع اصولا وفروعا وادبا ، هكذا وطالما كانت النفوس كبيرة تهون عليها اجسامها فى سبيل الشرف الثقافي ولذاته الكبرى .

(واذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الاجسام)

ولله در التاج السبكي اذ يقول فى كتابه (جمع الجوامع) : « واللذة حصرها الامام والشيخ الامام فى المعارف » ومن هذه المدرسة الباعثة ـ انطلق مترجمنا الفارسي كامام محلق فى أجواء المعرفة ـ العربية نحوا وصرفا ولغة وما اليها من فنون جعلته مضرب الامثال فى الفنية لغاية كانت كلما ظهر عبقري فى الفن الا وضع لقب الشاب الفارسي: « سيبويه » كاعتزاز وفخر يتقمص بهما المتشبه سواء فى الشرق والغرب .

(هم القوم فاجهد فى اتباع سبيلهم
وان لم تكن شبها لهم فتشبه)

ولا بدع وقد سمى الناس الكتاب : « قرءان النحو » كما اشير اليه قبل (14) ومن هذا الفحوى عن الكتاب ما ذكره صاعد بن احمد الجياني الاندلسي فى كتابه قائلا : « لا اعرف كتابا الف فى علم من العلوم قديمها وحديثها واشتمل على جميع ذلك العلم، واحاط بأجزاء فنه غير ثلاثة كتب : 1) المجسطي لبطليموس فى علم الفلك . 2) كتاب ارسطاليس فى علم المنطق . 3) كتاب سيبويه البصري النحوي ،

(14) من كتاب مراتب النحويين للحلبي المتوفى سنة 351 هـ مطبوع .

فكل واحد منها لم يشذ عنه من اصول فنه شيء الا ما لا خطر له » (15) .

ما كان ينشده من شعر او ينشئه :

كان صاحب الذكرى كثيرا ما ينشد البيت التالي :

اذا بل من داء به ظن انه
نجاوبه الداء الذي هو قاتله (16)

ولا اخاله الا ملوحا للشيخوخة والهرم حيث لا علاج ينجع فيهما رغم انه قضى شابا من نحو 32 او نيف واربعين على ما صححوه (17) فكان يرمي في تفكيره الجدي بعيدا كمستحضر لتلك الصورة الحتمية التي لا تلبث تعجز مهرة الاطباء عن المقاومة حيث الاجل محدود وقريب في هذه الامة حسب الوارد عنه عليه السلام : (اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين واقلهم من يجوز ذلك (18) .

يمثل ذو اللب في عقله
مصائب من قبل ان تنزلا

وان هي قد نزلت لم ترعه لما كان من قبل قد مثلا

وذو الجهل يامن ايامه
وينسى مصائب من قد خلا

ومن شعره الهادف نحو التقوى جاعلا نصب عينيه امامته الفنية كخيال ما لم تسانده استقامة تعمل على رفع مكانته في تلك المقامات قال :

لساني لسان معرب في حياته
فيا ليته من موقف الحشر يسلم

فما ينفع الاعراب ان لم يكن تلقى
وما ضر ذا تقوى لسان معجم

فنجده مع هذا الوعي اليقظ نحو الدار الاخرى غير غافل او ناس كفايته اللسانية في الحياة ولكن مع تمن ان يوفق في موقف القيام كتوفيقه في البيان والاعراب يقول ابو سعيد الطوال كراث وآسف على ضياع الشاب الفارسي على طريق الحكاية (19) رايت على قبر سيبويه هذه الابيات مكتوبة وهي لسليمان ابن يزيد العدوي :

ذهب الاحبة بعد طول تزاور
ونأى المزار فأسلموك واقشعوا(20)

تركوك اوحش ما تكون بقفرة
لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا

قضى القضاء وصرت صاحب حفرة
وعن الاحبة اعرضوا وتصدعوا

العناية بالكتاب :

لقد لفت الكتاب النادر من نوعه في المادة ـ انظار النحاة قديما وحديثا سواء معاصرو المنصف الفارسي وغيرهم ممن جاءوا بعد لحد اصبح معه حديث المجالس واندية الباحثين فيما اعتصى من تراكيب ، واشكل في ثنايا الاساليب العربية على اختلاف لهجاتها وما يجري على السنتها من كلم حسبما تعودته في قبيلتها وتمرنت عليه منذ النشاة الاولى طالما توجد فروق ما بين الجهة والجهة تحدث بطبيعتها نوع اشكال لا ينفك يفسح المجال للقراء والكتاب في حل ما يبدو من اشكال داخل الجمل واجزائها مما قد يسري لا محالة لجوهر التركيب فيفكك كلماته ، وعن كثب تذهب الآراء مذاهب حول المفهوم المتوخى .

(15) من معجم الادباء لياقوت ، مجلد 16 ص 115 .
(16) بل من مرضه وابل ابلالا برىء .
(17) كما لياقوت الحموي في المعجم .
(18) الحديث اخرجه الترمذي وابن ماجة عن ابى هريرة مرفوعا وصححه ابن حبان والحاكم وقال : انه على شرط مسلم .
(19) ولا عجب ان يكون بانشاده مشاركا .
(20) اقشعوا تفرقوا .

هذا وما يهدف اليه ما حفز الكتاب والباحثين للعناية بالكتاب وتناوله بالدرس والتحليل رغم ما هو عليه من صعوبات فى عرض ما احتوته أبوابه وفصوله لغاية كان البعض من الاخصائيين فى المادة يتهيبه ويقول لمريد دراسته :

(هل ركبت البحر ؟) كما المعنا لذلك سابقا .
وممن وفقوا لشرح الكتاب وبذل الجهد (وهم كثير من رجال مدرسة البصرة) : ابو العباس المبرد ، وعلي ابن سليمان الاخفش (21) ، والرماني (22) وابن السراج (23) وابو القاسم الزمخشري (24) وابن الحاجب (25) وابو العلاء (26) وسواهم ممن خاضوا غمراته ومسالكه الوعرة قاطعينها عن بينة ومهارة .
فكانت تلكم العناية من هذه النخبة الموفقة فتحا جديدا وتيسيرا للكتاب وتسهيلا على طلابه وجعلهم فى نفس الوقت مشرفين فى اهتداء على ما كان ينغلق قبل من مفاهيم لقواعده واقيسته المنطقية فى قضاياها الهادفة الفهم الصحيح .

ومن فروع هذه العناية بالكتاب وشرحه اننا نجد بعض الاوربيين يتناول قطعا منه بالشرح والتحليل وترجمته الى اللغة الالمانية (27) وما ذلك سوى رغبة علمية دفعتهم للافادة من مادته الغزيرة مما لا يلبث يلقح لسانهم بمادتها،كما فعلوا نفس الشيء فى سواها من المواد الاسلامية أصولا وفروعا ، كهيام ثقافي علمي يبعثهم على البحث والتنقيب فى التراث العربي الاسلامي تطلعا للمعرفة وتلقفها دونما اكتراث لما يعترضهم فى سبيل ذلك من عقبات ، وقديما قالت الحكمة : « من عرف ما قصد هان عليه ما وجد » .

العناية بدراسته فى المغرب والاندلس :

واذا كانت الثقافة فى مفهومها العام منفسحة المجال رحبة الوطن ، مشاعة بين الرواد والباحثين اين كانوا وحيثما وجدوا ، وكان ابناء القطر المغربي الواقع فى الشمال الغربي من القارة الافريقية لهم طموح خاص ، وولوع علمي منذ عهود بعيدة ، وطوال حقب شاحطة وكان فى المقدمة اللغة وعلومها وآدابها، والنحو بالطبع على رأسها ما دام آلة فاتحة لها فعاليتها وابعادها فى الوصول الى الفهم الصحيح والادراك البعيد عن التردد والاضطراب فى الدلالة .
اختارت نخبة من المغاربة (الكتاب) للدراسة والبحث والتعليق منهم : محمد بن هشام اللخمي السبتي كان يعيش فى منتصف القرن السادس ، له نكت على شرح أبيات « سيبويه » للاعلم (28) الذي يعد فى الاندلسيين الذين عنوا بالكتاب — ومن المغاربة — ابو القاسم عبد الرحمن المصمودي (29) الملقب بالنحوي كان يقرىء كتاب سيبويه . ومنهم أبو القاسم عبد العزيز العبلوسي (عاش فى العصر المريني) كان هو الآخر يقرىء الكتاب . ومنهم محمد بن عمر بن رشيد السبتي المحدث الكبير له تقييد على الكتاب (30) .

---

(21) توفى سنة 315 هـ .
(22) هو ابو الحسن علي بن عيسى المعتزلي من كبار النحاة له نحو مائة مصنف منها : (صنعة الاستدلال فى الاعتزال) فى سبعة مجلدات . توفي سنة 384 هـ .
(23) المتوفى سنة 316 هـ .
(24) المتوفى سنة 538 هـ .
(25) توفي سنة 646 هـ .
(26) المتوفى سنة 449 هـ .
(27) والترجمة التي قام بها ريان RYAHN برلين سنة 1894 وما بعدها) بريئة من الاخطاء راجع ج 12 ص 409 من دائرة المعارف الاسلامية .
(28) هو يوسف بن سليمان الشنتمري المعروف بالاعلم توفى سنة 476 هـ . راجع بغية الوعاة للسيوطي ، ص 422 هـ .
(29) المتوفى سنة 649 هـ .
(30) كما جاء فى جذوة الاقتباس وأزهار الرياض ج 2 ص 349 .

ومن الدارسين له ابو زيد عبد الرحمن بن صالح المكودي (31) الفاسي قالوا : انه آخر من درسه بفاس .

ولا عجب ان يدرس الكتاب بعد ابن زيد المكودي حيث الاقبال من علماء المغرب على العربية متواصل الحلقات ودراستها بكل ما ألفت به من مصنفات خاصة (الكتاب) والمغربي بطبيعته متطلع وشغوف بالبحث في اعلى ما كتب وحرر حول المعرفة ما بين وسائل ومقاصد على السواء .

وممن تصدوا لفتح اقفاله ، وكشف غوامضه العالم الرحالة ابن رشيد السبتي (32) فوضع عليه شرحا ان يكن دل على شيء فانما يدل على عناية المغاربة بالفن عامة وبكتاب الفارسي المبدع خاصة .

وقد اصبح من المأثور عندنا بالمغرب سواء في الاندية الادبية او غيرها من المجتمعات العامة اذ ما قرأ قارىء او تحدث متحدث وانحرف لسانه عن الجادة الا واخذت الالسنة في المناجاة بينها تتبادل الالم والاسف للاعتداء الواقع على قواعد سيبويه واسسها المحترمة .

وهذه الظاهرة هي الاخرى لتعطينا القيمة الكبيرة التي تمتع ويتمتع بها الفارسي المنعم طوال حياة الفن .

وبطبيعة هذا يسقط الاحن من الاعين ولو بلغ في غير المادة درجة الاختصاص في سواها من المواد العلمية .

وممن عنوا بالكتاب من ابناء الفردوس المفقود (الاندلس) ابو الحجاج يوسف بن عيسى (33) كتب عنه مقتصرا على شرح الشعر ونقد آرائه النحوية .

ومن هؤلاء : ابو الحسن علي الحضرمي المعروف بابن خروف الاشبيلي (34) له شرح على الكتاب ، ذلك ما جعله يحظى بالتبريز في الفن وان ضرب في غيره بسهم وبعد فراغه من شرح الكتاب حمله الى سلطان المغرب فأعطاه الف دينار ، ومنهم ابو العباس احمد بن مضاء اللخمي رحل من قرطبة الى اشبيلية حيث ابن الرماك فدرس عليه كتاب سيبويه تفهما .

وما هذه الالتفاتة الثقافية الكريمة ممن ذكر من رجال العدوتين – المغرب والاندلس – سوى رباط وثيق وصلة اخوية خلقتها الثقافة الحق وتخلقها بين ابناء الاسلام شرقا وغربا غير عابئة بمئات الاميال الشاحطة بين القارتين : الافريقية والاسيوية . فللاسلام طاقته الاشعاعية وجاذبيته الروحية منذ كان والى الآن ولا بدع ، فها هي ذي اللحظات التي نعيشها وعلى حياة شخصية الذكرى تجعلنا نؤمن بأن رباط الاسلام رباط خالد لا تنفصم عراه مدى الدهر حيث يعكس في نفس الوقت روح التضامن الحق دينا وتاريخا واتجاها .

تعرض المؤرخين واصحاب الطبقات لحياته :

لما لسيبويه من شهرة في عالم الثقافة وطيب الصيت في الوسط الاسلامي والعربي تناولت الاقلام حياته من جوانب عدة كانت في مجموعها تهدف وجهة واحدة ، وتضرب على وتر موحد ناقلة اقدامها على خطة مرسومة حتى لو قدر للقارىء ان يتصفحها جميعها لما ظفر بجديد في ثناياها الا نادرا ينفرد به البعض من المتحدثين عنه .

---

(31) نسبة الى بني مكود قبيلة قرب فاس العلمية من بيت علم له عدة مؤلفات : شرح الالفية والاجرومية وله منظومة سماها : « البسط والتعريف » في علم التصريف ، وله مقصورة في مدح الرسول عليه السلام وشرح على المقصورة والممدودة) لابن مالك ، ومنها نظم ذكر فيه ما عرب من الالفاظ العجمية ، توفي سنة 807 هـ . والسخاوي في الضوء اللامع جعلها سنة 801 والصحيح الاول . ودرسه بعض العلماء بالمغرب ايام السعديين.

(32) المتوفى سنة 721 هـ سبق التلميح اليه هو صاحب الرحلة المسماة : « ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة الى مكة وطيبة » ويعد في طليعة علماء المغرب في شتى ينابيع الثقافة الاسلامية ، الرحلة تحتوي ستة اجزاء مخطوطة يوجد بعضها بخزانة الاسكوريال باسبانيا وبعضها بخط المؤلف .

(33) المتوفى سنة 475 هـ .

(34) توفي سنة 592 هـ ولي قضاء فاس وغيرها فأحسن السيرة وعدل ، له كتاب (الرد على النحاة) نشره وحققه الدكتور شوقي ضيف .

على ان الباحث الفاحص لو انعم النظر لكثر لامكنه الوقوع على ابعد مما جالت فيه عشرات الاقلام حول الكتاب وكتابه ، وان رسمه البعض بالاطناب والحجج المملة المجهدة — فهو الكتاب الحافل بالآيات البينات والشواهد ذات الدعم للقواعد وقضاياها الهادفة بلورة اللسان وتعويد دارسيه على المنطق الصحيح والخلوص من عثرات اللحن والتحريف البغيضين ، وحتى ان وجد ما يقتضي النقد فليس عيبا يلصق بالشاب الفارسي ، والرائد الاول ، والآية الكبرى في الفن الذي اصبح من أجله يمتطي قمته عن جدارة خولته (دون غيره) الامامة .

وكتدليل على السمو الذي فاز به صاحب الذكرى — ان امير المومنين في النحو ابا حيان الجياني صاحب البحر والنهر — دار بينه وبين شيخ الاسلام ابي العباس بن تيمية كلام اندرج أثناءه سيبويه فاغلظ ابن تيمية القول فيه ، وعن كثب نافره ابو حيان وقطعه ، وصير ذلك ذنبا لا يغفر ، وعندما سئل امير الفن عن السبب ؟ قال : ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام سيبويه ؟ فقال : ما كان سيبويه (نبي النحو ولا كان معصوما) بل اخطأ في الكتاب في ثمانين موضعا ما تفهمها انت ، فكان ذلك سبب مقاطعته اياه وذكره في تفسيره البحر ومختصره النهر بكل سوء .

وبعد هذا كله فلا عار ان يوجد في الانتاج والتصنيف ما ينتقد فالكمال لله .

الرباط : عبد الله الجراري

مراجع البحث

ابن النديم
الفهرست ص 76

الخطيب البغدادي :
تاريخ بغداد ج 12 ص 195

مراتب النحويين :
للطلبي ص 65 بتحقيق وتعليق ابي الفضل ابراهيم

ابو سعيد السيرافي :
نشر وتهذيب فريتس كرنكو ص 48

ابن مضاء القرطبي :
كتاب الرد على النحاة نشر وتحقيق الدكتور شوقي ضيف

يقوت الحموي :
مجمع الادباء ج 16 ص 115 وما بعدها

ابن خلكان :
وفيات الاعيان ج 1 ص 487

ابن خلدون :
المقدمة

السيوطي :
بغية الوعاة

ابن الابار :
الجزآن الاول والثاني لكتاب التكملة

الفيروزابادي :
في مادتي (ز ، م ، خ ، ش ، ر ،) (أ ، س ، د)

السيوطي :
بغية الوعاة ص 366

الامير :
على مغني اللبيب

فريد وجدي :
دائرة المعارف ج 3 ص 343

عبد الحي الكتاني :
التراتيب الادارية ج 1 ص 41

لمؤلفيها :
دائرة المعارف الاسلامية ج 12

خير الدين الزركلي :
قاموس الاعلام ج 5 ص 252

لابي البركات عبد الرحمن الانباري (1) :
الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين — البصريين والكوفيين

ولمحمد محيي الدين عبد الحميد :
الانتصاف من الانصاف .

---

(1) ولد سنة : 513 هـ وتوفي : 577 هـ



● نظمت كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط ندوة كبرى عن المؤرخ العربي الاسلامي الكبير عبد الرحمن ابن خلـدون تخليدا لمرور 600 سنة على تأليف مقدمته الشهيرة ، شارك فيها عدد من المحاضرين من الوطن العربي وأوروبا .

وقد استقطبت هذه الندوة اهتمام طلبة الجامعة والمثقفين وجمهور عريض من المواطنين ، وكان لها الفضل فى اثارة الاهتمام الجاد بالتراث العربي الاسلامي من خلال مراجعة « المقدمة » ودراستها من جديد وقراءتها على ضوء تطور العلوم الاجتماعية الحديثة .

وفيما يلي قائمة بأسماء الاساتذة المشاركين فى هذه الندوة مع عناوين محاضراتهم . وبالمناسبة نلح على نشر جميع هذه المحاضرات بالعربية والفرنسية فى وقت قريب ، كما يجب نشر محاضرات ندوة ابن رشد التي نظمتها نفس الكلية فى السنة الماضية .

- الاستاذ محمد اركون (جامعة باريز الثالثة) :
  (نحن وابن خلدون) .
- الاستاذ دومينيك شوفالي (جامعة باريز الرابعة) :
  (ابن خلدون والتحليلات المعاصرة للتاريخ الاجتماعي للبلاد العربية)
- الاستاذ جاك لانغاد (جامعة بوردو الثالثة) :
  (فلسفة اللغة لابن خلدون)
- الاستاذ طه عبد الرحمن (كلية الآداب بالرباط) :
  (عن الاستدلال فى النص الخلدوني)
- الدكتور محمد عابد الجابري (كلية الآداب بالرباط) :
  (أبستيمولوجيا المعقول واللامعقول فى مقدمة ابن خلدون)
- الاستاذ ميكل كوزهيرنا نديز (الجامعة المستقلة بمدريد) :
  (تكوين ابن خلدون الفلسفي وحدود وضعيته التاريخية)
- الدكتور عبد الرحمن بدو(كلية الآداب بجامعة الكويت) :
  (ابن خلدون ومصادره اللاتينية)
- الاستاذ مبارك رجالة (المركز الوطني للبحث العلمي ـ باريز) :
  (مخطوط جديد من النسخة التونسية للمقدمة)

- الدكتـــور محمد بنشريفـــة (كليـــة الآداب بوجـــــدة) :
(ابن تاويت الطنجي محققا لاعمال ابن خلدون)
- الاستـــاذ السيد محمد بـــدوي (كليـــة الآداب بفـــاس) :
(المورفولوجيا الاجتماعية واسسها المنهجية عند ابن خلدون)
- الاستـــاذ شارل ليمانويل دوفـــورك (جامعـــة باريز نانتيـــر) :
(اتجاه اوروبا الغربية نحو المغـــرب من عهـــد ابن خلـــدون)
- الدكتـــور عبد الله العروسي (كليـــة الآداب بالربـــاط) :
(ابن خلـــــدون وميكافيلـــــي)
- الاستـــاذ محمد الطالبي (كلية الآداب بالجامعـــة التونسيـــة))
(نظرية النشوء والارتقاء : جذورها فى التفكير الاسلامي واثرهـــا فى مقدمـــة ابن خلـــدون)
- الاستـــاذ نبيـــل الشهابـــي (كليـــــة الآداب بالربـــــاط) :
(تاريـــخ المعـــارف والصنائـــع فى المقدمـــة)
- الاستـــاذ عبـــد المجيـــد التركي (جامعة باريز 4 الســربون) :
(ابن خلـــدون المـــؤرخ والعلـــوم الدينيـــة)
- الدكتـــور محمد زنيبـــر (كليـــة الآداب بالربـــاط :
(الصناعة فى المجتمع الاسلامي كما يراها ابن خلدون)
- الاستـــاذ هنري لاوســـت (كوليـــج دو فـــرانس بباريـــز) :
(الفكـــر السياســـي عنـــد أن خلـــــدون)
- الدكتـــور عليـــي أومليـــل (كليـــة الآداب بالربـــاط) :
(فكـــر ابن خلـــدون والتجـــاوز الممكـــن)
- الاستـــاذ محمـــد القبلـــــي (كليـــة الآداب بالربـــاط) :
(ما لـــم يـــرد فى كتابـــات ابن خلـــدون)
- الاستـــاذ احمد التوفيـــق (كليـــــة الآداب بالربـــاط) :
(المقدمـــــة دليـــــلا للمـــــؤرخ)
- الدكتور عبد الهادي التازي (المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط):
(ابـــن خلـــــــدون سفيـــــــرا)
- الاستاذ بنسالم حميش (كلية الآداب بالرباط) :
(ابن خلـــدون وتجربـــة التاريـــخ المسدود)
- الاستـــاذ محمد المنونـــي (الخزانـــة الملكيـــة بالربـــاط) :
(تأثير المقدمـــة الخلدونية فى بعـــض المؤلفيـــن العـــرب)
- الدكتـــور محمد عزيـــز الحبابـــي (كليـــة الاداب بالرباط) :
التعقيـــــب على النـــــدوة .

حول المؤتمر الإسلامي الخاص برؤية الهلال

للأستاذ محمد بن عبد الرازق

شارك الاستاذ السيد محمد بن عبد الرازق في المؤتمر الاسلامي الخاص بتحديد الرؤية الشرعية المنعقد في نوفمبر 1978 باسطانبول . وذلك رفقة الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله .

وقد وافانا الاستاذ ابن عبد الرازق بكلمة تعقيب على القرارات الصادرة عن المؤتمر :

عقد مؤتمر اسلامي في استانبول بتاريخ 26 ذي الحجة 1398 موافق 27 نونبر 1978 لتحديد شهر رمضان والاعياد ، ولمعالجة ما يقع في ثبوت رؤية الهلال من الاختلاف والاضطراب ، ولكن بالاسف كانت هناك عناصر لا تدعو الا لجعل الحساب أساسا في اثبات أوائل الشهور والى توحيدها في جميع العالم والى اصدار تقويم موحد يبني عليه جميع اهل الارض ، فصدرت قرارات ينافي بعضها بعضا كما تتنافى مع النصوص الشرعية والقواعد الفلكية الصحيحة :

1) بما أنه في القرار الاول (الاصل هو رؤية الهلال) وبما أن رؤيته هي النظر اليه بواسطة العين كما يفهم من قوله في القرار الثاني (بحيث يمكن أن يرى بالعين عند انتفاء الموانع) فاعتماد الحساب في ثبوت الشهر هو مخالف للاصل ، وعليه فلا ينبغي اعتماده في ثبوت الشهر ، كما لا ينبغي اعتماد القرارات المبنية عليه .

2) بما أن رؤية الهلال بالعين هي الاصل في اثبات أوائل الشهور القمرية حسب القرار الاول والثاني ، وبما أن هذه الرؤية هي مما تختلف باختلاف الافاق كوقتي الامساك والافطار ، واوقات الصلاة فالقرار الرابع الذي فيه (لا يشترط لامكان رؤية الهلال مكان خاص ، بل يصح الحكم بدخول الشهر اذا امكنت رؤيته من مكان ما من سطح الارض الخ..) ، هو قرار مناف للاوضاع الفلكية والنصوص الشرعية ، اذ كيف يجب الصوم أو الفطر على قوم والحال ان الرؤية التي هي الاصل في وجوب الصوم والفطر

ممتنعة فى افقهم . على انه اذا قلنا : يجب تعميم حكم الرؤية فى أى بقعة من الارض فقد لا ياتي اليوم الثامن والعشرون من الرؤية فى تلك البقعة ، حتى يظهر الهلال فى بقعة اخرى من الارض ، فيؤدي الى ان يكون الشهر القمري من ثمانية وعشرين يوما ، مع ان الشهر لا ينقص عن تسعة وعشرين ، ولا يزيد على ثلاثين بالاجماع وعليه فهذا القرار الرابع والقرارات المبنية عليه ، لا ينبغي اعتمادها اصلا ، بل لا بد من اعتبار اختلاف المطالع حسب ما قاله علماؤنا ، ومنهم ابن عبد الحكم الذي قال : لا يجوز النقل ولا يلزم ، وذلك فيما بعد جدا ، حيث يمكن أن يراه قوم ، ولا يراه آخرون . . . هـ .

3) القرار الثالث الذي فيه انه يمكن رؤية الهلال بالعين المجردة فى الاحوال العادية اذا كان البعد بين الشمس والقمر سبع أو ثماني درجات وارتفاعه عن الافق عند غروب الشمس خمس درجات، هو من القرارات المردودة ، التي لا تتفق مع المشاهدة والواقع ، كما لا تتفق مع ما اسسه علماء الفلك المقتدى بهم سلفا وخلفا ، ويكفي فى عدم صحته قول البتاني فى زيجه : قدماء اليونان ما تكلموا فى رؤية الهلال الا بالقول المطلق ، وهو انه لا تمكن رؤيته لاقل من يوم وليلة ، واذا تقصيت اسباب الرؤية ، وجد هذا القول هو الاصل الذي يعمل عليه . . هـ .

وقد قال لالند : « البتاني أحد الفلكيين العشرين الذين ظهروا فى العالم كله » .

ومن المعلوم أن القمر يبتعد عن الشمس فى يوم وليلة بقدر 12 درجة و 11 دقيقة و 27 ثانية بحركة الوسط ، وكذلك قول ابن البناء فى منهاجه : « فان كان القمر فى البروج الطويلة المغارب وكان البعد بين النيرين بدرج السواء أكثر من 15 درجة فان الهلال يرى ، وان كان البعد اقل من تسع درجات فانه لا يرى ، وان كان القمر فى البروج القصيرة المغارب وكان البعد بين النيرين بدرج السواء أكثر من 24 درجة يرى ، وان كان البعد اقل من عشر درجات فانه لا يرى ، وان كان بخلاف ذلك ، فان الرؤية ممكنة » هـ

والبروج الطويلة المغارب من أول الجدى الى آخر الجوزاء ، والقصيرة المغارب من أول السرطان الى آخر القوس .

وعليه فكيف يصح الحكم بامكان الرؤية بالعين اذا كان البعد بين النيرين ما بين سبع وثماني درج ، ثم يقال : وانما اتفق على الاخذ بمثان درجات على سبيل الاحتياط ، ما هذا من قبيل المحال ، ومن مخالفة ما اسسه علماء الفلك بأرصادهم المتوالية فى السنين الطويلة .

ومما يبطل تحديد ارتفاع الهلال وقت الغروب بخمس درجات قول ابن الشاطر فى زيجه الكبير : (تنبيه) حد ارتفاع الهلال يختلف باختلاف نور الهلال فان الهلال الذي نوره ثلثا اصبع يجب ان يكون ارتفاعه 10 درجات ، والهلال الذي فيه من النور اصبع يجب أن يكون ارتفاعه 8 درجات ، فحد الارتفاع يختلف زيادة نور الهلال ونقصانه هـ .

4) اذا بطل هذا القرار الثالث ، بطل القرار الخامس الذي فيه يجب وضع تقويم فلكي لكل سنة قمرية من قبل علماء الشريعة والفلك والمراصد ، استنادا الى المقاييس السابق ذكرها فى القرارات الثاني والثالث والرابع ، الخ . وكذلك القرار السابع الذي فيه تقوم اللجنة المشار اليها اعلاه باعداد خرائط توضح عليها المناطق التي يمكن أن يرى فيها الهلا لحسب المقاييس المبينة أعلاه وذلك بالنسبة الى شهر رمضان وشوال وذي الحجة ، الخ . . .

5) هذه القرارات رغم ما فيها من التناقضات فالمقصود منها هو البناء على تقويم قمري مبني على كون البعد بين النيرين سبع أو ثماني درجات ، وارتفاع القمر وقت الغروب خمس درج من مكان ما من سطح الارض ويطبق ذلك على جميع انحاء العالم ، ويقع الاعلان بذلك بواسطة المرصد الفلكي بمكة المكرمة ، وقد علمت ان هذا شيء تاباه النصوص الشرعية والقواعد الفلكية، كما تأباه المشاهدة والواقع ، وعليه فلا ينبغي اعتبار ذلك ، ولا الالتفات اليه ، لانه من الخروج عن الجادة التي ليلها كنهارها . والله الموفق .

مراكش : محمد ابن عبد الرازق

تاج المفرق
في تحلية علماء المشرق

تأليف : العلامة البلوى
تحقيق : الاستاذ الحسن السائح
عرض وتقديم : الاستاذ زين العابدين الكتاني

« ... وان التجربة التي تنجزها وزارة الاوقاف ، ثم وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، واللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الامارات العربية المتحدة في مجـال التحقيـق والنشر ليست بالتجربة العادية ، سواء من حيث هي تجربة رائدة ، أو من حيث العطاء : العطاء العلمـي الانساني المتميز بأهميتـه الخاصـة ، وباستهدافه لعدة مرامي ابرزها التعريف بالفكر العلمي المغربي في مختلف مراحله ، وشتى صوره ، كما انه من ناحية لا باس بها باستثنـاء التعريف به على اوسع نطاق : الى آخر ما ورد في رسالة سبق لي أن بعثت بها الى الداعية الاسلامي الكبير السيد علي عيسى من التايلاند رداً على استفساره حول الكتاب المغربي ، والاسلامي منه بصفة خاصة ... »

وفي هذا الصدد ساحاول التعريف باحد المنشورات واتمنـى ان اواصل ذلك استقبالا بحول الله .

صدر اخيرا عن وزارة الاوقـاف والشـؤون الاسلامية في نطاق « **اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولـة الامارات العربية المتحدة** » الجزء الاول والثاني مـن رحلة البلوي المسماة (**تاج المفرق في تحلية علمـاء المشرق**) بمقدمة وتحقيق الاستاذ السيد حسـن السائح ، تشتمل على 138 صفحة تناولت عدة جوانب علمية سلكها المحقق في تهيىء الاطار العام لهـذه الرحلة من عدة جوانب ، خصوصا بالنسبة للمدرسة المغربية ، وعناية المغاربة بهذا الفن ، واتصالها بعلم الجغرافية ، كما تميز التقديم بجزء خاص بمعجـم اسماء المدن التي زارها صاحب الرحلة ، وجزء آخر يهتم بالوثائق العلمية ، التي اعتمد عليهـا العلامـة البلوي في رحلته ، وتشير الى عدة كتـب وشروح واجازات وفهارس واسانيد ودواويـن وقصائـد واراجيز وتخريجات وأمالي ومختصرات مما يشير الى المامه الواسع وتضلعه في ثقافة عصره ، واطلاعه على المصادر والمضامن المعروفة في وقته .

والكتاب الجديد من الحجم الكبير ، يقع 138 صفحة ـ كما سبق ـ فى جزئه الاول و 254 فى الجزء الثاني ، طبع على ورق ممتاز ، فى اخراج علمي ، معزز بعدد من الخرائط والخطوط البيانية ، والجداول مما يشد القارىء الى قراءة الرحلة ، ويزيد فى اشتياقه الى مواصلة وتقليب فصولها ، ومنهج التحقيق الذي سلكه الاستاذ السائح الذي تحدث فى مقدمته عن العوامل والدوافع التي دفعت بالمغاربة ، كما دفعت بالاندلسيين الى الاهتمام بموضوع الرحلات واشتهارهم بها ، ويرى ان مرد ذلك يرجع فى الاساس لبعدهم عن مكة المكرمة ، ورغبتهم لاداء فريضة الحج ، والتطلع الى مراكز الثقافة الاسلامية ، وان من أبرز كتب الرحلات المشهورة فى الادب العربي ، رحلة البلوي هذه التي نحن بصدد الحديث عنها ، خصوصا وهي تؤلف حلقة من سلسلة الرحلات التي عرف بها المغاربة والاندلسيين منذ فجر التاريخ الاسلامي ، وليست هذه الرحلة اقل شأنا فى جوانبها الجغرافية والتاريخية والادبية والاجتماعية من رحلات : ابن رشد ، وابن بطوطة ، والعبدري ، والعياشي وغيرهم ، بل هي فى بعض جوانبها من أقوى الرحلات لان مؤلفها كتبها اثناء رحلته الى المشرق فوصف ما شاهد من الاقطار ، وتحدث عمن اتصل بهم من الرجال ، وقيد مذكراته ، وكتب مؤلفه هذا أثناء رحلته هذه ، فلما عاد الى الاندلس نقحها واطلع عليها رجال الفكر والثقافة ، ومن غريب الصدف أن يكون البلوي رحل فى السنوات التي رحل فيها ابن بطوطة (1) حيث كان ابن بطوطة بغرناطة عندما كان المؤلف بلشبونة ، واذا كان ابن بطوطة لم يكتب رحلته أثناء رحلته ، وانما سجل ملاحظات ضاعت له فى سفره ثم املى رحلته على ابن جزي من ذاكرته ، فان البلوي كتب رحلته بدقة متناهية ، وبذلك فقد جنبنا بعض الاغلاط التي وقع فيها ابن بطوطة ، ونستطيع بهذه الرحلة ان نمحص اقوال ابن بطوطة وما ذكره عن رجال العلم والتصوف الذين اتصل بهم اثناء سفره ، وهكذا تعتبر رحلة البلوي محكا صادقا لرحلة ابن بطوطة .

البلوي صورة للوحدة ...

ومن جهة اخرى فالكاتب يعطي ايضا صورة لصناعة النثر الاندلسي وتطوره فى القرن الثامن فنجد للمؤلف اسلوبه الذي ينم عنه ، وهو اسلوب يعتمد على الطريقة الفاضلية فى الشكل ، واداء المعنى بأسلوب مزخرف ، وتكرار الجملة عنده لا يستوجبه السجع ، وانما يستوجبه الشرح والبيان ، وهو بالاضافة الى اسلوب ابن الخطيب المشرق ، وأسلوب ابن خلدون المحكم يعتبر أسلوبا له ذاتيته ومكانته ، فى حين اضاف البلوي الى هذه الناحية وصف الحياة الاجتماعية وهو يتعرض لتجربته الخاصة ، واتصالاته برجال الفكر ، والرواية عنهم ...

وصاحب الرحلة من كتاب القرن الثامن الهجري، وهو ابو البقاء خالد ابن عيسى البلوي القنتوري (2) ولد بقتورية من أعمال المرية بالاندلس ، حوالي (سنة 713 هـ ـ 1313 م) وتوفي سنة (780 هـ ـ 1378 م) وتلقى تعليمه اولا بالمغرب وبالضبط بفاس، واتمه بالمشرق حيث اصبح بعد ذلك من ابرز رجال الفقه والادب بالاندلس وتولى القضاء بها كما اشتغل بالعلم والتاليف وخلف ثورة علمية مهمة ، منها ما تم الوصول اليها ، ومنها ما يجري التنقيب عنها حتى الآن ، وقد كتب عنه واشار اليه عدد كبير من الباحثين ، والاعلام بالاكبار والاعجاب مما لا يتسع المجال الى التعرض اليه فى هذا الحديث .

* * *

أما الرحلة فتبتدىء بمقدمة ، وبعدها سرد عن خروج البلوي من قتورية الى المرية حيث ركب (غراب دار الصنعة) يوم الاحد 7 جمادى الاولى سنة (735 هـ ـ 1334 م) فوصل هنين وتلمسان والجزائر فبجاية فقسطنطينة فالعناب فبونة ، ثم تونس ، ثم انتقل الى قوصرة ومالطة وقبرص والاسكندرية فالقاهرة ومنها الى مدينة عنزة فالخليل فبيت المقدس ، فالكرك فتبوك ، فالعلاء فهدية فوادي ام القرى الى (المدينة المنورة) ثم خرج البلوي من المدينة فى 23 ذي القعد الى (ذي الحليفة) (فوادي

---

(1) خرج من مدينة طنجة يوم الخميس 2 رجب الفرد عام 725 هـ / 1324 م .

(2) من اصل قبيلة عربية تنحدر من اليمن .

الصفراء) فرابغ ، فخليص ، فبطن مر ، الى مكة التي دخلها فى 5 ذي الحجة عام 737 هـ ، ثم قفل راجعا الى وادي العتيق فالمدينة فى 23 ذي الحجة عام 737 هـ ، فالينبوع ، فعقبة ايليه ، وصل اليها فى 16 محرم عام 738 هـ ، ثم واصل السير الى القدس ، فالرملة ، فغضة ، عسقلان ، فقاطية ، فمصر ، ففوة ، فالاسكندرية ، فالعماري . وامتحن فى دشار الغماري التي بلغها مع اخيه محمد فى ربيع الاول 738 هـ ثم رجع الى الاسكندرية وغادرها فى اول شوال سنة 738هـ مارا بطبرق وتونس ، (سنة 740 هـ) وباجة والعناب وقسطنطينية ، وبجاية ، وجبل الزاب ، والجزائر وتلمسان وهنين ، حيث ركب منها قرقورة الى (المرية) ومنها الى مجاقر بضفتي نهر وادي المنصورة، واخيرا بلغ القتورية ولكنه لم يكد يستقر فى بلدته حتى اخذ يطوف بالمدن المجاورة لبلده حيث قرض رحلته هذه بعض علماء المرية وغرناطة كما نرى فى آخر الرحلة .

وكانت رحلة البلوري الى المشرق جميلة وممتعة ، (استفاد منها وافاد ، وتبادل الانشاد) فكان محترما اينما حل وارتحل ، بل لقد شغل فى تونس وظيفة سلطانية سامية ، حيث استكتبه ابو يحيى ابو بكر ابن زكرياء الحفصي ، ولكنه حن الى بلده فقدم استقالته معتذرا ، كما عرف البلوي فى رحلته عدة محن ، منها محنته عند عودته الى المغرب ، بعد خروجه من الاسكندرية حيث تآمر عليه صاحب المركب ، ففر تاركا ابا البقاء واخاه فى العراء فتكبدا شقاء مريرا وجوعا مؤلما حتى رجعا الى الاسكندرية، ومنها محنته بعد خروجه من بجاية التي كانت تحت امرة ابي زكرياء يحيى ابن ابي بكر حيث اعترضت قافلتهم عربان جبل الزاب ، فوقعت معركة انهزم فيها اعداؤهم ، وسلم الله ابا البقاء ...

وعكف المؤلف بعد عودته على مراجعة رحلته التي وضعها أثناء حجه (3) واضاف اليها تقريظ العلماء والادباء الذين اطلعوا عليها ، ثم اخرجها حفيده خالد بن احمد بن خالد المؤلف بعد ان انتسخها من مبيضة جده وأتمها ببرشانة فى الحادي والعشرين من شهر صفر سنة (819 هـ ـ 1416 م) .

عصر من المع عصور الاسلام :

كذلك تشير فى هذا العرض الى جانب آخر له اهميته فى هذه الرحلة هو اتصالات صاحب الرحلة ، حيث يذكر انه اتصل فى رحلته بالامراء والرؤساء الذين كانوا يعملون على توحيد العالم الاسلامي ليواجهوا الضغط المسيحي ، لذلك انتشر فى عهدهم الامن ، وتحسنت المواصلات ، وتقارب العلماء ، فاستقصى البلوي فى الاندلس فى عهد السلطان امير المسلمين ابى الحجاج يوسف ابن امير المسلمين الشهيد ابي الوليد ابن نصر ، وقبل ذلك استكتبه السلطان ابو يحيى ابو بكر امير المؤمنين زكرياء بن ابي محمد بن عبد الواحد بن حفص ، فتقلد الكتابة فى بلاطه (4) بتلمسان التي احتضنته ، ثم انتقل الى مصر سنة (736 هـ ـ 1335 م) فاقام بها مدة طويلة ، رحالة متجولا ، ويعتبر هذا العصر من المع العصور الاسلامية شاهدت فيه الاندلس فى عهد بني مرين مجدها ، وعرف المغرب فى عهد بني مرين عهودا ثقافية يانعة ، كما عرفت القاهرة والشام فى عهد الناصر بن قلاوون امنا وتقدما علميا وادبيا ، وتلك ابرز ما لاحظته هذه الرحلة من انطباعات .

* * *

وبعد ، فان رحلة البلوي عمل له اهميته العلمية فى شتى الجوانب التي لا يتسع المقام لعرضها ، كما لا يتسع المقام للاشارة لنوع من التقصير فى التصحيح الدقيق والوضوح مما ظل يميز المدرسة العلمية

(3) اكملها ببرشا (ببرشانة بوادي المنصورة) فى اليوم الاخير من شهر ربيع الاول عام 767 هـ ـ 1365م
(4) كانت تلمسان فى عهده تحت حكم المرينيين حيث كانت محلة السلطان ابي الحسن بن ابي سعيد ابن ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني .

المغربية (مما تداركه المحقق في الجزء الثانـــي) خصوصا وأن هذه الرحلة تعتبر ايضا رحلة ادبية لما في أسلوبها من نثر محكم ، وتعبير بليغ ، وترجمـــة الاعلام الذين اتصل بهم المؤلف ، واخذ عنهم ، وذكر الكتب العلمية والدواوين الشعرية الذائعة في عصره ، بل يعتبرها كثير من رجالات الرحلات والمؤرخيـــن والمترجمين نموذجا يحتذى ، لذلك فلا بدع ان نرى رحلة البلوي مرجعا هاما عند علماء التراجم ، وكتاب الرحلات ، وان نراهم جميعا يذكرونها ، وينقلون عنها في ثقة وتقدير لمؤلفها .

وتهانئنا لمحقق الرحلة الاستاذ الحسن السائح على عمله العلمي هذا وللوزارة التي اختارتها للطبـــع ضمن سلسلة التراث .

ســلا : زين العابدين الكتاني

مؤلفات الكاتب احمد عبد السلام البقالي

● في الدراسة النقدية التي نشرتها « دعوة الحق » للاستاذ احمد تسوكي عن ديوان الشاعر الاستاذ احمد عبد السلام البقالي « ايامنـــا الخضراء » وردت اسماء مؤلفاته ناقصة . وفيما يلي القائمـــة الكاملـــة لمؤلفـــات الكـــاتب :

— قصص من المغرب — القاهرة 1957 .
— الفجر الكاذب — بيروت 1966 .
— يـــد المحبـــة — الرباط 1974 .
— الطوفان الازرق — تونس 1976 .
— المـــوميـــــــــاء — تونس 1976 .
— ايامنا الخضراء (شعر) — الرباط 1976 .
— مولاي ادريس (مسرحية) — الرباط 1977 .
— الفنـــف الشـــوري — تونس 1978 .
— اماندا وبعدها الموت — الرباط 1979 .

تحـــت الطبـــــــع :

— الحـــــب القاتـــــل — تـــونـــس ●

أهمية الأحداث التاريخية في توجيه الريادة الوطنية

للأستاذ محمد حمادي العزيز

يعتبر درس الاحداث التاريخية . وبخاصة الحاسمة والمصيرية منها ، بمثابة تذكير بالمغازي الجليلة التي تتضمنها توخيا للاستفادة منها في مراجعة المفاهيم الريادية ، وتجديدها واعادة توجيهها في خط سير قيادي تم اختياره بعد تقدير سليم للظروف ، والاوضاع ، والمواقف والعلاقات ، والمعاملات ، والنتائج ، والملابسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية السائدة في فترة خاصة من الزمان لتلافي العودة الى الوقوع في الاخطاء التي كانت سببا في حدوثها .

وتقع الاحداث التاريخية نتيجة أسباب سابقة ترجع الى بعيد او الى قريب في الماضي ، وقد ترتبط بحوافز معنوية او نفسية (ذاتية او كيانية) خفية كما قد ترتبط بدوافع سياسية واقتصادية واجتماعية وحضارية خفية وظاهرة في ان واحد تستمد جذورها من الماضي او من الحاضر مستهدفة تحقيق غايات واهداف معينة محددة في الحاضر او في المستقبل لتغدو واقعا حقيقيا ملموسا لغايات واهداف تم بلوغها وتحقيقها .

ومن مجموع الاحداث التاريخية المتسلسلة المتلاحقة المتواصلة يتكون التراث التاريخي الوطني الذي يعد بحق مادة وطنية سياسية استراتيجية ثقافية حضارية انسانية اجتماعية مهمة جدا في التكوين التأطيري المعنوي والنفسي للانسان المواطن، وتوجيه شخصيته ، وتأكيد ذاتيته ، وتدعيم ثقته بنفسه ينبغي دراستها باهتمام للاستفادة من نتائجها اولا في تفسير الاحداث التاريخية نفسها وشرح وقائعها ، وفهم ترابطها وتداخلها واستنتاج ابعادها ومراميها ، وثانيا في فهم توجيهات الريادة الوطنية واهدافها ومقاصدها في كل مرحلة من المراحل وتحديدها ، وثالثا في تدعيم « الوطنية » أو حب الوطن عند الانسان المواطن بالامجاد العظيمة التي تخلدها ملاحمها وتنوه بها .

ان الاعتزاز بالامجاد الخالدة ضروري جدا بالنسبة للاعتزاز بالمواطنة ، ولتغذية الانسان المواطن بالروح الوطنية التي تجعل منه مواطنا وطنيا حقا .

ولا ريب فان الغاية الاولى التي يجب ان تتوخاها الريادة الوطنية هي ان تجعل كل مواطن مواطنا وطنيا، وتدمجه في اطارات توجيهاتها الهادفة الى السيطرة على احداث كل يوم في الحاضر وضبطها لتعتمد عليه اعتمادا كليا في انجازها .

ولتأكيد هذا يكفي التذكير بالقول المشهور : « الانسان ابن بيئته » لان البيئة تؤثر تأثيرا كبيرا

وعميقا في تأطير الانسان ، وفي طبع شخصيته بمميزتها وخصائصها التراثية والجغرافية .

والوطن ، دونما شك ، بيئة سياسية اجتماعية كبيرة ، والانسان المواطن ابن وطنه وابن بيئته الوطنية ، وثمرة ثقافية وتربوية من ثمار تراثها الوطني التاريخي والحضاري .

ومن اراد ان يفهم شخصية الانسان المواطن وينفذ الى اعماقها فليدرس التراث التاريخي لوطنه ، ففي ضوئه يستطيع ان يجد المعالم الاولى الاساسية الموجهة لمعنوياته واصول ذاتيته .

ان بعض الاحداث التاريخية ، المصيرية الحاسمة ، يقع نتيجة تصارع التراثات التاريخية وهو ما يؤكد ، بمعنى آخر ، تصارع العوامل الذاتية والكيانية الفردية والجماعية (المعنوية والنفسية) للمتصارعين التي تطورت تطورات خفية وظاهرة حتى تبلورت في شكل غايات واهداف تجسد مطامح سياسية او اقتصادية او اجتماعية او هيمنات تسلطية للاحراز على نفوذ مؤثر واسع .

ويعد الاصطدام القتالي الذي يطبع التصارع بطابع مأساوي عنيف عاملا معنويا ونفسيا ذا اهمية عظيمة الخطورة لانه يؤثر تأثيرا عميقا في تأكيد واقعه تأكيدا عقليا خفيا وظاهرا ، ويصبح بعد مرور الزمان سببا خفيا معنويا ونفسيا يبث حفزا شعوريا حينا ولا شعوريا حينا آخر ، ايجابيا فعالا يذكر بالاحداث التاريخية التي واكبت الاصطدام القتالي ، وترتبت عنه كمضاعفات او نتائج .

وهذا البث الحافز الشعوري واللا شعوري مهم وخطير ، ويجب ان يأخذ نصيبا وافرا من بحث الباحثين ودرس الدارسين .

وهنا تبدو اهمية تقدير العامل المعنوي والنفسي للاحداث التاريخية التقدير اللائق واجبا ضروريا اكيدا جدا لتأثيراته الايجابية الخفية والظاهرة التي يمارسها تلقائيا شعوريا ولا شعوريا على التوجيه الريادي للمسار القيادي في كل فترة زمانية .

وتتجلى اهميته — اى العامل المعنوي النفسي — في كونه يقيم حدودا معنوية ونفسية في اعماق الانسان المواطن يصعب اجتيازها ، وهذه الحدود المعنوية والنفسية القائمة في اعماق الانسان المواطن اذا تم تدعيمها بوطنية واعية ايجابية فانها تزيد في مناعة السيادة الوطنية وتحصينها .

وتتكون الاحداث التاريخية من الاسباب التي ادت الى وقوعها ، ومن سير وقائعها ، ومن الاثار والنتائج التي ترتبت عليها .

فقد يحدث بعضها في اطار تصفية حساب تاريخي سابق كرد ثأر ، او انتقام ، او عقاب لاسباب او قضايا معينة ، او في اطار اعادة تقييم العلاقات التعاملية والتعاقدية تقييما جديدا والتمهيد لتوجيهها وجهة جديدة وفق نظام معين يؤكد ذاتية الكيان الوطني ، وقد يحدث في اطار الدفاع الوقائي عن السيادة الوطنية ، كما قد يحدث في اطار تحقيق رغبة في العظمة والحصول على نفوذ ممتاز .

وليست الاسباب الظاهرة (العقلية او المنطقية المباشرة المقصودة) الا اسبابا تابعة للاسباب الخفية (المعنوية والنفسية) وناتجة عنها .

وبالدرس التحليلي للاسباب التي تؤدي الى وقوع الاحداث التاريخية تتأكد اهمية العامل المعنوي النفسي خفيا كان أو خفيا ظاهرا ، وهي اهمية جديرة بأن تنال حظها الوافر من الاعتبار لخطورتها في التأثير على توجيه العلاقات التعاملية والتعاقدية توجيها خاصا ، وبالتالي على اعادة النظر في مفاهيم الريادة الوطنية وما قد يطرا ، او يجب ان يطرا ، على مسارها من تعديل وتبديل .

ان انتهاء الاحداث التاريخية سواء بالنصر ، او بالهزيمة ، او بلا نصر ولا هزيمة ، اى بنتيجة لا غالب ولا مغلوب ، او بتجميدها ، لا يعني زوالها من وجود الوطن ، ولا اختفاءها من حياته فهي باندراجها في التراث التاريخي الوطني تكتسب صفة الخلود ، وتتسم بحيوتها الدائمة وكذلك الشأن بالنسبة للعامل المعنوي النفسي فانه لا يعرف زوالا ولا توقفا في حفزه التذكيري رغم الصفاء والهدوء .

وكثيرا ما تكون بعض الانتهاءات نقط انطلاق لبدايات أحداث جديدة فى صور جديدة .

والتاريخ لا يعرف انتهاء ، ولا نسيانا ، ولا يغفل ، وما لا يستطيع كشفه فى فترة من زمان يتوصل الى كشفه فى فترة او فى فترات اخرى ، وله صيغه المتجددة التي تفسر احداثه تفسيرات تلائم روح كل عصر .

هذا معلوم جدا ، ولكن المهم هو ان الانسان المواطن الذي يصنع الاحداث التاريخية ويسهم فى سير وقائعها بكل جهوده ، وبروحه ودمه ، وعرقه ، وتعبه ، وحريته ، وقلقه ، ومعاناته واموالـه ، وتضحياته الاخرى ينبغي أن يستفيد منها ، فى جملة استفاداته ، فى اعادة توجيه المفاهيم الريادية ليتمكن على ضوئها من تلافي وقوع احداث مماثلة للاحداث الماضية او للاخطاء التي جرت أثناءها ، بأي شكل من الاشكال ، وتأمين مسار سليم لتطورات احداث التاريخ الوطني المعاصر فى كل يوم من حاضره طبقا لحسابات وتقديرات منطقية واقعية واضحة مضبوطة وصريحة لا تأثير للعواطف والانفعالات والارتجالات عليها تعتبر ذاتية الكيان الوطني ومصالحها اعتبارا اصليا ، وتراعي سلامة ترابها مراعاة أساسية تامة .

انه بفضل الحسابات والتقديرات المنطقية الواقعية الواضحة المضبوطة والصريحة فقط يمكن الوصول الى ضمان تعاملات وتعاقدات مأمونة النتائج والعواقب ، بالاضافة الى تأمين توجيه منطق دقيق محدد باعتناء للعلاقات والمعاملات التي تعد احداثا تاريخية مهمة تزيد التراث التاريخي الوطني ثراء ، وان كانت تجري هادئة بدون صخب ولا عنف ولا ضوضاء !

وما فائدة درس الاحداث التاريخية اذا لم تتخذ اساسا لنقد ذاتي صريح للمسار الريادي الوطني قصد اعادة توجيهه طبقا للنتائج المنطقية الواقعية المستنتجة منها ؟ .

ان الاحداث التاريخية باعتبارها كمنجزات وطنية تستحق ان تدرس لمعرفة ما كان لها وما كان عليها ، وكيف كان يجب ان تجري وقائعها ، وما ذا حققته ، وما ذا كان ينتظر ان تحققه وما ذا يمكن ان يترتب عليها من مضاعفات ونتائج ، ولماذا وقعت بهذا الشكل ولم تقع بشكل آخر .

وهي كمنجزات وطنية ينبغي ان تدرس على مستوى وطني من جميع المؤسسات الوطنية التي تشارك وتساهم فى انجازها .

وباعتبارها كمنجزات وطنية يجب ان تخطط مشاريعها للمستقبل فى اطار التصاميم والمخططات الوطنية العامة او الخاصة ، وبهذا يمكن ضبط مسار وقوعها ضبطا مسبقا ممكنا ، والسيطرة عليها سيطرة فعالة .

ويعني هذا ان الانسان المواطن الذي يمارس مسؤوليات الريادة الوطنية يجدر به ان يكون عارفا بمسار الاحداث التاريخية ، ودارىا بتفسيراتها ، وملما بمغازيها ، ومحيطا بمقاصدها ومراميها واهدافها يتذكرها فى كل حين ، وبخاصة عندما يكون امام احداث ، او مشاريع احداث جديدة .

قد تنسى التفاصيل ، ولكن التفسيرات والمغازي والمرامي والاهداف تظل منقوشة فى ضمير الانسان المواطن .

ان الاحداث التاريخية بجميع ملاحمها وأمجادها العظيمة هي الوطن ، وهي وجوده ووجباته ، وهي الضمير الوطني للانسان المواطن .

وهذا يؤكد اهمية الاعتناء بدرسها اعتناء خاصا لانه اذا ما اصاب درسها تشويه او سوء تفسير فان انعكاسهما قد يصيب الضمير الوطني للانسان المواطن ببعض تأثيراته .

* * *

ان الاحداث التاريخية احداث انسانية من تفكير الانسان ، وتدبيره ، وفعله ، وصنعه وبدون ارادته وعزمه ورغبته وقراراته وتدخلاته وتوجيهاته لا يمكن ان تقع .

لهذا فان العامل الانساني يضفي عليها الكثير من خصائصه الذاتية والكيانية ، الفردية والجماعية ، المعنوية والنفسية ، الواعية واللاوعية ، بالاضافة الى خبرته وعلمه وعقلانيته ومنطقه وذكائه .

وان الريادة الوطنية تتعامل دائما مع العامل الانساني المعنوي والنفسي للانسان المواطن في اعدادها مشاريع الاحداث ، وفي توجيهها لها اثناء وقوعها .

واذا كان هذا التعامل جرى في الماضي تلقائيا، ودون اعارته ما يستحق من الاهتمام فانه في الايام الحاضرة ينبغي ان ينال القسط الاوفر من الاعتناء واحلاله المكان الجدير به في تقدير الاوضاع والاهداف والظروف السائدة على مسرح الاحداث التي وقعت ، او التي تقع ، او التي يتوقع وقوعها .

حقا ان التاريخ يهتم بدراسة الاحداث التاريخية في الماضي ، ولكن هذا لا يمنع من الاستفادة من خلاصة مفازيها وعبرها وخبراتها وتجاربها الانسانية والحكمة التي تقدمها في توجيه ، او اعادة توجيه أحداث الحاضر او مشاريع احداث المستقبل .

والغاية من هذا تلافي الوقوع في اخطاء الماضي، واتقائها ، لان الوقوع فيها وعدم اتقائها انما يدلان على شيء واحد هو ان الاحداث التاريخية لم تدرس ، او لم تتم الاستفادة من دراستها الاستفادة الواجبة ، او درست بكيفية لا تجدي نفعا .

ثم بعد هذا يجدر بالاحداث التاريخية التي وقعت ، وتقع ، بروح وطنية نضالية ، جهادية يصاحبها الكثير من الانفعالات ، والكثير من المعاناة ، والكثير من المجاهدة ان تدرس ايضا بروح وطنية نضالية جهادية تقدر تلك الانفعالات ، وتلك المعاناة ، وتلك المجاهدة التقدير المستحق .

إلى كتابنا

●● تسهيلا لعمليات المراجعة والتصحيح ، وتلافيا لتكرار الاخطاء المطبعية ، يرجى من السادة كتاب المجلة ان يتكرموا بطبع مقالاتهم على الآلة الكاتبة ، او كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات الكريمة وتخريج الاحاديث الشريفة ●



للأستاذ محمد بن المهدي العلوي

● بولادة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام أودع الله تعالى فى الانسانية سر كمالها وطبعها بطابع التفوق الاخلاقي الخالــد فكان فى آدم سر وجود الانسانية وكان فى محمد عليه السلام سر كمالها ، وما برح هذا الانسان منذ وجوده على وجه البسيطة تتحيفه أحداث الدهر تمحوه تارة وتعتوره بالشر والمنكر تارة اخرى فكان من حكمة الله ورحمته ان تدارك الانسانية فابتعث تاريخ العقل الانساني بآدم جديد تفتحت به مواهب الانسان للابداع الخلقي وتوطيد دعائم الفضيلة والكرامة الانسانية وحمايتها من التلاشي والتعفن والارتكاس المادي الذي عاث فى الارض فدمر كرامة الاخلاق وشوه الفضيلةوجرف المثل العليا ، مصداق ذلــك قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان فيأحسن تقويم ثم رددنــاه أسفــل سافلين » . فكانت الانسانيــة دهرها بين آدميين اثنين احدهما فتح لها طريق المجيء من الجنة ، والثاني وهو محمد صلى الله عليم وسلم فتح لها طريق العودة اليها .

فجر الهدى صدع الدجى فتألقــا ... فى الكائنات سنــاؤه مترقرقــا

فاضت تباشير الصبــاح بمولــد ... هز الوجــود تطلعــا وتشوقــا

اصغى الى النبأ العظيــم مسامعــا ... صدئت بهزل العابثيــن تمخرقــا

نبأ اصــم الموجفيــن سفاهــة ... لمضارب الطغيان خيــلا سبقــا

لا توجفوا فالفجر شــق عمــوده ... ثبج الضلال ونوره قــد احدقــا

كانت رحاب الارض غرقى فى الـــرذا ... ئل تستجير وتستغيـــث الموبقـــــا

مادت ظلامــا طاغيـــا وجرائمـــا ... موبوءة وصـــراع افــك محدقـــا

بتحكم الكفـــر المـــذل لاهلهـــا ... متغلغـــلا متفطـرســـا متسلقـــا

كهنوت رهبـان وتدجيـــل قــــادة ... وتحكم الســادات حكـــما مرهقـــا

فتن تموج بها البسيطـــة ترتمــــي ... كالبحر مـــد عبابـــه المتدفقـــا

تدمي القلوب فظاظة وتـــدوس فـــي ... خيلائها مغنى الفضائـــل والتقـــى

وتعيث في الاخـــلاق لا تبقى لهـــا ... شرفا يؤثـــل او سنامـــا يرتقـــى

فتن كقطع الليـــل عم سوادهـــا ... فمحى ضياء المشرقيـــن وطبقـــا

ما ذا عسى بصف البيان من المخـا ... ز المرعبات وما عسى أن ينطقـــا

* * *

حتى اذا ضجت لخالقهـــا الثـــرى ... واسترحمت بدموعهـا أن يشفقـــا

حتى اذا ضاق الخناق وطوقـــت ... اجيادها بسلاســـل لـم ترفقـــا

حتى اذا احتدم الصــراع بأهلهـــا ... وتسلقوا البغـــى المبيـد تسلقـــا

حتى اذا حمى الوطيس تناحــــرا ... وتباغضـــا وتهافتـــا وتفرقـــا

حتى اذا حلق البطـــان تضايقـــت ... وتمزقـــت حلقاتهـــن تمزقـــا

فتحت لها باب السماء وراسلـــت ... شهبا مبشـــرة ونـــورا مشرقـــا

* * *

اللـــه آذن للبريـــة بالهـــــدى ... ولارضـــه من نـــوره أن تشرقـــا

ولد النبي محمـــد فاستبشـــرت ... بمحرر الدنيا المزيـــح بها الشقـــا

تيهي على القمريـــن بالنور الـــذي ... طبع الجبين وزان منـــه المفرقـــا

نور افاض على البسيطة صبحهـــا ... فأزاح غاسقها الرهيـــب ومزقـــا

نبع تفجـــر فى جزيـــرة يعـــرب ... عذبا واغدق فى البرايـــا الريقـــا

* * *

لم يعرف التاريـخ غيـــر محمـــد ... رجـلا تتـــوج بالعـــلا وتمنطقـــا

رجلا ابر مـــن الملائـــك عصمـــة ... واعف خلقا فى الحيـــاة واصدقـــا

حفته الويـــة الملائـــك خشعـــا ... لما استوى فوق البراق المرتقـــى

طويت له الســبع الطباق فجازهــــا ... للسدرة العصمـــا فجـــاز تفوقـــا

الله عــز جلالــه اصفــاه مــن … رضوانه حلل الرضــى استبرقــا
نور على نــور تجلــى ساطعــا … فى ليلة المعراج من سبحاته متدفقا

* * *

لم تعــرف الدنيــا ولا اجيالهــا … عهدا اضاء المشرقيــن واغدقــا
لم تعــرف الدنيــا ولا اجيالهــا … عهدا سواه من المكــارم اورقــا
بــدع من التاريــخ فى اخيافــه … نبضــت به الدنيا بديعــا ربقــا
خجلت عباقرة النهى لمــا اعتلــى … عرش الخلود وابلسوا لما ارتقــى
نكصــوا على اعقابهــم وتولهــوا … بالمعجز الريــان وحيــا مونقــا
وتآمــر الطغيــان والرهبــان فــى … مستوبــاء الآراء ايــا اوفقــا
جاءوا لرائعة النهــار باشــدق … هرا لتطفــىء نورهــا المتالقــا
بالسفاهــة والجهالــة والرعــو … نة ما اضــل ومــا اذل واخرقــا
او نور وحــي الله تشتــاه مهــ … ـازيل العقول الراكدات ترتقــا
تبــا لآراء الخفــافش مــا لهــا … تدنوا لمصرعها الرهيب فتحرقــا

* * *

بعدا لمنتحلي المذاهب عن عمــى … فى عهدنا المغمور جهــلا مطبقــا
اسمع وابصر بالضلالــة منهــم … اذ يكفــرون ويلحــدون تحذلقــا
اخلق بهم لو انهــم فتحــوا قلــو … بهم لآيــات الكتــاب تعمقــا
متبصريــن بهديهــا متمسكيــ … ـن مجندين لها المباحث سبقــا
لو انهم فتحوا المصاحف فى كــرا … سي الجامعات لأعجزوا المستشرقــا
بالغض ريــان البراهــن مفحمــا … ماركسيــات المعجبين تمشدقــا
لا تنكروا النور المبين وتقحمــوا … افكاركــم بمخــرق لــن يرتقــا
هذي المذاهب والمناهــج جملــة … نسجت لاغواء الشبــاب ليمحقــا
وتعيــث فى اخلاقــه وتصــده … عن منهــج الاســلام ان يتخلقــا
اسفا على افلاذ امتنا تــرد وافــ … ـي سحيق مــا اشــق واعمقــا
آه على تبــل المبــادىء عقهــا … ابناؤهــا وتآمــروا ان تشنقــا
نصب العداة لها المشانق فارتمــ … ـت ـ فيها الفتوة زردقا ثم زردقــا

يا رائدي جيل الشبـــاب أمامكـــم
سبل الخلاص فخلصوه مـن الشقـــا

فعليكم تبعــات أجيــال الشبـــا
ب فقـدروا تبعاتهـا أن ترهقــا

يامن لواء الحمـد ملـك يمينـه
يا خير من وطىء الثرى مترفقــا

انا وان حدنا على نهـج الهــدى
واستفحل الداء العضال . واوبقــا

فلنا رجاء كالغريق يعانـق الامـــ
ـــواج لا يألـو يصـارع للبقــا

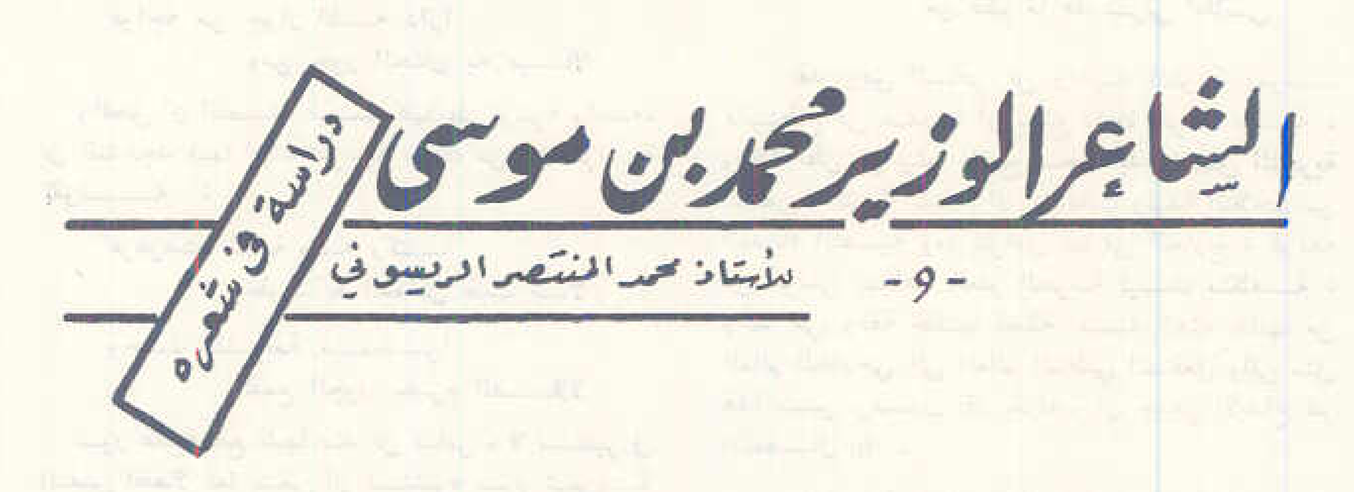
صلى عليك الله ما صدع الدجـــى
فجر اطل على الوجـود فأشرقــا

محمد بن المهدي العلوي

اعتــــــــذار

● تعتذر « دعوة الحق » عن عـدم ادراج مقـالات الاساتـذة : محمد المنوني ، الحسن السائح ، التهامي الراجي الهاشمي ، ضمن مواد هذا العدد ، لظروف تقنية محضة ، خارجة عن ارادة التحرير . وقد كانت المقالات الثلاث مهياة للنشر ، بعد ان سلمت للمطبعة بالفعل .

نعتذر ، ونرجىء النشر الى العدد السادس (يونيو) المقبل ، اذ ان العدد القادم (الخامس — مايو) سنخصصه للسنة الدولية للطفـل ●



الشاعر الوزير محمد بن موسى

دراسة في شعره

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

- 9 -

ثانيـا : الرثـــاء

ادلى ابن موسى بدلوه في الفن الرثائي حين رثى الفقيه السيد أحمد الزواقي (1) شيـخ الجماعـة بتطوان بقصيدة طويلة كلها بوح وأسى وحرقة تكشف عن مدى حب الشاعر لشيخ الجماعة ، وقد افتتحها بالخطاب على الطريقة الشعرية القديمة متخيلا شخصا او شخصين يخاطبهما ويأمرهما بالوقوف بالمعاهد – معاهد العلم والعرفان التي باتت ثكلى تتشظى حزنـا وصراخا ، وتعاني المرارة من صروف الدهر لانها لم تعد تجد من يرعاها ويمدها بالحياة والنماء يقول :

قفا بمعاهد امست ثكالـــى
كواسف من صروف الدهر بالا

ذواهل كلما خشعت لشجـو
اباح الشجو للدمع انهمـالا

قفا وسلا بواكيها عساهـــا
تطيـق لسائـل راه ودالا

سلا دور المعارف ما عراهـا
وغير حال بهجتها فحـــالا

والبسها رداء مـن خشـوع
تنوء به كأن بهـا كـــلالا

بعد هذا ينطق الشاعر في تعداد مناقب المرثـي والحديث عن مكانته العلمية مثل قوله :

نعم وخبا سراج كان فيهـا
لسان البرق في السدف اشتعالا

بذهن كالنضار صفـا رواء
فانضر والشهاب وقد تلالا (2)

ثم يتحدث عن الفراغ الذي احدثه موت الشيخ في كل ميدان ، في العلم والصلاح والتقوى :

مضى شيخ الشيخ فكل قلب
يعالج من رزيته اعتـــلالا

يرى أن السلو وميض بـرق
وفي حسن العزاء يرى المحالا

الى ان يقـــول :

فلم تهزز رياح الكيد منـــه
يقينا في البلاء ولا خبـــالا

سجية راسخ في العلم جلـى
فما يدري المحال له مجـالا

---

(1) مـر التعريـف بـه .

(2) تلالا أصلها (تلألأ) خفف الهمزة للضرورة ، وكان من الجائز الا يحذف الهمزة الاولى ، لان حذفها أو ابقاءها لا علاقة له بوزن البيت ؛ ذلك أن الهمزة ساكنة ، واذا حذفت ظل مكانها الالف الساكن .

ويختم الرثائية بقوله :

نواجه من جوار اللـــه دارا
ومن حور الجنان به عيـــالا

والحق ان القصيدة ليست كلها على وتيرة واحدة، بل اننا نجد فيها أبياتا تقريبية جدباء من الشاعريــة كقولـــــه :

فزعزعت المنية منــه ركنـــا
تطوف به المعاقل حيث مـالا

وحصنا للشـريعة مشمخـــرا
لقمع الجور يخترم الضـــلالا

صور عادية تقع عليها عند كل شاعر ، لا تستثير في النفس انفعالا كما ينبغي ان تستثيره صور شعريــة جميلة طريفة يرفدها نضج التجربة وبوح المعاناة . وقد نحس عياء في خبايا الشاعر حين يلجأ الى تكرار المضمون الشائع عند الآخرين كقوله :

أبا العباس غبت وكل حـــي
يذوق من المنية ما استهـــالا

وهذا كقول ابن الرومي (3) في رثاء احد الامراء :

ان المنية لا تبقى على احـــد
ولا تهاب اخا عز ولا حشـــد

وكقول صفي الدين الحلي (4) في تأثير جمـــال الربيع في نفسه :

طفح السرور علي حتى انـــه
من عظم ما قد سرني ابكانــي

لقد وفق الشاعر في رثائيته الطويلة عمومـــا فاستطاع في صدرها ان يخلع عليها حركة حيـــة ، وظلالا تطل من بينها ملامح شجية ابدعها عمق التجربة الشعرية التي لا تنضج الا اذا كانت وليدة التلاحم بين المعاناة النفسية وما يتراءى لها في الخارج ، فوقفة ابن موسى بمعاهد العلم الحزينة ليست متكلفـــة ، وانما هي وقفة خلقتها لحظة نفسية لاهثة نقلتها من العالم الخارجي الى العالم الباطني المنفعل والى مثل هذا يشير برغسون (5) بقوله : ان جوهر الابداع هو الانفعــــال (6) .

ولا اريد ان انتقل للحديث عن غرض آخـــر في شعر ابن موسى دون ان أشير الى أن شاعرنا حيـن عارض الشاعر مروان بن ابي حفصة في رثائيته بـ لمعن ابن زائد كرر في بعض أبيات القصيدة صور مـــروان كقولــــه :

فزعزعت المنية منــه ركنـــا
وهت معه العزائم حيـن زالا

ويقـــول مـــروان :

وظل الشام يرجف جانبــاه
لركن العز حين وهي فمـــالا

---

(3) هو علي بن العباس بن جريج أو جورجيس الرومـــي (221 – 283 هـ = 836 – 896 م) شاعـــر عباسي شهير جده من موالي بني العباس ولد ونشأ ببغداد ومات بها مسموما اشتهر شعره بالهجاء والتصوير الساخر وله أشعار في أغراض أخرى ، له ديوان شعر ، راجع ابن خلكان (وفيات الاعيان) ج 3 ص 42 وما بعدها وراجع المرزباني (محمد) (الموشح) ص 545 وما بعدها ، تحقيـــق علـــي البجاوي ط. 1965 – دار نهضة مصر . وقد كتب عنه غير واحد من المحدثين كالعقاد رحمه الله والدكتور علي شلق وايليا الحاوي وغيرهم .

(4) هو عبد العزيز بن سرايا بن علي بن ابي القاسم السنبسي الطائي (677 – 750 هـ = 1278–1349م) من اشهر شعراء عصره ولد ونشأ في الحلة (وهو مكان بين الكوفة وبغداد) كان يرحـــل الى الشام ومصر للتجارة ، مدح الملوك، ومن بينهم السلطان الملك الناصر ، توفي ببغداد وله ديوان شعر وانتاج آخر من بينه (صفوة الشعراء وخلاصـــة البلغاء) ، راجع ابن شاكر الكتبي (محمد) فوات الوفيات ج 2 ص 335 – دار صادر . وراجع زيدان (جرجي) (تاريخ آداب اللغة العربية) ج 3 ص 135 – ط. 1967 – منشورات دار مكتبة الحياة بيروت . وراجع الدكتور محمود رزق سليم (صفي الدين الحلي) – سلسلة نوابغ الفكر العربي – دار المعارف .

(5) هو هنري برجسون (1859 – 1941 م) فيلسوف فرنسي كان استاذا بـ (كوليـــج دي فـــرانس) احرز على جائزة نوبل في الادب من مؤلفاته (الزمن والارادة الحرة) و (المادة والذاكرة) . راجـــع الموسوعة العربية الميسرة ص 345 – القاهرة 1965 .

واستعان ابن موسى ـ بجانب ذلك ـ ببعض صيغ مروان مع تغيير طفيف يقتضيه المقام كقوله :

ووا لهف الضعيف اذا المساعي
نعت منه المناقب والخصالا

يظل مكفكفا دمع اليتامى
ويبعث في جراحهم اندمالا

يقول مروان :

فلهف ابي عليك اذا المطايا
جعلن مني كواذب واعتلالا

ولهف ابي عليك اذا اليتامى
غدوا شعثا تخالهم سلالا

ثالثا : الغزل

الغزل عند شاعرنا ابن موسى غزلان :

ا ـ غزل المقدمات

ب ـ الغزل الخالص

اما الغزل الاول فهو الذي يفتتح به بعض قصائد مدحه كمقدمة ـ تبعا للطريقة القديمة ـ للموضوع الذي سيعالجه وذلك في مولديته التي يقول فيها :

هل لصب اشفى من الوجد راق
عيل صبرا فجفنه غير راق

تدريه من المحاسن اشر
اك فيهفو الى وميض التلاقي

فهو من واكف الصبابة في بـ
ـسم ومن لافح الجوى في نطاق

حذرته العذال من خفة الحـ
ـلم فأغراه وجده بالشفاق

وراوا كتم ما به ومن اللهـ
ـو غرام مموه بنفاق

كيف تخفى جوانح الدنف(7) الصـ
ـب لهيبا ترفض منه المآقي

ما رعى طرفه ذمام التصابي
ان كبا زند غربه في السباق

واما الغزل الثاني ـ يعني الخالص ـ فهو الذي خصص له الشاعر القصيدة باكملها ونختار من ذلك قصيدته (الاسير السائل) التي تحدث فيها عن فتاة رشيقة القوام ناعمة جميلة متى برزت اثارت بضياء جمالها كسوفا في البدر ، وهي حين تتحرك يتثني قدها في روعة ، واذا افتر ثغرها عن ابتسامة اسرت ، ومنعت ذوي الصبابة من الوصل ، واستلب طرفها الجميل القلوب وحام حول المقاتل ليصيبها بسحره ، ومتى نظر هذا الطرف الى العيون سقاها خمرا فثملت وهفت الى السباب تحلم بالرؤى الخضر الرفرافة :

وناعمة متى سفرت اثارت
كسوفا في البدور السافرات

تميس قناتها والبان زاه
فيومىء بالركوع الى القناة

اذا ابتسمت رمت والموت قان
يذوذ الهيم عن ماء الحياة

فتنتظم القلوب بطرف ريم
يحوم على المقاتل في اناة

متى روى المحاجر خندرسا(8)
هفا ارق المحاجر بالسبات

ويسألها الاسير وصالها فتجيب بان ذلك قد يكون من المستحيل ، بل هو حلم باهت لا امل فيه اذ العفاف لا ينقاد بسهولة ويسر ، وكيف يتحقق ذلك وارواح الكماة الشجعان تروح فداه من دون جدوى ، فانت مهما بذلت من المساعي فسوف لا تقدر على النجاة من حبي او لست ترى الابطال صرعى لا يستطيع احد منهم الانفلات من هيمنة جمالي ؟ :

(7) دنف دنفا اشتد مرضه واشفى على الموت فهو دنف ، والدنف هنا المحب الذي بلغ الذروة في الحب

(8) الخندريس الخمر .

سألت وصالها يوما فقالت
مطامع(اشعب(9)) قرعت صفاتي(10)

عجبت لمن تلوح له الثريا
فيفتح حضنه للنيراب

واغرب ما يعيه السمع حلم
يطوف بعاقل بين الصحاة

افي حرم العفاف تروم صيدا
تروح فداه أرواح الكماة

وتنصب للمها شركا خفيا
وانت أسير أشراك المهاة

وتطمع في اجتناء الورد غضا
وسيف اللحظ في رصد الجناة

بخد يخلب الالباب قاض
وخد يختل الارواح عات

الم ترحو لك الابطال صرعى
فكيف تبوء — ويك — بالنجاة ؟

ثم يجيبها الاسير المعذب ، وقد سكر من حديثها الناعم ، رغم ما اكتنفته من قسوة ، وبلحظها الفاتن ، مفضيا لها بما يتداح في اعماقه من احاسيس واعتلاجات ، وما يكابده من عذاب ، ومتوسلا في الوقت نفسه ان يخفف عنه ما يعانيه من الم الهجر :

فقلت وقد تملت براح لفظ
ولحظ دونه حد الظباة :

امالكة المحاسن ان قلبا
سكنت به على طرف الشباة

تراوحه المضاجع بين ماض
من الدنف المذيب وبين آت

فهل لك رحمة في القلب تشفي
بما تولين من بعض الهبات

واخيرا تدعو له الفتاة بعدم الشفاء من حبها ، وهي بذلك تسد في وجهه كل أبواب الامل ليظل أسيرا لديها يبحر في آفاق حبها هائما تائها يسعى دائما جاهدا لتحقيق مطامعه حتى يذوق من العذاب ما يذوق ويتجشم من المتاعب في سبيل حبها ما يصهره فيحس باللذة في العذاب ، اذ ليس صادقا في حبه من لم يستطب السعادة في مرارة العذاب والم الزفرات :

فقلت : لا شفاك الله مما
اصابك من جفوني الساحرات

ودم خلف المطامع والاماني
وان تك بعض احلام العفاة

فليس بصادق في الحب من لم
يذق طعم السعادة في الشكاة

يبدو لي من معالجة ابن موسى لفن الغزل انه لم يخض تجربة المحب كما خاضها سابقوه وعاناها ، معاناة تكشف عن رهافة الاحساس وتوقد الوجدان والشوق المبرح والتدله المضني ، الا ما كان من ابيات في قصيدته السابقة نستشف منها الروح المعدنية تلك الروح التي تبلورها لنا الحوار الذي اجراه على لسان المحب .

فالتجربة عنده غير ناضجة ومكتملة ، ولعله قد سيق الى معالجة هذا الفن بدافع من روح التقليد ، وبحافز من رغبة ملحة في نفسه في أن يشارك اخوانه الشعراء في هذا الغرض ، ولذا نلحظ نوعا من الغلو في الصور لا يكشف عن حالة تآلف النفس مع الحقيقة التي يريد تقديمها لنا الشاعر متوشحة برؤيته الخاصة ، فجمال الفتاة عنده قد طغى على كل جمال ، وهي بهذا الجمال تحاول ان تصرع المحبين وتقتلهم ، وفي هذا افتعال غير محمود تولد عن اجهاد الذهن في تفتيق الصورة ، الامر الذي يجعلنا نتلقى الصورة الشعرية في برودة وتقزز كما نتلقاه بالشعور

---

(9) مر التعريف به .
(10) صفاة جمعه صفوات الحجر الصلد .

نفسه من الشاعر الاخطل الصغير (11) فى بيته، بيت له ذكر فيه القتل والدماء وهو يتغزل وذلك فى قصيدته (الصبا والجمال) يقول فيه :

قتل الورد نفسه حسداً منك والقى دماه فى وجنتيك

وما كنت لاستسيغ مثل هذه الصور حتى ولو كانت لاقطاب الغزل فى شعرنا العربي القديم ، لان الموقف موقف غزل يستدعي شفافية فى التصوير يتفتح لها الوجدان فى نهم وشوق عارمين ، وينساق معها الاحساس فى لذة وانتشاء . لا يخنق تطلعه الجميل جو الدماء الكئيب .

مهما يكن فان هذه القصيدة الغزلية لا تمت بصلة من قريب او بعيد الى المدرسة الشعرية التي عرفت فى صدر الاسلام (بالمدرسة الحضرية) التي كان يمثلها الشاعر الغزل عمر بن ابي ربيعة (12) والاحوص (13) والعرجي (14) ، وانما هي تجسد لنا خصائص مدرسة اخرى كانت تعاصرها هي (المدرسة البدوية او العذروية) التي حمل لواءها جميل بن معمر (15) وكثير عزة (16) وقيس بن ذريح (17)

---

(11) هو بشارة عبد الله الخوري (1303 – 1388 هـ = 1885 – 1968 م) شاعر لبناني محافظ ولد ببيروت ، درس ببعض الكتاتيب ثم فى المدرسة الارثوذكسية ومدرسة الحكمة ، اتقن العربية حتى اصبح فيها شاعرا له بال والم بالفرنسية عمل فى الصحافة مدة من الزمن . راجع أحمد قبش (تاريخ الشعر العربي الحديث) وقصيدته المذكورة بديوانه ص 45 – ط. 2 – 1972 – دار الكتاب العربي – بيروت .

(12) عمر بن ابي ربيعة المخزومي القريشي (23 – 93 هـ = 644 – 712 م) شاعر يحتل درجة عليا فى عصره اشتهر شعره برقة الغزل والتشبيب بالنساء مع عدم التصاون فيه ، كان يتعرض للنساء فى الحج فيتغزل فيهن ، وفيه قيل اي خير رفع واي شر وضع لانه ولد فى الليلة التي توفي فيها عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وباسمه سمي ، نفاه الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الى (دهلك) عند ما لم يرعو عن غزله الفاحش ثم غزا فى البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه فمات غريقا ، له ديوان شعر . راجع ابن خلكان (وفيات الاعيان) ج 3 ص 111 وما بعدها وابن قتيبة (الشعر والشعراء) ج 2 ص 457 وما بعدها .

(13) هو عبد الله بن محمد الانصاري من بني ضبيعة (.. – 105 – .. 723 م) شاعر هجاء من اهل المدينة اشتهر بغزله فى امراة من الانصار تدعى ام جعفر ، وكان حماد الراوية يقدمه على شعراء زمانه فى النسيب ، مات بدمشق . راجع ابن قتيبة (الشعر والشعراء) ج 1 ص 424 وما بعدها ، وفيه اسمه الاحوص بن محمد والصواب ما اثبتناه وراجع كذلك المرزباني (الموشح) ص 295 وما بعدها .

(14) هو عبد الله بن عمر الاموي القرشي (.. – نحو 120 هـ = .. – 738 م) شاعر ظريف مطبوع ولوع باللهو والصيد ، من أهل مكة ، حضر بعض الوقائع الحربية فأبلى فيها البلاء الحسن ، لقب بالعرجي لسكناه قرية (العرج) بالطائف ، سجن بتهمة دم مولى لعبد الله بن عمر ، وبالسجن مات . راجع ابن قتيبة (الشعر والشعراء) ج 2 ص 478 وما بعدها وراجع زيدان (جرجي) (تاريخ آداب اللغة العربية) ج 1 ص 283 .

(15) جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي (.. – 82 هـ – ... 701 م) شاعر من العشاق أحب بثينة ، شعره رقيق عفيف أكثره فى النسيب والغزل ، رحل الى مصر وافدا على عبد العزيز بن مروان وهناك مات . راجع ابن خلكان (وفيات الاعيان) ج 1 ص 317 وما بعدها وابن قتيبة (الشعر والشعراء ج 1 ص 346 وما بعدها ، وللعقاد رحمه الله كتاب عنه تحت عنوان (جميل بثينة) .

(16) مر التعريف به .

(17) قيس بن ذريح الكناني (.. – 68 هـ – .. – 788 م) شاعر من العشاق ، احب لبنى ، وهو من اهل المدينة ، كان رضيعا للحسين بن علي رضي الله عنه ، شعره عفيف فى الغزل والتشبيب والحنين . راجع ابن قتيبة (الشعر والشعراء) ج 2 ص 524 والمرزاني (الموشح) ص 323 .

والتي اشتهر اعلامها بعفة اللسان والتدله الصادق والحفاظ على المثل العليا والمبادىء الاخلاقية .

والقصيدة ـ كما يبدو ـ من عرضنا لها تغترف فى الفاظها وصورها من نبع الاقدمين ، وآية ذلك ان ابن موسى يردد الكلمات نفسها التي استعملها سابقوه (غصن البان ـ الريم ـ المهاة وغيرها) كما يردد الصور نفسها ، فالحبيب يصيد النفوس ويجري الدماء ويغالب بسحره الكماة وما شئت من هذه الصور وهو فى هذا لا يبعد عن قول مهيار الديلمي (18) .

ظبي يصيد على المرعى النفوس فقد
صارت حمى بالدم الجاري مرابعه

وكيف يجحد قتلاه اذا شهدت
خداه بالدم أو باحت اصابعه

لكن ابن موسى يفاجئنا بنوع من الجدة فى قصيدة له غزلية فى صحافية امريكية شقراء ، وفيها تتآلف صور جميلة تخف فيها حدة التقليد ، وتبرز ظلال توحي بصدق التجربة وانسياب الشعور يقول فى اولها :

عجبا من خواطر الانسان
فى معاني فواتر الاجفان

يزدهيه شكل الملاح ويسبيـ
ـه من الحسن ما يرى بالعيان

فى المحيا من اللواحظ والوجـ
ـنة والانف واللمى(19)واللسان

ودلال ولمحة الوعد والرفـ
ـة والصد تارة والتداني

وكانت مناسبة ثمينة للشاعر لو اغتنمها فشخص لنا جمال الشقرة وما يوحيه له من ظلال جديدة حينذاك يكون قد طرق موضوعا جديدا غزليا يخالف فيه المألوف عند العرب على غرار ما فعله الاندلسيون حينما تعلقوا بالشقرة والعيون الزرق ، كما نجد عند الامام ابن حزم (20) فى غزله لما عشق الشقرة وكره السواد مخالفا اذواق العرب وذلك فى قوله ، من مقطوعة غزلية (21) :

يعيبونها عندي بشقرة شعرها
فقلت لهم: هذا الذي زانها عندي

لكن ابن موسى فوت على نفسه هذه الفرصة كشاعر مارس فن الغزل العفيف وأدلى بدلوه فيه ، ولست اشك فى أنه لو كان انتبه الى هذا الموضوع الذي انتبه اليه الاندلسيون لاتى بما يبده ، لما يتوافر عليه من قدرة فنية وشاعرية طيعة .

وكيفما كانت الحال فشاعرنا يمثل خصائص المدرسة العذرية فيما تناوله من مضامين غزلية مستعليا عن الفاحشة واللفظ النابي والكلمة الداعرة اعتمادا على ما لدينا من النصوص الشعرية ، وقد تكون هناك نصوص غير هذه ، ـ والله أعلم ـ من الغزل الفاحش قالها بدافع نزوة من النزوات البشرية أو على سبيل الاحماض لم يتأت لنا الاطلاع عليها .

(يتبع)

(18) مهيار بن مرزوية الديلمي (.. ـ 428 هـ ـ .. 1037 م) شاعر مجيد فارسي الاصل من أهل بغداد اسلم على يد الشريف الرضى ، كان من كتاب الدواوين ومات ببغداد ، له ديوان شعر . رجع ابن خلكان (وفيات الاعيان) ج 4 ص 441 وراجع زيدان (جرجي) تاريخ (آداب اللغة العربية) ج 2 ص 568 .

(19) اللمى سمرة فى الشفة تستحسن .

(20) هو علي بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهري (384 هـ ـ 456 هـ = 994 ـ 1064 م) عالم الاندلس وامام من ائمة الاسلام ، ولد بقرطبة وكان لابيه رياسة وجاه ، كما كانت له هو ايضا رياسة وجاه ، لكنه انصرف الى العلم والفكر ، له انتاج غزير من بينه (الاحكام لاصول الاحكام) (المحلى) راجع ابن حجر (لسان الميزان) ج 4 ص 198 ، وراجع ابن خلكان (وفيات الاعيان) ج 3 ص13 وما بعدها .

(21) المقطوعة وردت فى كتابه (طوق الحمامة) ص 30 ـ تحقيق الاستاذين : حسن الصيرفي وبراهيم الابياري ـ مطبعة السعادة ـ 1959 ـ مصر .

أوليات

إعداد : الأستاذ محمد العرانشي

- 5 -

اوائل ابي بكر الصديق :

لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم قام بأمر الاسلام والمسلمين بعده الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم . واولهم ابو بكر الصديق : عبد الله بن ابي قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وفيه يجتمع نسبه بنسب النبي صلى الله عليه وسلم.

فهو اول خليفة للرسول (صلعم) اتفقت الامة عليه ورضيت امامته بعد وفاته (صلعم) .

ويذكر أصحاب السير ان خلافة ابي بكر ، هي اول خلافة انعقدت فى الارض على وجهها الاكمل (1) ولما عقدت له البيعة بالمدينة المنورة بسقيفة بني ساعد (2) صار يخاطب بخليفة رسول الله .

وتعتبر المدينة بسبب هذا الحدث التاريخي اول مركز اسست فيه قاعدة الخلافة الاسلامية زمن ولاية ابي بكر (3) .

اول خطاب له :

قال فى اول خطاب له بعد ان تمت له البيعة : (ايها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان احسنت فاعينوني ، وان صدقت فقوموني . الصدق امانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله . لا يدع احد منكم الجهاد ، فانه لا يدعه قوم الا أصابهم الله بالذل ، اطيعوني ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله) .

---

(1) ولد رضي الله عنه بمكة المكرمة سنة (51ق.هـ)وتوفي فى اواخر جمادى الثانية سنة (13 هـ-634م) عن سن يبلغ 63 سنة وصلى عليه عمر بن الخطاب بالمسجد عند المنبر ودفن فى حجرة عائشة جوار رسول الله (صلعم) . وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر وسبعة ايام .
وقد اشتهر بمعرفة الانساب ، فقد كانت له دراية واسعة بانساب العرب وايامها ومفاخرها . قال الدكتور طه حسين فى كتابه (الشيخان) توفى ابو بكر بعد ان رد الجزيرة العربية الى الاسلام كعهدها ايام النبي (صلعم) وبعد ان امتحن فى صبره وصدق نيته وثباته وضبط نفسه عند المكروه .

(2) السقيفة ظلة كانت بالقرب من دار سعد بن عبادة الموالية لسوق المدينة .

(3) واستمر الحال على ذلك مدة خلافة عمر وعثمان،اما فى زمن علي فقد انتقلت قاعدة الخلافة من المدينة الى الكوفة .

اول عمـــل قـــام بـــه :

اول عمل قام به بعد مبايعته ان امر من نادى فى الناس بانه منفذ جيش اسامة بن زيد (4) الى حيـــث امر رسول الله (صلعم) ان يمضي وطلب الى كل من كان فى جيش اسامة من المسلميـــن ان يخـــرج الى المعسكـــــر .

وهو من السابقين الى الاسلام :

سبق فى الحلقة الثانية من هذه السلسلـــة ان ابا بكر رضي الله عنه هو اول من اسلم من الرجال ، فقد روى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : اول من اسلم من الرجال ابو بكر . كما سبق فى الحلقـة الاولى انه اول من جمع القرءان فى مصحف واحـــد واول من سماه مصحفا . ويعد فى طبقـــة ابي بكـــر بالنسبة للاسبقية فى الاسلام عمر وعثمـــان وعلـــي وحمزة وبلال رضي الله عنهم اجمعين . كما يعد ابـــو بكر فى الطبقة الاولى من طبقات فقهاء الصحابة .

واول مجتهـــد فى القضـــاء :

ذكر الفيروزبادي فى تاريخ الفقهاء ان ابا بكـــر هو اول من اجتهد فى حكم القضاء فى صدر الاسلام، فقد قاتل مانعي الزكاة وقال : لو منعوني عقـــالا او عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله (صلعم) لقاتلتهم على منعهـــا .

واول من افتى من الصحابة بحضرته (صلعم) :

ثبت فى بعض الروايات ان ماعز بن مالك لمـــا اقر بالزنا ثلاث مرات بحضرة الرسول (صلعم) قال له ابو بكر : ان اقررت رابعا رجمك رسول الله (صلعم).

واول اميـــر على الحـــج :

روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله (صلعم) استعمل ابا بكر وهو اول من جمع للنـــاس الحج ، ثم ان النبي (صلعم) حج من قابل . خرجه الحافظ ابو الحسين علي بن نعيم البصـــري وهـــو حديـــث حســـن .

وورد فى احكام القرءان لابن العربي ان اول من بعثه النبي (صلعم) اميرا على الحج هـــو ابو بكـــر الصديق ، بعثه سنة تسع (5) قبل حجـــة الوداع ، وارسله بسورة براءة ثم اردفه عليل .

وفى الصحيحين عن ابي هريرة قال : بعثني ابو بكر فى تلك الحجة فى مؤذنين بعثهـــم يوم النحـــر يؤذنون بمنى ان لا يحج بعد هذا العـــام مشـــرك ولا يطوف بالبيت عريان ، ثم اردف النبي (صلعم) ابـــا بكر بعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما ، فامـــره ان يؤذن ببراءة ، قال : فاذن معنا علي كرم الله وجهه فى اهل منى يوم النحر ببراءة ، وان لا يحج بعد العـــام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .

واول من لقـــب شيـــخ الاســـلام :

قال الحافظ السخاوي فى كتاب الجواهر الذي الفه فى مناقب شيخه ابن حجر : اطلقـــه السلـــف (شيخ الاسلام) على المتتبع للكتاب والسنة مـــع التبحر فى العلوم من المعقول والمنقـــول ، وربمـــا وصف به من بلغ درجة الولاية ، ولم تكن هذه اللفظة مشهورة بين القدماء بعد الشيخيـــن : الصديـــق والفاروق فانه ورد وصفهما بذلك (6) .

واول من لقـــب بعتيـــق :

قال الحاكم : اول لقب فى الاسلام : لقب ابى بكر رضي الله عنه (عتيـــق).

---

(4) ابو محمد او ابو زيد مولى رسول الله (صلعم) وابن مولاه وامه ام ايمـــن حاضنتـــه (صلعـــم). كان (صلعم) يحبه وكان عمر يجله ويكرمه . توفي سنة 54 هـ على ما صححه ابن عبد البر .

(5) وذلك فى اواخر ذي القعدة وارسل معه الهدى وثلاثمائة رجل من المدينة .

(6) ورد فى نص آخر للسخاوي ان ابا بكر هو اول من لقب بشيـــخ الاســـلام .

واول من اتخذ بيت المال :

ثبت فى بعض الروايات ان ابا بكر هو اول من اتخذ بيت المال (7) .

واول من فرض له العطاء فى بيت المال عن الخلافة :

اخرج البخاري عن عائشة قالت : لما استخلف ابو بكر قال : لقد علم قومي ان حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة اهلي ، وشغلت بأمر المسلمين ، فسياكل آل ابي بكر من هذا المال ويحتـــرف للمسلميـــن . وعند ما حضرته الوفاة اوصى باعادة ما حمل اليه من ذلك الى بيت المال من ماله الخاص به ، ولما سلم الى عمر ، قال : لقد اتعب من بعده .

واول خليفة ولى ووالده على قيد الحياة :

وقد توفى والده بعد وفاته بستة اشهر وبضعة ايـــام .

واول من استخلف من الخلفـــاء :

فقد استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى مرض موتـــه .

واول من عهـــد بالخلافـــة :

لما حضرته الوفاة رضي الله عنه اوصى بعمر ان يكون خليفة بعده ، وقال فى وصيته :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد به ابو بكـــر خليفة محمد رسول الله (صلعم) عند آخر عهـــده بالدنيا واول عهده بالآخرة ، فى الحال التي يومن فيها الكافر ، ويتقي فيها الفاجر ، اني استعملت عليكم عمر ابن الخطاب ، فان بر وعدل فذلك علمي به ورايي فيه، وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب ، والخيـــر اردت ، ولكل امرىء ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلمـــوا اي منقلب ينقلبون) .

واول من خاصم عن رسول الله (صلعم) وجاهد من اجل اعلاء كلمة الله ودعوة رسوله (صلعم) .

واول من قال : ان البلاء موكل بالمنطق :

ورد فى مجمع الامثال للميدانـــي (8) قـــال المفضل : يقال : اول من قال ذلك ابـــو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فيما ذكره ابن عباس .

واول من تنشق عنه الارض بعد النبي (صلعم) :

روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قـــال النبي (صلعم) : انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ، الحديث . اخرجه ابو حاتم فى فضائل عمـــر .

واول من يدخـــل الجنـــة :

روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبـــي (صلعم) قال : اتاني جبريل عليه السلام فطاف بي فى ابواب الجنة فاراني الباب الذي ادخل انا وامتي منه ، فقال ابو بكر الصديق : بابي انت وامي يا رسول الله ليتني كنت معك قال : اما انك يا ابا بكر اول من يدخل الجنة من امتي . خرجه البغوي فى المصابيح فى الحسان . واخرج السيوطي ان اول من يدخـــل الجنة من هذه الامة ابو بكر الصديق رضي الله عنـــه لانه اول من آمن وصدق .

واول من يـــرد الحـــوض :

عن ابي الدرداء قال : قال رسول الله (صلعم) اول من يرد علي يوم القيامة ابو بكر الصديق . خرجه الملاء فى سيرته وفى صحيح الترمذي عن ابن عمر ان

---

(7) سياسي فى اوائل عمر مزيد ايضاح لهذه الفقرة .

(8) ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري المتوفى سنة 518 هـ ذكر ذلك فى ج 1 من مؤلفه ـ ط. 2 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

النبي (صلعم) قال لابي بكر : انـت صاحبـي على الحوض ، وصاحبي في الغار (9) .

اوائـل عمـر

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي ثاني الخلفاء الراشدين . يلتقي نسبه بنسب النبي (صلعم) في كعب بن لؤي الاب التاسع لعمر(10) لقبه النبي (صلعم) بالفاروق وكناه بأبي حفص يوم بدر ، وقال مبشرا له : (رايتني (11) دخلت الجنة، فاذا انا بالرميصاء (12) امراة ابي طلحة (13) وسمعت خشفة (14) فقلت من هذا ؟ فقال هذا بـلال (15) ورايت قصرا بفنائه جارية فقلت لمن هـذا ؟ فقال لعمر فاردت ان ادخله فانظر اليه فذكرت غيرتـك ، فقال عمر : بابي وامي يا رسول الله اعليك اغار ؟) . رواه البخاري في صحيحه (16) عن جابر ومسلم في الفضائل ، والنسائي في المناقب .

هو اول من سمى امير المومنين :

وقع الاتفاق على انه رضي الله عنه هـو اول خليفة سمى بأمير المومنين ، سماه بذلـك بعض الصحابة (17) بعد ما توفي ابو بكر الذي كان يسمى خليفة رسول الله .

ولقد كان اسلامه وولايته قوة للمسلمين ونصرا لهم . فقد روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال : ان اسلام عمر بن الخطاب كان فتحا ، وان هجرته كانت نصرا ، وان امارته كانت رحمة ، وما زلنا اعزة منذ اسلم عمر .

اول خطـاب لـه :

تعددت الروايات في ذكر نـص اول خطـاب خاطب به عمر المسلمين بعد ما ولـي الخلافـة . فروى جامع بن شداد عن ابيه قال : اول ما تكلم به عمر لما استخلف :

(اللهم اني شديد فليني ، واني ضعيف فقوني ، واني بخيل فسخني) .

واخرج بن سعد عن الحسن قال : اول خطبة خطبها عمر : حمد الله واثنى عليه ثم قال : (اما بعد ، فقد ابتليت بكم وابتليتم بي ، وخلفت فيكـم بعـد صاحبي ، فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ، ومن غاب عنا وليناه اهل القوة والامانة ، ومن يحسن نزده

---

(9) المراد غار حراء الذي اختفى فيه النبي (صلعم) من دعاة الباطل مع ابي بكر عند ارادة الهجـرة الى المدينة سنة 622 م . قال تعالى : (الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنيـن اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) الآية 40 من سورة التوبة .

(10) ولد رضي الله عنه سنة (40 ق. هـ ـ 584م) واسلم ق. هـ. بخمس سنين وهـو ابن سـت وعشرين سنة . وبويع بالخلافة بعد وفاة ابي‌بكر سنة 13 هـ بعهد منه . ومات شهيدا لاربع بقين من ذي الحجة سنة 23 هـ (644 م) وعمره 63 سنة طعنه ابو لؤلؤة (فيروز الفارسي) غلام المغيرة ابن شعبة بخنجر في خاصرته في صلاة الصبح وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال اتفاقا ، وصلى عليه صهيب ودفن في حجرة عائشة رضي الله عنهـا .
قال ابن اسحاق : كانت ولايته عشر سنين وستة اشهر وخمس ليال .

(11) رايـت نفسي في المنـام .

(12) بضم الراء سهلة بنت ملحان الانصارية وصفت بذلك لرمص (بياض) كان بعينها .

(13) زيد بن سهل الانصاري الخزرجي . شجاع مقـدام من شعـره :
انا ابـو طلحـة واسمـي زيـد   وكل يـوم في سلاحـي صيـد

(14) بفتح الشين وسكونها : حركة وقع القدم .

(15) القائل جبريل او غيره من الملائكـة .

(16) باب مناقـب عمـر ابن الخطـاب .

(17) وذلك فيما كتبه اليه ابو موسى الاشعري ، وفيما خاطبه به مشافهة عدي بن حاتم الطائي والمغيرة ابن شعبة ، وعمرو بن العاصي وغيرهم .

حسننا ، ومن يسيء نعاقبه ، ويغفر الله لنا ولكم) .
وروى ان اول خطاب له قال فيه بعد أن حمـــدالله واثنى عليه :

(انما مثل العرب مثل جمل أنف (18) اتبـــع قائده ، فلينظر قائده اين يقوده ، اما انا فورب الكعبة لاحملنكم على الطريق) (19) .

وثبت في رواية اخرى ان اول ما خاطب بـــه المسلمين بعد ما بويع ان قال :

(ايها الناس من راى في منكم اعوجاجا فليقومه، فقام رجل وقال : والله لو راينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ، فقال عمر : الحمد لله على أن في امة محمد من يقوم اعوجاج عمر بسيفه) (20) .

ومهما تعددت الروايات ، فان اسلوبه رضي الله عنه ، في خطابه لم يخرج عن النهج الذي يريد ان يسلكه في الحكم وفي تسيير دواليب الامور ، على انه يمكن ان يكون اختلاف الروايات ناشيء عن تعدد الوفود التي تفد عليه لمبايعته ، فقد كان يخاطب كل وفد بخطاب تختلف الفاظه عن سابقه .

اول ما ابتدا به حين جلس على المنبر :

لما جلس على المنبر ليلقي اول خطاب لـــه ، جلس حيث كان ابو بكر يضع قدميه ، وهو اول درجة من المنبر ، ووضع قدميه على الارض ، فقالـــوا لو جلست حيث كان ابو بكر يجلس ، قال : حسبـــي أن يكون مجلسي حيث كانت تكون قدما أبي بكر .

اول عمـــل قـــام بـــه :

اول عمل قام به بعد ان ولي ، هو رد سبايا اهل الردة الى عشائرهن . وعلل ذلك بقوله كرهـــت أن يصير السبي سبة عند العرب .

وهو اول من ارخ بالعام الهجري :

كان العرب قبل خلافة عمر يؤرخون بالوقائـــع والاحداث ، وكانت الكتب ترد عليه من عمالـــه في اوائل ولايته مؤرخة بالشهور التي تكتب فيها دون أن تؤرخ بالسنين لان المسلمين لم يكونوا اتخذوا لانفسهم تاريخا ، فراى عمر بعد سنتين ونصف من توليته أن يجعل مبدأ التاريخ من الهجرة النبوية من مكـــة الى المدينة ، فارخ بالهجرة في شهر ربيع الاول سنة 16 من الهجرة . اخرج البخاري في تاريخـــه عن ابـــن المسيب قال : اول من كتب التاريخ عمر بن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته ، فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي . وروى عن محمد بن سعد قال: انه (اي عمر) اول من كتب التاريخ في شهر ربيـــع الاول سنة 16 وكتبه من هجرته (صلعم) من مكة الى المدينـــــة .

واول من اتخذ الطين لختم الكتب :

قال في صبح الاعشى : قاله الثعالبي في لطائف المعـــارف .

وكان نقش خاتمه (كفى بالموت واعظا يا عمر)

واول من اتخذ الدرة (21) :

كان عمر أول من اتخذ الدرة وادب بها من جار عن القصد قليلا او كثيرا ، لا يفرق بين كبار الصحابة وغيرهم ، وكان الناس يهابونها اكثر ممـــا يهابـــون السيوف القاطعة . حتى قيل بعده : لدرة عمر اهيب من سيفكم . وفي رواية اهيب من سيف الحجاج .

واول حاكـــم ديموقراطـــي :

لقد كتب عن ديموقراطية عمر الشيء الكثير ، يعلم ذلك من تتبع دراسة سيرته وتاريخ حياتـــه .

---

(18) الجمل الذلول الذي يانف من الزجر والضرب ويكون سهل الانقيـــاد .
(19) ذكره الخضري محمد بن عفيفي في ج : 1 من محاضراته ص : 298 والدكتوران حسن ابراهيـــم وعلي ابراهيم في كتابهما : النظم الاسلامية .
(20) اثبته محمد لبيب البتنوني في رحلته .
(21) عصا صغيرة كان يحملها في يـــده .

فقد روى عنه انه لما ولي كتب الى عماله : (اجعلوا عندكم الناس فى الحق سواء قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم ، واياكم والرشاء والحكم بالهوى) .
وروى راشد بن سعد ان عمر جلس يوما يقسم بين المسلمين مالا فاقبل سعد (22) بن ابي وقاص ، وجعل يزاحم الناس حتى وصل الى عمر ، فعلاه عمر بالدرة وقال : انك اقبلت لا تهاب سلطان الله فى الارض ، فاردت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك .

وروي ان غلامه وجاريته قتلا أم ورقة بنت عبد الله الحرث ، فاتى بهما فصلبهما فكان عمر أول من صلب من الخلفاء ، وكان الغلام والجارية اول مصلوبين بالمدينة .

وهو أول قاض فى الاسلام (23) :

ولاه ابو بكر الصديق رضي الله عنه القضاء فى خلافته ، فمكث سنة لا يأتيه أحد فى قضية .

واول من عين القضاة نوابا عنه :

كان القضاة يعينون من قبل الخليفة او الوالي اذا كانت ولايته عامة على الخراج والصلاة معا . وفى عهد عمر ، عين فى الولايات نوابا عنه تخفيفا على نفسه من القيام بأعباء الخلافة والسياسة . فولى ابا الدرداء (24) قضاء دمشق ، وهو أول قاض بها . وولى ابا موسى الاشعري (25) قضاء البصرة . وولى شريحا الكندي (26) قضاء الكوفة . وكان اليوم الذي عين فيه شريح قاضيا هو أول يوم عرفه الناس فيه بعلم القضاء .

اول من انابه عنه فى الحج :

فى اول سنة ولايته ، استعمل على الحج عبد الرحمن بن عوف (27) فحج بالناس. قال ابن اسحاق: وكان (عمر) يحج بالناس كل عام غير سنتين متواليتين .

اول قاض له بالعراق :

ذكر ابن قتيبة (28) فى عيون الاخبار : ان أول قاض لعمر بالعراق هو سلمان (29) بن ربيعة الباهلي.

---

(22) ابو اسحاق احد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم موتا ، واول الامراء على الكوفة فى عهد عمر ، كان مجاب الدعوة . روى الترمذي أن النبي (صلعم) قال : (اللهم استجب لسعد اذا دعاك) ، توفي بالعقيق سنة 55 هـ على اصح الاقوالعند الواقدي .
(23) قال الشعبي : القضاة اربعة : ابو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وابو موسى ، والزهاد اربعة : معاوية، وعمر ، والمغيرة ، وزياد .
(24) عويمر بن مالك بن قيس الانصاري الخزرجيمن كبار فقهاء الصحابة وحكمائهم . توفي بدمشق سنة (32 هـ) .
(25) عبد الله بن قيس . ولاه عمر على البصرة بعد المغيرة (سنة 20 هـ) وكان من احسن الناس صوتا بالقرءان . روى عنه (صلعم) انه قال : لقد اوتي ابو موسى مزمارا من مزامير آل داوود . توفي (سنة 44 هـ) .
(26) ابو امية شريح بن الحرث الكندي . من كبار التابعين ومن اعلم الناس بالقضاء ، ومن ذوي الفطنة والذكاء . اقام قاضيا 75 سنة وتوفي (سنة 87 هـ) فى احدى الروايات .
(27) ابو محمد الزهري القرشي احد العشرة المبشرين بالجنة ، ومن اغنياء الصحابة وكرمائهم . تصدق يوما بقافلة فيها سبعمائة راحلة ، تحمل الحنطة والدقيق والطعام ، توفي (سنة 32 هـ) وصلى عليه عثمان بايصاء منه .
(28) ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المولود سنة 213 والمتوفى سنة 276 .
(29) ابو عبد الله ويقال له سلمان الخيل لانه اول من فرق بين العتاق والهجين . بعثه عمر الى الكوفة قبل شريح ، وروى عنه كبار التابعين وقد اختلف فى صحبته وتاريخ وفاته . فقيل مات قتيلا سنة 28 هـ ، وقيل غير ذلك .

مراجــــع :

1 – ج 6 من ارشاد الساري لصحيـح البخاري لشهاب الدين احمد القسطلانـي

2 – الاجزاء : 2 و 3 و 4 من الاصابة لابن حجـر

3 – الاستيعاب فى اسماء الاصحاب لابن عبد البر

4 – ج 1 من احكام القرءان لابي بكر بن العربي

5 – ج 3 من زاد المعـاد لابن القيـم

6 – المنتقى على موطأ الامام مالك لابي الوليـد سليمان بن خلف التجيبي القرطبـي

7 – ج 3 من سبل السلام لمحمد بن اسماعيـل الصنعانـي

8 – ج 8 من نيل الاوطار للقاضي الشوكاني محمد ابن علـي

9 – سراج الملوك للطرطوشي : ابو بكر بن محمد الفهـري

10 – بداية المجتهد لابي الوليد محمد بن رشد – الحفيـد –

11 – ج 8 من شرح عبد الباقي الزرقاني على مختصر خليـل

12 – تهذيب الاسماء واللغات لابي زكريا ، محيي الديـن النـووي

13 – عيون الاخبار لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينـوري

14 – شرح العروة الوثقى على منظومة ابي عبد الله محمد بن ابراهيم الشران لشيخ الجماعـة محمد العلمـي

15 – لبـاب الفرائض لمحمد الصادق الشطـي

16 – شرح ابي علي حسن الزنديوي على متن عبد الله محمد الشبيبي فى الفرائض

17 – وفيات الاعيان لابي العباس احمد بن خلكان

18 – تاريخ عمر بن الخطاب لجمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

19 – تاريخ الخلفاء لجلال الدين عبـد الرحمـن السيوطـي

20 – الرياض النضرة فى مناقب العشرة لابي جعفر احمد الشهير بالمحب الطبري

21 – كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين احمد بن علي المقريزي . تصحيح مصطفـى زيادة ط. دار الكتب المصرية 1934

22 – ج 2 من صبح الاعشى لابي العباس احمـد القلقشنـدي

23 – الشيخـان للدكتـور طـه حسيـن

24 – النظم الاسلامية للدكتورين : ابراهيم وعلـي ابراهيـم

25 – ج 1 من التراتيب الادارية لمحمد عبد الحي الكتانـي

26 – الكامل لابي العباس محمد بن يزيد المبرد

27 – رغبة الآمل من كتاب الكامل لسيد بن علـي المرصفي . ج : 1 ط : 1 – 1346 هـ/1927م

28 – ج : 1 من مجمع الامثال للميداني : ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . ط. السعادة بمصر 1379 هـ / 1959 م

29 – الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنونـي

30 – مـرآة الحرمين لابراهيـم رفعـت باشا

31 – ج : 2 من محاضرات الخضـري

32 – فجـر الاسـلام لاحمـد أميـن

33 – الاجزاء : 1 و 3 و 4 من الاعلام لخير الديـن الزركلـي

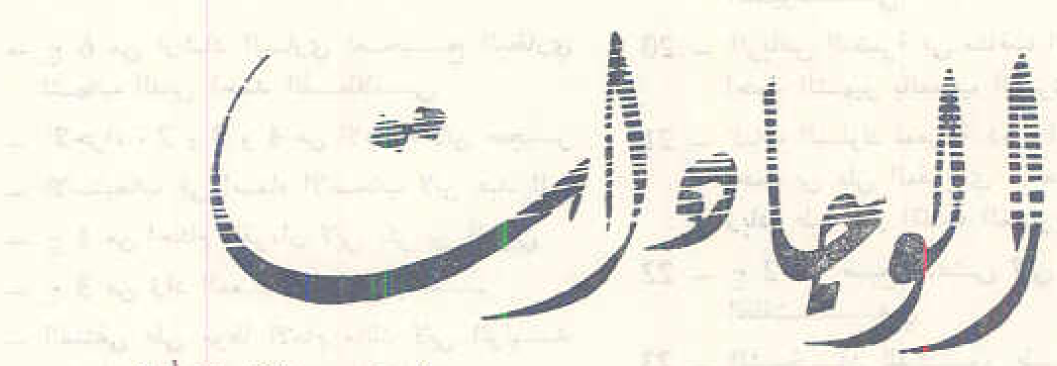
34 – تعاليق الترجمانة الكبرى لعبد الكريم الغلالي

35 – مجلة منبر الاسلام – السنة 25 – عدد محرم 1387 هـ – 1967 م

36 – رسالة الحج الكويتية – السنة : 1394 هـ – 1974 م

37 – محاضرة الاواكل لعلاء الدين علي دده .

مكنـاس : احمد العراشي



للأستاذ : عبد القادر زمامه

782 — بين ابن بسام وابن عبدون ... !

وجدت فيما نقلته من كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » لابن بسام ، ما ياتي من كلام ابن بسام :

« من اظراف الجواب واغرب مزاح الكتاب . ما اتفق لي مع الوزير ابي محمد ابن عبدون . أول ما لقيته وسمع بعض الاخوان يدعوني باسمي . فقال لي :

— انت علي ابن بسام حقا ... ؟

قلت :

— نعم ...

قال :

— وتهجو الساعة اباك . ابا جعفر ... ! واخاك جعفرا ... !

فقلت له :

— كلاك الله ... ! وانت عبد المجيد ... !

قال :

— نعم ...

قلت :

— يتغزل فيك حتى الآن ابن مناذر ... !!

فضحك من حضر لهذا الجواب الحاضر ... !!

وعلي ابن بسام باقعة زمانه . لم يسلم من هجائه في زمانه أمير ولا وزير ... ! ولا من أهل بيته صغير ولا كبير ... !!

وعبد المجيد كان أجمل أهل زمانه ... ! وكان ابن مناذر يعشقه . ويتغزل فيه ... !!

وهذا وما أشبهه من المزاح المباح ... البعيد عن الجناح ... !!!

783 — البنات ... !

وجدت في نقول من كتاب « ربيع الابرار » للزمخشري ... في حديث عائشة أم المومنين أنها قالت :

« قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وفي (سهوتي (*)) ستر . فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن « بنات » لي فقال :

— ما هذا ... ؟

قلت :

— بناتي ... !!

وراى بينهن فرس له جناحان ... فقال :

— ما هذا أرى وسطهن ... ؟

(*) الكلمة ما زالت مستعملة بهذا المعنى في بعض نواحي المغرب .

قلــــت :

ـــ فـــــرس ... ! قــال :

ـــ وما هذا الذي عليه ... ؟

قلــــت :

ـــ جنـاحـــــان ... !!

قـــال :

ـــ فرس له جناحـــــان ... !

قلـــت :

ـــ اما سمعــت ان لسليمان خيــلا لهـا اجنحـــــة ... !!

فضحك حتى بدت نواجذه ... !!!

784 ـــ زرياب ياخذها قفلة ... !

وجدت فى ترجمة عبد الملك ابن حبيب فقيـه الاندلس وامام عصره المتوفى 238 هـ هذه الابيات الثلاثة يصور فيها ما كان يناله زرياب فى قرطبة ...

صلاح أمري والذي ابتغـي
هين على الرحمن فى قدرتـه

الف من الصفر واقلل بهــا
لعالم اوفى على بغيتـــه

زرياب قد ياخذها قفلـــة (*)
وصنعتي أشرف من صنعتـه

785 ـــ معنى لقب « تويـت »

وجدت فى كتاب « اخبار وتراجم أندلسيـــة » المستخرجة من كتاب معجم السفر للحافظ السلفي المتوفى سنة 576 هـ ص 59 ـــ 60 :

« وأبو محمد هذا رجل صالــح من أمــراء المرابطين قدم المشرق للحج وطلب العلـم وكــان يحضر عندي ويقرا ومن جملة مـــا قراه (الملخص) لابن القابسي واما أخوه (ينتان) فكان فقيها . وذكر لي أخوه أبو محمد انه توفي بزبيد من مدن اليمن وانه كان قد قرا على ابن عتاب وأبي بحـــر وابن رشــد وآخرين بقرطبة وعلى ابن ابي جعفر بمرسية قال :

وتويت اسمه محمد ولكن غلب عليه لقبه هــذا وتفسيـــره : صيـــاح ... »

786 ـــ « الزخرف » و « الدخــان »

وجدت من شعر ابي عبــد الله ابــن الازرق الاندلسي الغرناطي المتوفى سنة 896 هـ بالقـدس هذيـــن البيتيـــن :

عذري فى هذا الدخان الذي
جاور داري . واضح فى البيان

قد قلتم : ان بها زخرفـــا
ولا يلي «الزخرف» الا «الدخان»

787 ـــ أبيــر مــن عبـــدة

وجدت فى كتاب « السيف المسلول باليمين » لمؤلفه قاضي زمور عمرو بن الجيلانـــي الكميتـــي ص 102 ط. الرباط 1352 هـ ـــ 1934 م .

« ان الشيخ ابا شعيب ايوب بن سعيد الحميري الصنهاجي ولد بقرية (ابير) من بلاد عبدة سنـــة 463 هـ »

788 ـــ مشترايـــــة

ووجدت فى الكتاب المذكور ص 104 ...

« مشتراية : قيـــل هي قريـــة بني مسلـــم بدكالـــــة ... »

789 ـــ مستكـــره نكهتـــه ... !

وجدت من تشبيهات الشاعر المرحوم ابى عبد الله محمد غريط قوله فى انسان :

(*) قفلـــــة : مـــرة واحـــدة .

« ارى فلانا قابضـا وجهـه
مستدنيا من انفه جبهتـه

كانه ينظـر فى شكلـه
او انه مستكره نكهتـه »

790 — القطـارة ...

وجدت فى كتاب « الاكليل » تأليف الحسن بن احمد الهمداني المعروف بابن الحائك النسابة المتوفى بسجن صنعاء سنة 334 هـ ج 8 ص 16 فى وصف قصر غمدان ومبانيه العجيبة ... !

يسمو الى كبد السماء مصعدا
عشرين سقفا سمكها لا يقصر

ومن السحاب معصب بعمامة
ومن الرخام منطـق ومؤزر

متلاحكا بالقصر منه صخـرة
والجزع بين مروحه والمرمر

وبكل ركن راس نسر طائـر
او راس ليث من نحاس يزأر

متضمنا فى صدره (قطارة)
لحساب اجزاء النهار تقطـر

791 — كتاب سيبويه فى نظر ابي حيان ...

وجدت قصيدة طويلة لابي حيان النحوي النفزي الاندلسي نزيل مصر المتوفى بها سنة 745 هـ يذكر فيها قيمة علم النحو وفضل النحاة . ويذكر فيها كتاب سيبويه بقولـه :

ابكي على عمرو . ولا عمرو مثله
اذا مشكل اعيا . واعوز ناقـده

قضى نحبه شرخ الشبيبة لم يرع
بشيب ولم تعلق بذام معاقـده

لقد كان للناس اعتناء بعلمـه
بشرق وغرب تستنار فوائـده

والآن فلا شخص على الارض قارىء
كتاب ابي بشر ولا هو رائـده

سوى معشر بالغرب فيهم تلفت
اليه وشوق ليس يخبو مواقده

وما زال منا اهل اندلس لـه
جهابذ تبدي فضلـه وتناجـده

واني فى مصر على ضعف ناصري
لناصره . ما دمت حيا وعاضده

أثار اثير الغرب للنحو كامنـا
وعالجه حتى تبدت قواعـده

واحيا ابو حيان ميت علومـه
فاصبح علم النحو ينفق كاسده

اذا مغربي حط بالثغـر رحلـه
تيقن ان النحو اخفاه لا حـده

792 — على شرط البخاري ومسلم .. ..!!

وجدت من مخاطبات ابي حيان النحوي لاحـد خلانه من المحدثين . وهو ابو العلاء محمد بن ابـي بكر البخاري الفرضي ... وقد راى صورة حسنـة فقال : هذا حديث على شرط البخاري ... !

« وقالوا على شرط البخاري قد اتى
فقلنا على شرط البخاري ومسلـم

فقال: مولاي انا البخاري فمن مسلم
فقلت له : انت البخاري ، وانا مسلمي»

793 — اقـل من القليـل

وجدت فى كتاب « أفعل من كذا » لابي علـي القالي . تحقيق المرحوم محمد الفاضل ابن عاشور تونس سنة 1972 م ص 55 .

« واقل من القليل . قال الشاعر :

وما بقيت من اللـذات الا
محادثة الرجال ذوي العقـول

وقد كنا نعدهـم قليـلا
فقد صاروا اقل من القليل »

794 — اعيـا مـن حمامـة .. !

ووجدت فى الكتاب المذكور ص 39 :

« واعيا من حمامة ... قال الشاعر :

عيـوا بـأمرهـم كمـا
عيت ببيضتها الحمامـة

جعلـت لهـا عوديـن
من نشم وآخر من ثمامـة »

795 — ما اشبه الليلة بالبارحة

ووجدت فى الكتاب المذكور ص 78 :

« تقول العرب : أروغ من ثعلب . قال طرفة :

« كل خليل كنت خاللتـه
لا ترك الله لـه واضحـة

كلهـم أروغ من ثعلـب
ما أشبه الليلة بالبارحـة »

796 — شاكـرا زلاتـه ... !

وجدت فى « رسالة العفو » وهي من انشاء ابي القاسم الصيرفي المتوفى سنة 542 هـ ط بغـداد 1976م ص 12

« فما اصدق ما قال احد شعراء مجلسه العالي:

وسعت مراحمك الجناة بأسرهم
واقلت كلا منهم عثراتـه

وجزيت مرتكب الكبيرة منهم الـ
حسنى فأصبح شاكرا زلاتـه »

797 — سربـوش ... !

وجدت فى كتاب « تقاليد الزواج فى الاقليـم السوري ص 11 . ط. دمشق 1961 م .

« شربوش : من الفارسية . اللبـاس تضعـه النساء على الـرأس ... ! وعـرف المتأخـرون السربوش وقالوا : شيء يشبه التـاج ... كأنـه شكل مثلث يجعل على الراس بغير عمامة ... وكـان لباس الامراء ... ! »

798 — يميـن الكانـون ... !

وجدت فى بعض النوازل الفقهيـة المتعلقـة بالبادية المغربية هذا السؤال :

« هل يجاب طلب تقدم به شخـص وارث الى شخص آخر . انه لم يخف على الورثة شيئا من مال الموروث او متاعه .... ؟

وهذه اليمين تسمى عندهم :

« يميـن الكانـون »

799 — زمـردة ... !

وجدت فى كتاب « الانيس المطرب فيمن لقيته من ادباء المغرب » لمؤلفه محمد بن الطيب العلمي . طبعة حجرية بفاس ص 248 :

« ان السبب الذي احقد الفتح ابن خاقان على ابي بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة . حتى نسب ما نسب اليه ... ان ابا بكر سمع الفتـح فى مجلس درسه يكثر الثناء على نفسـه ، ويذكر ما وصله بـه امراء الاندلس وكانت تبدو من انفه فضلة زرقاء ...! فقال له ابن باجـة :

— من وصلك بتلك الزمـردة التـي على شاربـك ... ؟؟

فخجل الفتح وانقطع ... !!! »

800 — تلك شهادتـي يا فتـح ... !

وجدت فى كتاب « الانيس المطرب فيمن لقيته من ادباء المغرب » طبعة حجرية بفاس ص 248 :

« ... ان ابا بكر ابن باجة اجتاز يوما بالفتح ابن خاقان وهو فى ملا من اعيان كبراء الاندلس . وكان قد انتهى اليه ما قاله الفتح فى كتابيه : قلائد العقيان ... ومطمح الانفس ... فوضع يده على راس الفتح وقال :

— تلك شهادتي يا فتح ... ! وانصرف ...!

فتغير وجه الفتح لذلك ... ولم يجد جوابا ... !

فقال له بعض الحاضرين : ولم تأسف من كلام لا بأس به .... !

فقال : هجاني .. ومدح نفسه ... يشير بذلك الى قول ابي الطيب المتنبي :

واذا اتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل

فاس : عبد القادر زمامة

الى راغبي الاشتراك

وقع تغيير فى قيمة الاشتراك فى مجلة « دعوة الحق » ، ننبه اليه فيما يلي :

● **الاشتراك داخل المغرب :**

— ثمن الاشتراك	60،00 درهما
— تكاليف الارسال	5،00 دراهم
— مجموع واجب الاشتراك	**65،00 درهما**

● **الاشتراك خارج المغرب :**

— ثمن الاشتراك	60،00 درهما
— تكاليف الارسال	10،00 دراهم
— مجموع واجب الاشتراك	**70،00 درهما**

● **الاشتراك الشرفي :**

— 100 درهم فاكثر .

يا طنجة الفيحاء

للشاعر الأستاذ محمد بن محمد العلمي

تخليداً لذكرى رحلة الوحدة والاستقلال التـــي كان قد قام بها الى طنجة جلالة الملك المغفور له مولانـا محمد الخامس ـ قدس الله روحه ـ في 9 أبريـــل 1947 .

فى هذه الذكرى ، وفى افيائهـــا ، نفحات عطـــر فاح مـــن احيائهـــا
ذكرى الى الاحرار توحي نورهـــا ، ما أروع الآيـــات فى ايحائهـــا !
يا طنجة الفيحاء ، تيهي وافخـــري ، فللأنت فى الاكـــوان رمز بهائهـــا
وعروسة البحرين تطفـــح عـــزة ، والمجـــد فطرة أرضهـــا وسمائهـــا
منها التحدي قام يرفـــع صوتـــه ، ليرن فى الافـــلاك ، فى جوزائهـــا
من ذلك البوغاز يعبـــر (طـــارق) للفتح فى همم ســـمت بفدائهـــا
والخطبة العصماء فينا لـــم تـــزل قدسيـــة التأثيـــر فى أصدائهـــا
من قبل (عقبة) هاهنـــا جولاتـــه تحيي الربوع ، فتزدهـــي بروائهـــا
والفتح من (ادريس) فضل سابـــغ ترعاه طنجة ، فهـــو فى ابنائهـــا
ومواقف التاريـــخ فيهـــا عبـــرة تحيي القلوب ، فتهتدي بضيائهـــا
ومفاخر الاجـــداد فى احفادهـــم تبقى ، وفى الايمـــان سر بقائهـــا
ولكل خير امتي قـــد سارعـــت ، وتطوعـــت برجالهـــا ونسائهـــا
حدث عن (الزلاقة) الشعب الـــذي قد خلـــد الاوطـــان فى عليائهـــا
واقرأ من (الارك) البطولة هاهنـــا ، فالنصـــر لبى غضبـــة لندائهـــا

واشهد لدى (وادي المخازن) وقفة — تستوقف التاريخ في شهدائها
قطعت من الدخلاء حبل ظنونهم ، — وارتاحت الاوطان من اعدائها
والريف في (انوال) رمز خالد — يبقى لدى الابطال ملء دمائها
من طنجة الشماء عاد جنودنا ، — فسلوا حشود النصر في ميناثها
انا لنذكر للاسود مواقفا — غراء ، في الجولان ، في سينائها
حبات عقد الماجدين نفاسة — قد فاقت الياقوت في اسمائها
فهنا المفاخر ، كابرا عن كابر ، — يتفنن الابطال في انشائها
فاذكر لاسماعيل في اسطوله — ذكرى الجلاء ، نصول في نعمائها
والمغرب الحر الابي ملاحم ، — يعيا لسان الدهر في احصائها
والمجد للاسلام في تاريخه ، — يحمي العروبة في شموخ بنائها

* * *

في طنجة ازدوج الربيع برحلة — نور (ابن يوسف) لاح في طغرائها :
قد كان فيها الشمس عند صباحها ، — والبدر في الاجواء عند مسائها ،
والعطر في انسامها وزهورها ، — فهو الحياة تجد في احيائها !
يا حسنها من رحلة قد حولت — مجرى الزمان ، بسرها وجلائها !
فاستيقظت همم الاسود بخطبة — بهرت شعوب الكون في القائها
تصغي لها الدنيا بحس مرهف ، — فنشاهد الاعجاب في اصغائها
والمغرب الاقصى تحول جذوة ، — لله در العرش في اذكائها !
بشرى الامام برحلة ميمونة — قد عاشت الاوطان في آلائها !
والشمل ملتئم باكرم مالك — يعتز بالاكباد عند لقائها
هتفت به اصواتنا وقلوبنا ، — اذ رددت في الانس عذب غنائها
في اسرة طبع الوفاء سلوكها ، — وتوطد التوحيد في اعضائها
ان (ابن يوسف) امة وعقيدة ، — لم تخش في الاهوال سهم بلائها
ام الرعايا في الصلاة بجمعة ، — وقد استجاب الله صدق دعائها
قد هز مشعل غيرة وهداية ، — واراد للاحرار رفع لوائها .
في خطبة يهفو الوجود جميعه — لفصولها ، ويغوص في لالائها ،
من فوق منبر طنجة ، الاوطان قد — جعلت نداء العرش كل رجائها
ما ضاع حق من ورائه طالب ، — ذو علة يسعى لنيل شفائها
مرحى بتعبئة لحفظ كياننا ، — واماتة لا عذر في اعبائها

... وتوحد الشعب الوفي لعرشه ،   من رد للعزمات كل مضائها

قد شن حملته لتحرير الحمى ،   ولوحدة قد جد فى ارسائها

بحضارة الاسلام يزهو دائما ،   والى العروبة ينتمي ، وصفائها

حمل الامانة صابرا متيقظا ،   وهو الامين البر ، عند ادائها

وعريضة استقلالنا ، قد خصها   بعناية ، بشراه فى اسدائها !

ضد (الظهير البربري) جهوده   قطعت من الاعداء حبل دهائها

لم تنس (فاس) زيارة ملكية ،   يتحدث التاريخ عن انبائها

وتعيش مؤتمرا بآنفا عنده   تشكو بلاد العز من أدوائها

وامتدت الشكوى على حق ، فهل   حفظت فرنسا العهد فى استجلائها ؟ !

وتأزم الوضع الرهيب ، فلم يفد   نفي ، وأمتنا سمت بابائها

فى جرحها توحيد همتها على   صدالعداة ، ونزع قيد شقائها .

... وتنمر الوغد الدخيل ورهطه ،   وبلادنا لم تنس نبع وفائها

بل جاهدت ، وتكتلت ، وتوحدت ،   لتدين الاستعمار فى باسائها

وحوادث (البيضاء) خاب نذيرها ؛   ما اهون الاعداء فى ايذائها !

وفلول الاستعمار فيما دبرت ،   قد عجلت بسقوطها وفنائها

... وتقدم الجند المحرر للحمى ،   ومخلص الاوطان من وعنائها ،

فتلألأ الصبح الجديد بأمتي ،   وتحررت بالصبر من ظلمائها

وتحطمت كل الحواجز هاهنا ،   وتاكد التوحيد فى اجزائها

ودعاة تقسيم البلاد تزلزلوا !   من ثورة الاحرار فى انحائها

وبالانسجام والالتحام تاكدت   روح التضامن ، فى اتم نقائها

* * *

... وتحرك الركب المبارك حاميا   حصن البلاد ، وعاملا لنمائها

بمسيرة خضرا ، تصول أصالة   من وحدة الاوطان فى صحرائها

وفوائد الاعمال فى استمرارها ،   وفقا لما ترجوه من خلصائها .

والفضل كل الفضل للحسن الذي   قد حاز فى الاكوان حسن ثنائها

روح (ابن يوسف) حية فى شخصه ،   بقلوبنا ، فى حبها وولائها

اخلاصه ، وطنية مثلى بها   تختال امتنا على قرنائها .

تحيا الشعوب بذكريات جهادها ،   ووفائها بالعهد من عظمائها !

الرباط : محمد بن محمد العلمي

لسان العرب في طبعة جديدة

بدات دار المعارف فى اخراج (لسان العرب) لابن منظور فى طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلا كاملا يتولى تحقيقها واخراجها فى شكل كامل الاستاذ : عبد الله علي الكبير ، ومحمد احمد حسب الله ، ومحمد الشاذلي ، وهم نخبة من العلماء الذين تمرسوا بتحقيق التراث العربي ولهم فيه قدم ثابتة .

واخراج (لسان العرب) فى طبعة جديدة حدث ادبي كبير يملأ نفوس علماء الفقه والادب وطلاب الثقافة بالغبطة ، لانه يسد عندهم حاجة ملحة الى الاصل الاول الذي قامت عليه هذه الثقافة ، وتفجرت منه ينابيع كل علم وفن ..

ومؤلف (لسان العرب) هو جمال الدين ابو الفضل محمد بن المكرم وشهرته ابن منظور ، وهو عالم مصري ، ولد فى القاهرة فى الثلاثين بعد الستمائة للهجرة ، وفيها درس الفقه والحديث والادب واللغة واستوعب معارف عصره حتى فى علوم الطب والنبات او ما نسميه بالصيدلة ، وعمل فى ديوان الانشاء فى القاهرة ، ثم تولى القضاء فى طرابلس ، ولكنه عاد الى القاهرة وتوفي بها ، وقد عكف طوال حياته على البحث والتاليف وكان فى بداية امره مشغوفا باختصار المطولات وتيسيرها على الطلاب حتى بلغت تآليفه ومختصراته خمسمائة مجلد كما روى معاصروه ، ثم عكف على تاليف معجمه (لسان العرب) فاخرجه في عشرين جزءا ، على انه ما كاد يفرغ من تاليف هذا المعجم الكبير حتى الف كتاب (اخبار ابي نواس) فى جزاين ، وهو كتاب فيه ما فيه من مجون النواسي ، ولا عجب فقد كان ابن منظور مصري الذوق ، تتملكه روح الاديب حتى فى فهم اللغة وفقه مادتها.

ويقول ابن منظور انه اعتمد فى تاليف معجمه الكبير على النقل ، وانه رجع الى كل المعاجم السابقة وكتب فقه اللغة ، ثم اختار منها لتاليف معجمه تهذيب اللغة للازهري والمحكم لابن سيده والصحاح للجوهري ، وجمهرة العرب لابن دريد والنهاية لابن الاثير الجزري ، ورتب موادها ، وبسط وجيزها ، واوضح مبهمها ، واتم ناقصها واكثر من الاستشهاد بالقرءان والسنة واشعار العرب وأمثالها وفنون آدابها ، وبهذا جاء معجمه أوسع المعاجم مادة ، واتمها نقلا ، واصحها ضبطا ، وصار موضع الثقة عند اهل النظر وأساتذة النقد وعلماء اللغة والادب ، والحق ان (لسان العرب) يعتبر موسوعة لغوية وادبية لا غنى عنها لعالم او اديب .

هذا الاثر العظيم ، لهذا العالم المصري الجليل ، كان لا بد ان تعتز به مصر ، فخرجت طبعته الاولى من (مطبعة بولاق) الاميرية منذ زهاء قرن من الزمان ، وهي الطبعة التي عشنا تعتمد عليها حتى ندر وجودها مع مرور السنين والاعوام حتى اصبح من العسير الحصول على نسخة منها بمئات الجنيهات ، وقد صدرت له طبعتان فى السنوات الاخيرة

ببيروت وهما طبعتان تجاريتان ، وظل هذا المعجم العظيم ينتظر اخراجه فى طبعة علمية محققة حتى نهضت لهذا الواجب دار المعارف .

ان النموذج ، او الجزء الاول الذي صدر من (لسان العـــرب) فى طبعته الجديدة ، ينبيء عن جهد صادق فى التحقيق العلمي لهذه الطبعة ، ففيها شرح للغامض ، وتوضيح للمبهم ، وتنبيه الى ما وقع من تحريف او خطا ، ولعل ابرز المزايا فى هذه الطبعة هو اخراجها مضبوطة ضبطا كاملا بالشكل ، وهو عمل اصبحنا فى اشد الحاجة اليه بعد ان فشت الركالة والاخطاء فى نطق الكلمات ، الى حد يثير الاسى ويثير الضحك ..

انه فى الحقيقة عمل عظيم تنهض به دار المعارف ، وجهد كبيــــر يبذله المحققون الثلاثة فى اخراج هذا المعجم ، بل هـــذه الموسوعـــة الكبيـــــرة .

محمـــد فهمـــي عبـــد اللطيـــف
« الاخبـــار » القاهرية

● شهريات الفكر والثقافة

المغــــرب :

● فى نطاق الاحتفالات بعيد المولد النبوي الشريف اوفدت وزارة الاوقــاف والشؤون الاسلاميـــة الى الشقيقة تونس فرقة المادحين والمجودين لتمثيــل المغرب فى هذه المناسبة العالية وقد فاز بالجائــزة الشرفية فى مباراة التجويد السيد عبد الفتاح العاني كما نالت فرقة الامداح النبويــة التي شاركــت فى المهرجان برئاسة السيد محمد العمرانـــي جائــزة شرفيـــة كذلـــك .

● نال السيد عبد السلام الادغيري شهادة دكتوراة الدولة فى العلوم الاسلامية بميزة حسن جدا من دار الحديث الحسنية عن الاطروحة التي تقدم بهـــا فى موضوع « حكم الاسرى فى الاسلام ومقارنته بالقانون الدولـــي العـــام » .

اشرف على المناقشة الدكتور مامون الكزبري، وتكونت لجنة المناقشة من السادة : العلامة عمــر المعداني ، الدكتور احمد الخمليشـــي ، الدكتــور المهــدي بنعبــود .

● « مؤسسة السجون فى المغرب » كتاب جديد للاستاذ احمد مفتاح البقالي صدر عن مطابع ميثاق ـ المغرب ، بالرباط . وهو دراسة تاصيليـــة شاملـــة لمؤسسة السجون فى المغرب من الناحية التاريخية والقانونية والتشريعية والتنظيميـــة والاصلاحيـــة والاجتماعية . قدم له الدكتور رشدي فكار بكلمـــة جاء فيها : « بذل الاستاذ البقالي فى هذه الدراسة مجهودا يستحق منا الاشادة فى تقصي هذه المؤسسة منذ النشاة والتطور ، وفى مختلف ابعادها القانونية والتشريعية والاسلامية والاصلاحية حتى الوضعيـــة المعاصرة والحياة اليومية للسجناء ، مما جعلها مرجعا علميا سهل الاستشارة . ويحق للباحـــث ان يعتــز بعصاميته العلمية الجادة ، وخطواته الرزينة البنـــاءة فى ميدان البحث العلمي فهو جدير بالتقدير والاعتزاز والافتخـــــار .

● من منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانيـــة بالرباط كتاب « المجتمع المغربي فى القرن التاسع عشر » من خلال قبيلة ايلولتان (1850 ـ 1912) ، الجزء الاول ـ لمؤلفه احمد التوفيق . وهو البحث الذي تقدم به المؤلف الى كليـــة الآداب بالرباط فى يوليوز 1976 تحت عنوان : « بعض جوانب تاريـــخ المغرب الاجتماعي فى القرن التاسع عشر » ونال به المؤلف دبلوم الدراسات العليا فى التاريخ بميـــزة حســـن جـــدا .

● « ثمن الحرية » عنوان مذكرات وطنية نشرهـــا الاستاذ عبد الهادي الشرايبي فى كتاب فى قالـــب سيرة ذاتية . استعرض فيها مراحل مـــن الكفـــاح الوطني المغربي من اجل الاستقلال والوحدة .

● نظمت الجمعية المغربية للتضامـــن الاسلامـــي اسبوعا ثقافيا تحت شعار « الاسلام وتطلعات القرن العشرين » . وقد اشتمل على عدة نـــدوات هامـــة نوقشت خلالها الموضوعات التالية :

— الاسلام والايديولوجيات المعاصرة .

— حيرة الشباب المسلم فى عالم القرن العشرين.

— الفروق المختلفة بين الاقتصـــاد الاسلامـــي والاقتصـــاد العالمـــي .

كما اقامت الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي معرضا للكتاب الاسلامي بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية .

● يوجد تحت الطبع كتاب « صفحات من تاريـــخ العلاقات المغربية الامريكية » للدكتـــور التهامـــي الوكيلي نائب مدير الخزانة الملكية . ويعالج الكتاب تطور العلاقات المغربية الامريكية منذ سنة 1777 الى سنة 1956 ، وهو يقع فى جزءين ، يتطرق الجـــزء الثاني من الكتاب الى هذه العلاقات منـــذ 1956 الى يومنا هذا . ويتضمن الكتاب وثائق جديدة لم يسبق

نشرها من قبل عن نشأة وتطور العلاقات بين المملكة المغربية والولايات المتحدة .

● نظمت جمعية الثقافة الاسلامية بتطوان المسابقة الثانية لتجويد القرءان الكريم لتلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية .

وقد بلغ عدد المرشحين هذه السنة حوالي 50 مرشحا من بينهم 8 من الاحرار (غير التلاميذ) .

وقد جرت بمسجد الحسن الثاني بتطوان مباراة التصفية بحضور رئيس جمعية الثقافة الاسلامية وعدد من الاساتذة والعلماء وبعض رجال السلطة المحلية وجمهور كبير من المؤمنين والمؤمنات لوحظ من بينهم عدد كبير من الاطفال .

● صدر عن وزارة الدولة المكلفة بالاعلام الجزء الثاني من كتاب « الحسنيات » وهو يضم القصائد الشعرية التي نظمت بمناسبة المسيرة الخضراء المظفرة .

كما صدر عن نفس الوزارة كتاب « الحياة الثقافية في المغرب » . وكتاب ثالث يضم مجموعة خطب وندوات جلالة الملك .

● صدر للاستاذ امحمد بن هاشم العلوي كتاب جديد بعنوان : « من وراء السدود ـ أو الحركة الوطنية سنة 1937 » يتضمن ذكرياته المريرة التي عاناها رفقة ثلة من قادة الحركة الوطنية في المنفى وفي السجن سواء سنة 1933 او سنة 1944 .

● صدر للشاعر المغربي الاستاذ محمد بنعمارة ديوان شعر بعنوان : « عناقيد وادي الصمت » . وهو ثالث ديوان للشاعر .

● صدر الجزء السادس من تفسير ابن عطية « المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز » بتحقيق المجلس العلمي بفاس .

● نال الاستاذ محمد كركب الديبلوم في الدراسات الاسلامية العليا من دار الحديث الحسنية بميزة حسن عن اطروحته حول « التفسير المنسوب لابن عربي » التي نوقشت تحت اشراف الدكتور التهامي الراجي الهاشمي . وضمت لجنة المناقشة بالاضافة الى السيد المشرف الدكتورة فوقية حسين والاستاذ عبد الكريم الداودي .

● شارك الدكتور محمد عزيز الحبابي في ملتقى الامام المازري بتونس ، وفي حديث معه أجرته جريدة الصباح التونسية سئل :

ـ هل لكم ان تحددوا لنا الموضوع الذي عالجتموه في كتاب « تأملات اللغو واللغة » ؟

فأجاب : يضم الكتاب محاضرات القيت اغلبها في مجمع اللغة العربية بالقاهرة والبعض في مناسبات اخرى والرابطة بينها جميعا هي كونها تهدف الى بلورة مبحث واحد هو اللغة كنسق أساسي لعلاقات كل انسان بالغير وعلاقات جميع الناس بالتاريخ وبالكون .

وقد أضفت ذيولا تكميلية وتوضيحية الى كل محاضرة من المحاضرات السبع ،،

والذي دفع الى جمع هذه النصوص هي الرغبة في الاسهام في المعركة القائمة حاليا حول ـ التعريب ـ والضجات التي تثار من اجله ،، على ان قضية التعريب لم تستأثر بكل الكتاب فقد شملت ـ تأملات في اللغو واللغة ـ مباحث اخرى تتمحور حول مفاهيم تعين على فهم التعريب .

● صدر عن « دار الآفاق الجديدة » ببيروت اول ديوان شعر للشاعرة المغربية « سعاد فتاح » بعنوان: « دعوني اقول » ، في الحجم الصغير وعلى النمط الحر .

● قرر مكتب تنسيق التعريب بالرباط تمديد اجل تقبل المساهمات والترشيحات المتعلقة بالمسابقة الخامسة التي سبق أن اعلن عن تنظيمها في موضوعين هامين هما :

1 — تقديم مخطوط في اللغة العربية (لم يسبق نشره) له قيمة علمية في دفع حركة التطور اللغوي المعاصرة (تحقيق ودراسة) .

2 — دراسة بيانية (لم يسبق نشرها) عن اسلوب الاستدارة في الكتابة الادبية (تنظير وتطبيق)

وستتالف لجنة التحكيم في هذه المسابقة من اعضاء تختارهم اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ، التي تفضلت مشكورة بتمويلها بمبلغ 18 000 درهم مغربي وذلك لتغطية الجوائز الاربع التي ستمنح للفائزين .

1 — لا تقل الدراسة عن مائة وخمسين صحيفة من الحجم المتوسط .

ب — يجوز اشتراك اكثر من شخص في البحث الواحد ، وفي هذه الحالة تقسم الجائزة بالتساوي بين المشتركين .

ج — تقبل الوثائق والبحوث ابتداء من الآن لغاية اول نوفمبر .

د — يرسل البحث (في نسختين) الى مقر مكتب تنسيق التعريب — 10 ، زنقة انكولا — ص. ب. 290 — الرباط — المملكة المغربية .

● صدر للدكتور التهامي الراجي الهاشمي الجزء الثاني من سلسلة « دراسات لغوية » وهو خاص بمظاهر التطور اللغوي . ومن المنتظر ان يصدر الجزء الثالث وعنوانه : الثنائية اللغوية Dichotomie

اما الجزء الرابع فعنوانه : « المدخل لدراسة النفسي الآلي للحديث » :
Psycho Mécanique de la Langage

مصـــــر :

● اعلنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم — جامعة الدول العربية — عن منح جائزة الثقافة العربية لعامي 1978 و 1979 وقدرها خمسة آلاف دولار امريكي أو ما يعادلها لاحسن كتاب يتناول **اثر الحضارة الاسلامية في الحضارة الانسانية** ويبرز قيمتها واصالتها في أي ميدان من الميادين ، على ان تتوفر فيه الشروط التالية :

1 — ان يكون الكتاب المرشح من الكتب المنشورة لاول مرة منذ بداية 1976 .

2 — ان لا يكون الكتاب حائزا جائزة سابقة ولا مقدما لجائزة أخرى .

3 — آخر موعد لتقديم الكتاب نهاية شهر اكتوبر 1979 .

4 — ترسل خمس نسخ من الكتاب الى مقر المنظمة (109 شارع التحرير — ميدان الدقي — القاهرة — ج. م. ع.) .

وتدعو المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الهيئات والمراكز العلمية ودور النشر والمؤلفين في الوطن العربي الى ترشيح ما يرونه مناسبا من الكتب العربية .

● خصصت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم — جامعة الدول العربية — جائزة المسرح العربي قدرها 2000 دولار امريكي او ما يعادلها تقدم لاحسن مسرحية عربية تتوفر فيها الشروط التالية :

— ان تكون باللغة العربية الفصحى .

— ان تؤدي على المسرح فيما لا يقل عن تسعين دقيقة .

— الا يكون قد سبق عرضها او اذاعتها او نشرها بأي وسيلة من وسائل الاذاعة او النشر .

— ان ترتبط المسرحية بقضايا الانسان العربي المعاصر .

— ان تكون المسرحية اجتماعية او قومية ذات دلالة انسانية من خلال موضوع معاصر او مستقى من التراث .

— يرسل من المسرحية خمس نسخ مرقومة على الآلة الكاتبة الى مقر المنظمة (109 شارع التحرير — ميدان الدقي — القاهرة — ج. م. ع.) .

● يصدر قريبا عن دار المعارف ضمن سلسلة « كتابك » : « سفراء النبي عليه الصلاة والسلام » للدكتور مختار الوكيل . ويعد المؤلف للطبع ايضا كتابا جديدا عن : « الدعوة العربية فى الخارج » ويتناول خبرته الشخصية فى ميدان الدعوة العربية.

● يقوم الاستاذ محمود عزة موسى بالمراجعة الفنية للموسوعة العربية الميسرة مع اضافة مواد جديدة وتكملة للاحداث والاعلام حتى سنة 1978 . تصدر الطبعة الجديدة عن الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية .

● عن دار المعارف صدرت مجموعة قصصية بعنوان : « بيت فى الريح » للاديب الراحل ضياء الشرقاوي .

● للاديب فتحي الابياري صدرت مجموعة قصص قصيرة بعنوان : « كلمة حلوة » وتتضمن سبع عشرة قصة تعالج ازمة الانسان وواقع الحياة المعاصرة .

وتصدر له قريبا اول رواية بعنوان : « رحلات حب سرية » .

● اصدرت دار الهلال رواية جديدة للاديب نبيل عبد الحميد بعنوان : « مسافة بين الوجه والقناع » تصور حيرة الانسان وبحثه عن الحقيقة للوصول الى الاستقرار والامان .

● توفي يوم 27 يناير المنصرم الشاعر الكبير محمود ابو الوفا ، وهو من الرعيل الاول الذي عاصر شوقي وحافظ . اثرى المكتبة العربية بعدد من الدواوين الشعرية منها : انفاس محترقة ، أشواق واعشاب ، اناشيد دينية ، اناشيد فكرية ، اناشيد وطنية ، شعري ... وحقق من التراث العربي ديوان الهذليين . فاز ابو الوفا بجائزة أمير الشعراء سنة 1929 ، وكان موظفا بدار الكتب المصرية .

● « الله ام الطبيعة » كتاب جديد للدكتور يوسف عز الدين عيسى .

● اصدرت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) كتابا جديدا بعنوان : « جديد فى رسالة الغفران » اهدته الى (... الاستاذ الامام امين الخولي ... قلوبنا وضمائرنا وعقولنا) . وهذه دراسة جديدة لرسالة الغفران لابي العلاء المعري تختلف عن الاطروحة التي تقدمت بها المؤلفة فى اوائل الخمسينات لنيل شهادة الدكتوراه فى الادب .

● صدرت للدكتور زكي نجيب محفوظ ثلاثة كتب جديدة عن دار الشروق وهي :

— من زاوية فلسفية .
— فى حياتنا العقلية .
— مع الشعراء .

● عن دار المعارف بالقاهرة صدرت الكتب التالية:

— ابن زيدون — للدكتور شوقي ضيف .
— بين الفلسفة والآداب — لعلي أدهم .

— الامام محمد عبد الوهاب – لعبد الحليم الجندي.

السودان :

● صدر للشاعر محي الدين فارس ديوان شعر جديد بعنوان : « نقوش على وجه المفازة » .

اليمن • ش :

● اصدر مكتب التوجيه والارشاد العام بوزارة الاوقاف بالجمهورية العربية اليمنية العدد الاول من مجلة « **الارشاد** » . وهي مجلة اسلامية جامعة هدفها جمع كلمة الامة الاسلامية وتوجيهها الى منهج الاسلام الصحيح بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

تونس :

● صدر في تونس للكاتب الاستاذ الشاذلي القليبي كتاب بعنوان : « الثقافة رهان حضاري » . ويتضمن مجموعة مقالات وافتتاحيات مجلة « الفكر » التي يصدرها منذ 25 سنة .

● الشركة التونسية للتوزيع اصدرت كتابين جديدين ، الاول : « ارشاد الامة ومنهاج الايمة » للشيخ محمد العزيز جعيط ، والثاني « الارشادات في مصطلح السياسة عند العرب » لاحمد عبد السلام .

العراق :

● صدرت في بغداد مؤخرا مجموعة الكتب التالية:
— « الصراع بين القديم والجديد » لمحمد حسين الاعرجي .
— « لهجة تميم » لغالب المطلبي .
— « منزل العرائش » مجموعة قصص لاحمد خلف
— « الشعر الفلسطيني » لخالدي مصطفى .
— « غسان كنفاني » لافنان القاسم .

الاردن:

● الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب صدر له كتاب بعنوان : « طه حسين مفكرا » ، يضع فيه الرجل موضعه الحقيقي ويكشف الستار عن مواقفه الفكرية .

الكويت :

● صدر عن سلسلة « عالم المعرفة » كتاب للدكتور عبد المحسن صالح بعنوان : « الانسان الحائر بين العلم والخرافة » .

سوريا :

● تنظم بجامعة حلب ابتداء من يوم 5 ابريل الجاري الندوة العالمية الثانية لتاريخ العلوم عند العرب . وتستمر الندوة الى غاية 10 من الشهر . وتضم الندوة حلقات علمية دراسية تختص بالفروع العلمية التالية : الجبر ، الطب ، الزراعة ، الحيوان ، الفلك ، الكيمياء المغناطيسية ، وعلوم الارض . كما ستخصص حلقة لدراسة انتقال العلم العربي الى اوربا .

بولونيا :

● صدرت مؤخرا الترجمة البولونية لكتاب العالم الاندلسي ابن حزم « طوق الحمامة » . قام بالترجمة الدكتور يانوش دانيتسكي الاستاذ في قسم الدراسات العربية والاسلامية في جامعة وارسو .

الصين :

● يقدر عدد سكان الصين الشيوعية بحوالي 800 مليون نسمة من بينهم 60 مليون مسلم . وينقسم المسلمون الصينيون الى مجموعتين : مجموعة الهوى ومجموعة المتكلمين باللغة التركمانية . والهوى هم المسلمون من اصل صيني الذين يتكلمون اللغة الصينية ، بينما تقوم ثقافتهم على اساس اسلامي . وتتركز هؤلاء في الشمال وان كانوا ينتشرون في اجزاء كثيرة من الصين .

اما المسلمون الناطقون باللغـــة التركمانيـــة فيعيشون فى اقليم سينكيانج ويقول الحـــاج يوسف شانج وهو مسلم صيني : ان النسبة المئوية للمسلمين فى المقاطعات الصينية هي على النحو الآتي : (وقد اجرى هذا الاحصاء سنة 1965) : 96 ٪ من سكان سينكيانج مسلمون ، 75 ٪ من سكان كانسو ، 70 ٪ من سكان منطقة نينجسيا ، 55 ٪ من سكان شينسي، 48 ٪ من سكان يونان ، 25 ٪ من سكان منشوريا ، 18 ٪ من سكان شانسي ، 15 ٪ من سكان هوباى ، 13 ٪ من سكان كويشو ، 12 ٪ من سكان شيتسون، 11 ٪ من سكان هوناى ، 10 ٪ من سكان كوانجسى، 9 ٪ من سكان هوبى ، 8 ٪ من سكان انهواى ، 7 ٪ من سكان شينجفهاى ، 6 ٪ من سكان التبت ، 5 ٪ من سكان منغوليا ، 5 ٪ من سكان سانتونـــج ، 3 ٪ من سكان نوكيـــن .

وقد انتشر الاسلام فى الصين عن طريق البحر والطريق البري التجاري المسمى بطريق الحريـــر ، واول ذكرى للاسلام فى تاريـــخ الصين ايـــام أسرة « تانج » (618 ـــ 907 م) فى الكتـــاب السنـــوي المسمى تاريخ الحدود الغربية ، وكان « المنج » ـــ سكان الصين ـــ يسمون المسلمين الاوائل « هـــوى هوى » ويقولون انهم اتوا من بلد اسمها « تشى كوى» (الجزيرة العربية) .

فصـــول من كتـــاب :

« الطفولـــــة المغربيـــــة »

بقلـــــم : الدكتـــــورة آمنـــــة اللـــــوه .

اقــرا العــدد القـــادم

حضارة الحج في الإسلام

● « حضارة الحج في الاسلام » كتاب جديد لمؤلفه الاستاذ عبد الحكيم بركاش اصدرته مؤخرا المطبعة الملكية بالرباط في 128 صفحة من الحجم المتوسط بمقدمة للاستاذ العلامة عبد الله كنون .

وقد جاء الكتاب جديدا في بابه من حيث اعتماده على رسم الخريطة الحربية باعتبار ان الحج جهاد . وهو عمل فني دقيق ، لا يتوفر عليه الا الراسخون في العلم والرواية التاريخية ، والعارفون بفن رسم الخرائط وتقويم البلدان . وفي هذا المعنى يقول المؤلف : « الحج هو الخريطة الحربية التي رسمها ابراهيم وزكاها محمد صلى الله عليه وسلم . والحج، قبل ذلك وبعده ، هو ملامح الصور الباقية من اقدم عصور التاريخ فوق الرمال العربية ويصور لنا ذكريات الجهاد في عهد ابراهيم ويرفع الستار عن اسرار الحضارة الالهية في الحج ، جاء بطلب من ابراهيم عليه السلام : « **وارنا مناسكنا** » والمناسك هي العبادة المختصة بالحج « **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون** » .

وقد اهدى المؤلف كتابه الى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بهذه العبارات الموحية : « الخريطة الحربية : حرب وسلام مهداة الى الحارس الامين على الامانة العظمى الملك العظيم : الحسن الثاني ملك المملكة المغربية بصفته القائد الاعلى للجيش هو الحاكم العسكري العام الذي حصن الحدود من اجل بقاء راية السلام ترفرف على هذه الديار المغربية : « **رب اجعل هذا بلدا آمنا** » .

ويقول الاستاذ كنون في مقدمة الكتاب : « الصياغة الجديدة التي كتب بها الاستاذ عبد الحكيم بركاش قصة الحج جعلت هذه القصة كأنها تقرأ لاول مرة ، والعرض الذي قدم به اعمال الركن الخامس من اركان الاسلام لا يكفي ان يقال فيه انه مبتكر ولكنه مع ذلك كشف لاسرار هذه الاعمال ... »

ونعتقد ان هذا التقديم كاف لاظهار مزايا كتاب « حضارة الحج في الاسلام » .

العلامة السيد الحسن الزهراوي

في ذمـــة اللـه

● انتقل الى عفو الله العلامة الاستاذ السيد الحسن الزهـــراوي الاستاذ بجامعة القرويين ـ كلية اللغة العربية بمراكش ونائـــب المجلس العلمـــي بهـــا .

كان الفقيد رحمه الله من العلماء المجاهدين الوطنيين الذين خدموا الوطن والدين وكافحوا فى ظروف الاستعمار للابقاء على جـــذوة الاسلام ونضارة اللغة العربية ، وتخرج على يده عدد من العلماء الشباب ، وساهم مع اخوانه العلماء فى الحفاظ على مكانة جامعة القرويـــين كمعقل للعلـــم والثقافة الاسلامية ، وحصن للحضارة والتراث الاسلامي المغربي .

وقد كانت للفقيد مشاركة فعالة فى الدروس الحسنية الرمضانية وله مجموعة دروس قيمة منشورة ضمن مجموعات الدروس الحسنية التي تنشرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تباعا .

وستشرف وزرة الاوقاف والشؤون الاسلامية والمجلس العلمـــي بمراكش ، على تنظيم حفل تابيني بمناسبة الذكرى الاربعينية لوفاة العلامة الحسن الزهراوي عضو المجلس وذلك فى الاسبوع الثالث من شهر ماي 1979 بمقر الكلية .

فالمرجو من اصدقاء الفقيد ومحبيه وتلامذته الذين يرغبـــون فى المشاركة هذا الحفل ان يبعثوا بانتاجهم قبل ثامن ماي فى اسم الاستاذ الطيب المريني الكاتب العام لكلية اللغة العربية بمراكش .

تغمد الله الفقيد العزيز بواسع رحمته ، والهم ذويـــه الصبـــر .
وانا للـــه وانا اليـــه راجعـــون ●

من موضوعات العدد الخاص
بالسنة الدولية للطفل

مطبعة فضالة — المحمدية (المغرب)